

غرفة في المكتبة التيمورية التي اوصى بها المغفور له تيمور باشا الامة المصرية



# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد الثامن

٢٣ شوال سنة ١٣٥٠

١ مارس سنة ١٩٣٢

## امور يجهلها العلم

غوامض علوم الاحياء

كثيراً ما يطرق سمعنا اقوال يفوه بها المتعلمون وطلاب العلم ، تنطوي على ان « العلم الحديث عارف بكل شيء قادر على كل شيء » بل اننا نحن نقول هذا في بعض الاحيان ومما لا ريب فيه ان فتوحات العلم في ميادين العلوم الطبيعية والكيمائية والحيوية (البيولوجية) فتوحات عظيمة . فهذا عصر الآلات والالكترونات ، عصر الغرويات والكروموسومات . لقد امتدّ بصر الفلكيين بضعة ملايين اخرى الى رحاب الفضاء ، واتصلوا بالوف اخرى من الشمس والسدم ، فعرفوا بناءها وتصرّفها . ونفذ علماء الطبيعة الى معاقل الذرات الدقيقة فوجدوا ان كل ذرة مؤلفة من نواة تحيط بها سحابة من الالكترونات ( كانوا الى عهد قريب يقولون ان الالكترونات تدور حول النواة كسيارات الشمس حولها ) وكشف الكيميائيون عن مواد فعالة اذا استعملت مقادير مكرسكوية منها كان من اثرها احداث افعال كيميائية عنيفة في مقادير هائلة من المادة ( هذه المواد الدقيقة تعرف باسم Catalysers ) . ثم ان علماء الاحياء ادّوا نصيبهم من التقدم العلمي في هذا العصر ، بتوسيع نطاق معرفتهم بالوراثة وأساليبها توسيعاً يفوق في الربع القرن الاخير كل ماسبقه في القرون السابقة . وجاء في اثرهم طائفة من العلماء والفلاسفة الذين يجمعون في اشخاصهم بين علوم الطبيعة والكيمياء والبيولوجيا



فقلوا ان الافعال الحيوية لا تخرج عن كونها افعالا طبيعية معقدة ، اي انهم لا يحتاجون في تفسيرها الى قوة خارجة عن القوى الطبيعية المعروفة «كقوة الحياة»  
 حقا ان فتوحات العلم عظيمة ! هذا عصر العلم والاكتشاف . عصر «الانسان العلمي»  
 ونحن نخفرون بأننا من ابنائه . نخفرون بما في العلماء والباحثين . وانما يخطر لنا ، ونحن نعدد ما نرغم اننا نغفل طوائف من الظواهر الطبيعية ، وبوجه خاص طائفة من صفات الحياة ، ما زالت مستسرة عن فهم العلماء . فنحن لا نستطيع ان ندرجها في جدول الغوامض التي جلوها بضوء العلم الكشاف . وسوف نحصر النظر في هذا المقال في غوامض علوم الاحياء

**نغز التطور العضوي**

ونبدأ الكلام على لغز «التطور العضوي» . نقول «لغز» التطور ، لأنه رغم جميع المباحث التي قام بها علماء الاحياء لا يزال «التطور» لغزا . لا ريب في حقيقة التطور . والعلماء يعرفون جانباً كبيراً من السبيل الذي سار فيه التطور من اقدم العصور الى الآن . ولكن المسألة الاساسية ، هي فهم سبب التطور وطريقته . فنحن اليوم ، اضعف ثقة بما قيل في سبب «اصل الانواع» وطريقة تطورها حتى تتلاءم والبيئة التي تعيش فيها ، مما كنا من نحو ستين سنة في الستين السنة او السبعين التي انقضت على نشر كتاب اصل الانواع ، جمع الباحثون من الادلة على ثبوت حقيقة التطور ما يجعلها في حيز من سهام الانتقاد التي توجه اليها . ولكنهم جمعوا كذلك من الحقائق الجديدة عن الوراثة والتباين العضوي ، ما يثبت لنا ان النظريات القديمة التي اقترحت لتعليل التطور لم تعلل قط . فنظرية لامارك في توريث الصفات التي يكتسبها الوالدون في اثناء حياتهم لا تقوم على اساس ثابت . واذا فالصفات المكتسبة ، كما وصفها لامارك لا تورث . وعليه فالانواع الجديدة ، المتصفة بصفات تمكنها من ملائمة نفسها للبيئة الجديدة لا تنشأ كذلك . اما مذهب داروين المنطقي القائم على ان لكل صفة من صفات الجسم الحي مقاما من حيث اثرها في النزاع العنيف القائم بين الاحياء ، وان الصفات التي تمكن الكائن من الفوز في هذا النزاع تورث للاجيال التالية ، فاقرب الى الاستنتاج المنطقي منه الى الحقيقة الواقعة . ومعظم التباينات الداروينية لا قيمة لها في هذا النزاع ولا هي تورث انما هي في الواقع اختلاف طبيعي طفيف عن المتوسط السوي يقتضيه ناموس الارضية ، وانها اضعف من ان يكون لها هذا الاثر الخطير في تقرير مصير صاحبها ، وانها تورث اذا كانت قريبة من المتوسط السوي ثم كلما بعدت عنه ضعفت قوة توريثها على اننا في هذا العهد الذي هدمت فيه نظريتنا لامارك وداروين في تعليل التطور ، لم يخرج احد العلماء تعليلاً جديداً كاملاً يحل محل التعليلين القديمين . ولعل رأي ده فريز في «التحول



الفجائي « mutation theory » اهمها . وده فريز عالم نباتي هولندي . فقد لاحظ حدوث تباينات وراثية في نسل نبات « زهر الربيع » الناشئ من اصول نامية في بقعة واحدة ، وتحيط به بيئة متجانسة ، وان هذه التباينات ليست الاختلافات التي قال بها دارون . وانما هي اكثر تبايناً منها عن المتوسط السوي ، وانما تورث مباشرة تورثاً متواصلًا . وقد وجد علماء النبات والحيوان من بعدم تباينات متعددة في نباتات وحيوانات مختلفة الاصناف . ويكاد يكون من الثابت الآن ، ان هذا الفعل — فعل التحول الفجائي اي ظهور التباينات المتوارثة ظهوراً فجائياً — ينشئ انواعاً جديدة . ولكن الباحثين لم يروا حتى الآن انها كثيرة الحدوث كثرة تجعل « التحول الفجائي » تعليلاً وافياً كافياً « لاصل الانواع » وتطورها . فاذا كان « التحول الفجائي » المنشأ الوحيد لتباين الانواع وجب ان نرى من التباينات الفجائية في الوف من اصناف الحيوان والنبات اضعاف اضعاف ما نراه الآن . وهذا غير الواقع

### تعليل التكيف والمازومة

ثم اذا حاولنا ان نعلل التكيف — وهو جانب خطير من جوانب مسألة التطور — وجدنا كذلك اننا نسير في ظلام حالك . فالتحولات الفجائية لا تحدث التكيف المتدرج الذي ينتهي الى التكيف التام ، الا اذا سارت في الاتجاه الصحيح ، اي يجب ان يوجد ما يعين حدوث التحول الفجائي في ناحية معينة ثم بتجمع التحولات الفجائية وتواليها ، يحدث التكيف التام . واذا ذكر البيولوجي الحوادث التي تم فيها تكيف الاحياء الدقيق ملائمة لبيئتها تحقق ان التحول الفجائي ، سواء كان مستقلاً عن الانتخاب الطبيعي او مشتركاً معه ، لم يكف لتعليل هذا التكيف الدقيق . ولنضرب على ذلك مثلاً ، بالتفاعل الدقيق بين بعض النباتات الزهرية والحشرات التي تلاقحها ، او بالملاءمة بين الاحياء التي تتوي فيها الحيوانات الطفيلية والطفيليات ذاتها . دع عنك الامثلة الاخرى التي تبين الملاءمة التامة بين الحيوان ووسائل معيشته وتغذيته ودفاعه عن نفسه وتناسله . وحينئذ يثبت للباحث ان لا بد من فرض عامل موجه لتعليل اسباب التكيف البيولوجي . واذا أدرك علماء الاحياء هذا العجز عن تعليل اصل الانواع ، او التكيف البيولوجي ، بتوارث الصفات المكتسبة ، او الانتخاب الطبيعي ، او التحول الفجائي ، عمد بعضهم والفلاسفة معهم ، الى الفرض والتصور . وبعض فروضهم تفوق البعض الآخر في سميتها العلمية . فعلماء الآثار المتحجرة ، الذين يروعونهم ما يشهدونه في آثار النباتات والحيوانات المستخرجة من طبقات جيولوجية متعاقبة الارتقاء المتجه في خط مستقيم ، يميلون — او اكثرهم يميل — الى فرض تكيف صحيح الاتجاه ، بفعل مؤثرات داخلية او خارجية ، فعلت في اجيال متعاقبة من الاحياء الى ان انتهت الى اظهار



التكيف المطلوب . ولكنه يتعذر عليهم ان يوفقوا بين احجامهم عن الايمان بتوارث الصفات المكتسبة من ناحية ، وبين مقدرة المؤثرات الخارجية ، او عوامل البيئة ، على احداث هذا التكيف . لأن العوامل الخارجية لا تستطيع ان تحدث هذا التكيف الا عن طريق الوراثة وهذا هو توارث الصفات المكتسبة بعينه الذي ينكرونه

ثم ان طائفة من علماء البيولوجيا المحدثين ، تسلم بتكيف او تغير صحيح الاتجاه ولكنها تحاول ان تجد له سبباً لا يضعها في مأزق يحتم عليها التسليم كذلك بقوة داخلية في الكائن الحي يورثه هذا التكيف ، لان هذا التسليم من ناحيتها بهذه القوة انما يعني فرض سر او شيء خفي وليس هذا بالتعليل العلمي الوافي

على ان بعضهم ، وبعض الفلاسفة ، اقدموا في شجاعة ، على التسليم بقوة داخلية توجه التطور الى الامام ، في سبل معينة ، الى اشكال حية اكثر تعقيداً في البناء واشد تخصصاً وكماً . والواقع ان من يشهد فعل التكيف الواسع النطاق ، المعقد الفعل ، الدقيق التأثير ، واستحالة حدوثه من سبيل تغيرات حدثت اعتباطاً فانتخب منها ما كان ملائماً ، يضطر اضطراراً ، الى القول بأن قوة خفية ، قد احدثت هذا التكيف ووجهته

اما الباحث العلمي المدقق — كبت اقول المتعنت — فلا ترضيه لفظة قوة « خفية » او « سر » لانها تعني في اذهان الناس ، العجز عن فهمها عجزاً مطلقاً — اي انها من وراء قوة الادراك البشري . ولكن اذا قصد بها شيء رهن البحث والتحقيق ، وقد يدخل ضمن دائرة الامور التي يكشف العلم النقاب عنها يوماً ما ، فهو يسلم في هذا المقام باستعمال هذه اللفظة . فاصل الحياة « سر » الآن ولكن علماء الاحياء الميكانيكيين الذين يتناولون الحياة من ناحيتها الطبيعية الكيميائية ، يأملون ان يزاح الستار عن هذا « السر » يوماً ما — قد يفوزون في تحقيق املمهم ، وقد يبقى هذا السر من وراء العقل البشري . ولكن محاولات الناس لفهمه لن تنبت سلسلتها

فعلماء الاحياء اذاً يواجهون « سرين » عظيمين « سر » اصل الحياة و « سر » اسباب التطور . فهم يعرفون ما الحياة وما التطور ، ولكنهم لا يعلمون ، وعالمهم لا يستطيع ان يفسر ، كيف بدأت الحياة ، ولا الباعث او المحدث للتطور . يضاف الى ذلك تعيين ما للوراثة وما للبيئة من أثر في الكائن وينطوي تحت هذا تعيين اثر كل منهما في توجيه مصير الانسان فرداً واجتماعاً ، تعييناً حاسماً

\*\*\*

على ان علماء الاحياء يواجهون مشاكل اخرى خطيرة ، تتصل بموضوع الحياة ، وبوجهة خاصة تتصل بالحياة الانسانية . فوعي الانسان ( Consciousness ) ، وانفعالاته وافعاله



التي يقصد منها خير الآخرين والتي لا فائدة بيولوجية تجني منها ، وخياله ، وفوق كل هذه روحه أو نفسه — كل هذه « اسرار » من اسرار البيولوجيا الانسانية . لا بد من التسليم بالوحدة الكائنية بين بناء الجسم الانساني وبناء الجسم الحيواني ، وبين وظائف اعضاء هذا ووظائف اعضاء ذاك ، وبين غرائز الاثنين ، أو على الأقل لا بد من التسليم بشدة الشبه بينها . فلو من بمذهب التطور يرى الناس نتيجة لافعال طبيعية اوجدت اصنافاً منوعة من الحيوانات والنباتات ، ولكنه يرى في الناس صفات وميزات ، لا يستطيع ان يدعي لها تفسيراً علمياً . وجهد ما يستطيع ان يقوله ان التفسير العلمي لها سوف يكشف عنه ! وهذا رأي — لا حقيقة — قد يناقضه رأي آخر !

### مميزات الانسان

لننظر الى البيولوجي في معمل بحثه وفي داره أو في المجتمع . فهو في المعمل روح العلم مجسماً ، اذا كان عالماً بالمعنى الصحيح ، اما في داره فهو مجموعة من المتناقضات ، تكاد لا تلمس أراً للروح العلمي في سلوكه الاجتماعي . انه يسترشد في سلوكه ، بقواعد وتقاليد ، لا يستطيع العلم ان يفسرها ولا ان يسيغها . فهو لا يتزوج لاختلاف النسل فقط . ولكنه يبحث عن امرأة يهواها . وهو يحب اولاده ، محبةً ، تفوق في مظهرها العناية بالاولاد التي تقتضيها الغريزة البيولوجية ، المتجهة الى حفظ النوع فقط . وهو يضيف الى غريزة التجمع ، انظمة للاسرة والجماعة والامة ، والى السرور الغريزي بالاصوات السارة ، فناً دقيقاً من الموسيقى . ثم هو لا يقف عند حد الفائدة البيولوجية في انماء قوته على النطق والكتابة والتصوير ، بل ينتج ادباً غنياً بالنظم والنثر ، ومتاحف لا تنتهي من الصور والتماثيل . ويعدو في ما يطلبه النوع من الدفاع عن النفس في بناء البيوت ، الى تشييد الكاتدرائيات والتذكارات الفخمة ، ليكفي رغبة ميطرة عليه ، هي عبادة الله في السماء وتمجيد انصاف الالهة على الارض

ما اضيق نطاق المذاهب التي يخرج علينا بها علماء البيولوجيا الميكانيكية ، وعلماء السيكولوجيا السلوكية ، فانها اذا فازت بتفسير بعض المظاهر البسيطة في فسيولوجية الانسان وسيكولوجيته ، عجزت عجزاً تاماً اذا تواجه ظاهرات الحياة المعقدة ، في ميادين التنظيم الاجتماعي ، في الفنون والآداب ، في الرياضيات والمنطق والدين . ففي نطاق ما يجهله العلم من هذه القوى الانسانية ، نجد أخص ما يميز الانسانية عن الحيوانية . اننا لانستطيع ان نعرف الانسان بكونه حيواناً فقارياً أو ثديياً ، أو من فصيلة « البريمات » ولا بصفاته الحيوانية التي نستطيع تبويبها — فان هذه التعريفات تدلت على النشأة التي نشأها من ابناء عمومته في مملكة الحيوان — ولكن الصفات التي تحمل الانسان انساناً انما هي الصفات التي يجهلها العلم الآن



وليس القصد من هذا انتقاص ما يعرفه العلم عن الانسان — من الوجهات التشريحية والفسيولوجية والسيكولوجية . وليس القصد كذلك الامساك عن الاعتراف بما كشفه علماء البيولوجيا الميكانيكية عن اثر الافعال الطبيعية والكيميائية في الافعال الحيوية . ولا ان نضعف من شأن المباحث التي قام بها البيولوجيون في ميادين التباين والنمو والوراثة وأثر البيئة والانتخاب وغيرها . فكل هذه عوامل اساسية في حياة النباتات والحيوان على السواء . وقد تم في ثلاثة ارباع القرن الاخيرة — وفي الربع الاخير بوجه خاص — تقدم كبير في كل هذه النواحي . ثم ان العلم تقدم كذلك تقدماً كبيراً في تطبيق المبادئ البيولوجية على اصلاح الاجتماع . ويكفي ان نذكر اسماء العلوم التي ارتقت عن طريقه — كالطب والصحة العامة ، والزراعة والتجريح ، وعلم الجنائيات واختيار الصناعات وغيرها — لنقدر اثر العلم البيولوجي في ترقية العمران

### ما فعله العلم

في مقالة ظهرت حديثاً لاحد الكتاب، أتي الكاتب بعنوان « ما فعله العلم » بالعبرة الآتية: لقد مكنتنا العلم من الانتقال بسرعة تفوق خمسين ضعفاً سرعة انتقالنا قبلاً ، ومن القيام بعمل يفوق مائة ضعف ما كنا نقوم به في يوم واحد ، ومن رفع ثقل يزيد ألف ضعف على اي ثقل كنا نرفعه ، ومن ارسال صوتنا مسافة تفوق عشرة آلاف ضعف المسافة التي كنا نستطيعها قبلاً كل هذا حسنٌ ولكننا نستطيع ان ننظر الى المسألة من الوجهة الاخرى فنقول : ان العلم لم يوضح لي توضيحاً وافياً شعوري وضميري . ولم يفهمني لماذا استطيع ان اؤلف في الموسيقى ولا لماذا استطيع ان اوقعها او اتمتع بها — الا قوله اني ارث ذلك من والدي واسلافهما . والعلم لم يبين لي لماذا احب ابنتي هذا الحب الجم . ولا لماذا استطيع ان انظم شعراً — اذا كنت استطيع ذلك — او هل لي نفس خالدة؟

ما عند العلم ، او عند العالم المختص بالبيولوجيا الانسانية ، عن الخلود ؟ الواقع ان ليس عنده شيء . فالعلم يصف لنا ، موت الجسد ، ويتتبع ما يصيبه بعد الموت ، ولكن هل هذا الموت نهاية الشخصية — سواء كانت نباتية او حيوانية — ؟ انه لا يعلم . ومع ان بعض العلماء يدعون انهم يعلمون ، الا ان مجملهم يتخذ موقفاً لا ادرياً

والواقع ان العلماء لا يدرون مع ان بعضهم يسلم بما يقدمه الروحانيون من الادلة على بقاء الروح بعد الموت . ومع ان العلم لا يستطيع ان يقيم الادلة على بقاء الروح بعد الموت ، فهو كذلك لا يستطيع ان ينكر امكان هذا البقاء . والعالم الذي ينكر هذا الامكان ، ينكر كذلك قواعد العلم — لان هذا الانكار يعني انه عرف كل نظام الطبيعة وان الخلود ليس جزءاً منه



والعلم لا يدعي انه يعرف — رغم الاشياء الكثيرة التي حققها العلماء — الا جانباً ضئيلاً من نظام الطبيعة . ولكنه يحاول محاولة مستمرة ان يوسع نطاق معرفته . فالبحث العلمي ، في الجامعات ، والمعاهد ، والجمعيات ، والشركات الصناعية الكبيرة وما ينفق عليه من الحكومات والمحسنين ، اعتراف من رجال العلم ومن الجمهور كذلك بقيمة المعرفة العلمية ، وهو كذلك اعتراف ، بحدود هذه المعرفة . انه اشارة الى كثرة الامور التي نجهلها رغم رغبتنا في معرفتها على وجهها الاوفى

وللبحث العلمي فتوحات عظيمة . فالحقائق تجمع من كل حذب وصوب ، وتبوء ، ويربط بعضها ببعض ، ثم تورث للاجيال التالية . فلا عجب ان تجد رجال العلم ، وقد احصوا انتصاراتهم على المحاولات العديدة ، يدعون ، ان النصر النهائي وشيك التحقيق ولكنني كرجل غني بالبحث العلمي ، وادرك انتصاراته الرائعة ، اريد ان اعرب عن ربي في امكان العلم معرفة كل شيء

وخارج نطاق العلم يوجد ميدان العقيدة الدينية . وقد ذهب بعضهم الى ان العلم مناقض للدين ، متعصب عليه . ولكن هذا يجب ان لا يكون . فثمة متعصبون من رجال العلم ومن رجال الدين . وهؤلاء المتعصبون يقولون اقوالاً مبنية على التحكم مثيرة للنفوس . وقد يكون الدين من اكثر رسل المسيح او محمد حماسة . وبعضهم كذلك . وقد يكون بعض زعماء الدين من اول الذين يرحبون بكل تقدم علمي . وبعضهم يفعل . قد يكون العلم محققاً ، وكذلك قد يكون الدين . فالعلم والدين حقيقتان من حقائق الحياة . ويجب علينا ألا نحسب احدهما نافياً للآخر بل ان كلا منهما مكمل لصاحبه . والحياة الكاملة تشتمل على الاثنين وتعتمد على الاثنين

ادع سبب الاشياء والحوادث « الله » . وادع طريقة حدوثها « العلم » . فالعلم لم يفسر قط الاسباب النهائية . ولا هو يدركها . انما هو يعنى بسير الحوادث التي يسلم بها لانه يختبرها بأسلوب من اساليبه . ومن بواعث السرور ان نطاق المعارف العلمية قد اتسع هذا الاتساع ومن بواعث الاسف ان بعض الضيقي العقول من اتباعه يدعون انه يعرف اكثر مما يعرف حقيقة . ان هذا غير لازم لتجديد العلم

لقد ارتقى العلم ارتقاءً عظيماً من عهد الحضارات الاولى الى الآن . ولكننا لا نعرف الآن عن الاسباب الطبيعية النهائية اكثر مما كان اليونان يعرفون او المصريون او رجال العصر التيندوتالي . فالسبب الاول ، والمصير النهائي خارجان عن نطاقه

### صاحب هذا المقال

هو المستر فرن كلوغ  
سكرتير مجلس البحث القوي  
بأميركا واحد علماء الاحياء  
المشهورين



# اموال التعويض وديون الحرب

بيان توزيعها السنوي

بالجنينة الذهب

١٨٧٢٠ ٠٠٠	﴿ المانيا ﴾ ما تدفعه الى حكومات الحلفاء بموجب برنامج يونغ
٤١٩٠٠ ٠٠٠	﴿ فرنسا ﴾ الوارد من المانيا
٣٦٠ ٠٠٠	الوارد من دول اخرى
٤٢٢٦٠ ٠٠٠	مجموع الوارد
١٢٠٠٠٠٠٠	الخارج الى الولايات المتحدة الاميركية
١٢١٦٠٠٠٠	الخارج الى انكلترا
٢٤١٦٠ ٠٠٠	مجموع الخارج
١٨١٠٠٠٠٠	الباقى في فرنسا
١٧٣٦٠ ٠٠٠	﴿ انكلترا ﴾ الوارد من المانيا
١٢١٦٠ ٠٠٠	الوارد من فرنسا
٤٠٠٠ ٠٠٠	الوارد من ايطاليا
١٣٨٠ ٠٠٠	الوارد من امم اخرى
٣٤٩٠٠ ٠٠٠	مجموع الوارد
٣٤٣٠٠٠ ٠٠٠	الخارج للولايات المتحدة الاميركية
٦٠٠ ٠٠٠	الباقى في انكلترا
٩٣٦٠ ٠٠٠	﴿ ايطاليا ﴾ الوارد من المانيا
٢٤٠ ٠٠٠	الوارد من امم اخرى
٩٦٠٠ ٠٠٠	مجموع الوارد
٢٩٦٠ ٠٠٠	الخارج الى الولايات المتحدة الاميركية
٦٩٦٠ ٠٠٠	الخارج الى انكلترا
٦٩٦٠ ٠٠٠	مجموع الخارج
٢٦٤٠ ٠٠٠	الباقى في ايطاليا
٤٩٢٦٠ ٠٠٠	﴿ الولايات المتحدة الاميركية ﴾ الوارد من انكلترا وفرنسا وايطاليا
٣١٤٠ ٠٠٠	الوارد من المانيا
٤٧٢٠ ٠٠٠	الوارد من امم اخرى
٥٧١٢٠ ٠٠٠	المجموع وكله يبقى فيها



# العلم وطبيعة الالوهية

## النظرة العلمية التوحيدية

إن كان للعلم رسالة عامة غير شتى رسالاته الخاصة التي تتكشف عنها مختلف طرقه ومباحثه فهي هذه — اننا في كون محدود في اجزائه ومداه مغلق في ناحيته الفضائية والزمنية، واننا، على ما نعلم، الموجودات الوحيدة في طول هذا الكون وعرضه التي تستطيع ان تعرف شيئاً عن كلياته وجزئياته، واننا لذلك يجب ان نسلط هذه القدرة الفريدة التي حباها بها الكون، اي قدرتنا على معرفته، على كل ما فيه من دون اي استثناء، والا نكون قد قصرنا عما ينظره منا الكون اذ سمح بيزوغ هذه الصفة فينا، فنصبح ونحن لسنا اهلاً للتمتع بهذه المنحة الكونية الغالية

ونحن اذا ما نظرنا الى الانسان وهو ثمرة خالصة من ثمار هذا الكون فانا لا نعدو عن ان نعبر بذلك عن عقيدة علمية صرفة، اذ العلم يؤمن بوحدة كل ما في هذا الكون ولا يسمح بتجزئته الى اكوان مستقلة منفصلة بعضها ببعض. فالعلم اذا ما راد الكون زمناً وفضاءً، اجزاءً وسنناً، الفاه وحدة متراسة تسبب الحوادث فيه بعضها بعضاً وتتداخل في علاقات متبادلة عديدة وعندما يصل الى الانسان لا يعتبره متمرداً على هذا التداخل والتسبب بل يراه تربطه بالكون اوثق الروابط وهو عند ما لفظه الكون وقال له كن فكان لفظه من لحمه ودمه وامتعته بخصائصه وسننه

هذه النظرة التوحيدية لكل ما يملأ هذا الكون هي كنه ما تتسم به الحركة العلمية الحديثة. فانت اذا طرقت ببحثك العلمي ناحية جديدة من هذا الكون فأول ما يطلبه العلم منك ان لا تلجأ الى فروض ومبادئ جديدة في تحليل هذه الناحية وتعليلها بل ان تجرب فيها المبادئ والفروض المألوفة التي محصها العلم في نواحي الكون الأخرى والفاها تنطبق عليها. وبعد ان تستنفد مبادئ العلم المعروفة ولا تجد مع ذلك واحدة منها تصلح لتعليل ما يعترضك من المظاهر الجديدة عندئذ فقط يسمح لك العلم بأن تبدع مبادئ معللة جديدة. وكثيراً ما يخيل الى عالم انه مضطر الى هذا الابداع لتعليل مشاهدات معينة لكنه لا يلبث ان يخلفه عالم آخر يثبت خطأه وانه لا يحتاج في التعليل المنشود الا الى تنسيق خاص لنخبة خاصة من المبادئ العلمية المعروفة. على هذا النحو يقتصد العلم اياماً اقتصاداً في عدد مبادئه وطرق تطبيقها



واذا رسم العلم هذه الحدود للتعليل فهو برغم ذلك لا يعرف حدوداً لمادة بحثه ، او هو على الاقل يزعم بادىء ذي بدء ان مادته تشمل كل ما في الوجود ويسير بحثه على هذا الزعم . فاذا وجد في سياق البحث او في نهايته ان طريقته تسقط من تلقاء نفسها ومبادئه لم تعد تصلح للمراحل الجديدة من البحث عندئذ يلقى بسلاحه الى الارض ويرتد خائباً عن تلك الناحية من الكون التي انتهى اليها بحثه . والمهم في هذا التصرف ان العلم لا يقرأ بالهزيمة في بدء بحثه بل قد يُقسر على هذا الاقرار في سياق البحث او في نهايته ، شأنه في ذلك شأن المقاتل الشجاع الذي لا يجبن امام اية قوة ولا يلين له عود في اي نزال ، فإمّا ان يسقهر ويسنصر او ان يخرج صريعاً في ميدان الوغى مستنفداً جميع حيله غير مذكّر ذرة واحدة من قدرته

### العلم وكثر الله

لذلك لا يستطيع ان ارى كيف يمكن ان يؤخذ العلم في شيء اذا حاول تحليل فكرة «الله» ووصف ما يعتبره مضمونها الصحيح . إن العلم سعي نزيه لا يتوخى الا الحقيقة الصرفة فاذا كان له ما يقوله في شأن من الشؤون فاعلى الحر ، بعد ان يتحقق نزاهته واخلاصه ، الا ان يصغي لما يقوله بعطف وورع . والغريب ليس ان يكون للعلم قول خاص في طبيعة الله بل ان لا يكون له هذا القول ، لأن الله اخطر موجودات الكون ، والعلم كسعي نزيه لتعرف الحقيقة عن جميع موجودات الكون لا يسعه الا ان يعرض لهذا الموجود الخطير الذي نعبر عنه بلفظة الله ، بل حري بالمرء ان ينحي باللائمة على العلم اذا هو وقف صامتاً اخبل ليس له ما يصرحه بشأن الله

والحقيقة ان العلم في نزعتة الاخيرة اخذ يدلي بصراحة تامة بما سبق الى اعتقاده عن «الله» وطبيعته . ولا يقتصر هذا النشاط في البحث الحر عن الله على العلماء بل هو يشمل التيار الفكري الحالي على اطلاقه ، اذ ان الفلاسفة والمفكرين يبدون بدورهم ، تحت تأثير العلم والبحاث وتصريحاته ، نشاطاً فريداً في هذا الباب من التفكير . ومرادي في هذا المقال وما يتلوه من المقالات التي تتناول نفس الموضوع ان اجمل آراء اهم الفلاسفة والعلماء المعاصرين في الله وطبيعته او بالاحرى في تلك النواحي من الكون التي لا نعرف انسب من لفظة «الله» ، بما تتضمنه من غنى المعنى وقوة الدلالة ، تعبيراً عنها ووصفاً لها

### رأى ادنجن

احب ان ابدأ برأى الفلكي الانجليزي الشهير ادنجن استاذ الفلك في جامعة كمبرج بانجلترا لان هذا العالم يعد ثقة في الفلك والرياضيات والطبيعات معاً وهو لذلك يستخلص رأيه



من هذه الفروع العلمية التي يُمجِّدُها كل الإِجادة . فانت لا تراه يبنّي عقيدته وإيمانه «بالله» على تعاليم دينية صرفة او على تقاليد بشرية تلقّنها من امه وبيئته ومدرسته بل هو توصّل الى نقطة في دراسته للطبيعة شعر امامها بوجود الايمان بشيء له بعض خواص الله وهو لهذا السبب يؤمن به الآن . واذن يستحق ان يعتبر احد رواد «الله» العلميين في هذا العصر لانه استكشف بعض صفاته ببحثه العلمي الخاص

فما هي هذه الصفات الالهية التي رأى ادنجت ان ابجاثه العلمية تنتهي اليها ؟ معلوم ان المادة في اقصى تركيبها ليست سوى شحنات كهربائية خالصة يطلق عليها اسماء البروتون والالكترونون اشارة الى ما هو موجب وما هو سالب منها

ومعلوم ايضاً ان اي جوهر فرد من الجواهر الفردة الاثنين والتسعين يستطيع ان يشع نوراً او اي اشعاع اثري آخر بشرط ان يكون الجوهر الفرد في حال خصوصية من حيث الحركة والبيئة الطبيعية التي تتفاعل معه . وعملية الاشعاع هذه تدمغ الجوهر الفرد بعلامة خاصة بحيث اذا جرى اشعاع استطعنا ان نتأكّد من حدوث هذه العلامة الفارقة في تركيب الجوهر الفرد . وإذا شاهدنا او استنتجنا حدوث هذه العلامة استطعنا ان نقن ان ثمة اشعاعاً معيناً وقع ، اي ان الصلة بين الاشعاع والعلامة الفارقة صلة تبادلية حتمية . وهذه العلامة الفارقة هي ان يسقط الالكترونون من احد افلاكه حول النواة الى فلك اصغر فيقترّب بذلك منها . ويستطيع الالكترونون كذلك ان يسقط الى فلك اقرب فاقرب من النواة حتى يلصق بها اخيراً . وفي كل من هذه السقطات او الوثبات ينبعث من الجوهر الفرد اشعاع معين تتوقف موجته على مقدار الوثبة ومركزها . وعند ما يندغم الالكترونون في الوثبة الاخيرة بالنواة يكون الجوهر الفرد قد استنفد جميع الطاقة الممثلة بوجود هذا الالكترونون داخل نظامه وتكون قد استحالت هذه الطاقة المخزونة الى طاقة اشعاعية خالصة . على هذا الشكل التدريجي تزول المادة وتستحيل الى اشعاع

وهنا يقوم التساؤل الهام الآتي : متى يشب الالكترونون والى اي مدى يشب ؟ وعلى هذا التساؤل لم يحظ العلم للآن بالجواب المرضي ، فلا هو يعرف متى يشرع الالكترونون في السقوط <sup>(١)</sup> ولا الى اي مدى يصل في سقطته . لكنّه — اي العلم — يعرف انه متى يشرع الالكترونون يسقط نحو النواة توجد عدة احتمالات للمدى الذي يستطيع ان يقطعه ، تمتاز بعضها عن بعض باحتمال حدوثها ، اي انه بالرغم من عدم امكاننا القطع في وجوب وقوع احد هذه الاحتمالات

(١) بإمكان الالكترونون ايضاً ان يصعد في جو الجوهر الفرد اي ان يبتعد عن البروتون ، ويحدث هذا متى امتس الجوهر الفرد اشعاعاً وقع عليه . والعلم يحلّ سبب الصعود كما يحلّ سبب السقوط ، لذلك تكفي في بحثنا بالرجوع الى السقوط فقط اذ ما يطلق عليه يطلق على الصعود كذلك



وعدم وقوع سواها نستطيع الجزم بأن احدها مرجح على ما عداه . كذلك نستطيع ان نحسب بالضبط مقدار الاشعاع الذي ينطلق من اي هذه الاحتمالات . وبالمجمل فانه ليس باستطاعة العلم التنبؤ عن وثوب الالكترون ولا عن مدى هذا الوثوب لكنه يستطيع متى وقع الوثوب ان يعين النتائج الطبيعية المرتبة عليه تعييناً علمياً مضبوطاً . مثله في هذا مثل امره لا يستطيع التنبؤ بحدوث حرب عالمية لكنه يعرف تمام المعرفة ان هذه الحرب متى وقعت ستبيد المدينة الاوربية الحاضرة

نلاحظ من كل هذا ان للعلم حدوداً لا يستطيع تخطياها اذ يجد في نشر لواء معرفته على جميع اسرار هذا الكون . ومتى ادركنا طبيعة هذه الحدود ومعناها الفلسفي رأينا انها العلم بمثابة نقص معيب لا تمكن ازالته بسهولة . فطبيعة هذه الحدود ومعناها الفلسفي ، الا ان العلم لا يستطيع ان يشمل بطريقته ومبادئه جميع تصرفات هذا الكون ، وان ثمة تصرفاً خطيراً كل الخطورة بمنجاة تامة عن الاسلوب العلمي ، هو تصرف الالكترون قبيل انبثاق اشعاع منه . والاشعاع هو الوسيلة الوحيدة التي نعرف بواسطتها ما يجري داخل الجوهر الفرد والاثّر الوحيد الذي يربط حوادث الجوهر الفرد الداخلية بحوادث الكون الاكبر الذي يكتنفه . واذ ان عدم استطاعة العلم الاحاطة بسر هذا المفتاح الوحيد للجوهر الفرد من الخطورة والعيب بما لا يستطيع احد ان يبالغ في التحريج عليه

من كل هذا تبرز حقيقة ناصعة عن تصرف الكون في نهاية تركيبه هي ان ثمة وجهة نهائية من هذا الكون تتصرف وكأنها مطلقة الحرية في تصرفها ، فلا سنن طبيعية تطلق عليها ولا قوانين رياضية تضبطها . اخذ العلم يحلل الكون بأسلوبه القديري الى ان توصل في نهاية تحليله الى ناحية خارجة في تصرفها ، على ما يلوح ، عن هذا الاسلوب ، فلا حيلة لديه للاحاطة بأسرارها . ولو كان العيب مقتصر على مجرد نقص في المعرفة لما نجم عنه شيء ذو بال اذ ما اكثر ما عجز العلم عن تفهم مكنوناته بعد ، لكن الامر تعدى مجرد هذا النقص السلبي في المعرفة الى ادراك ان الابداع والحرية من اخص خصائص الكون . فالكون تعلوه وتستقر في كنهه مسحة خالصة من الحرية والابداع لا سبيل للآلية العلمية اليها

من هنا ينشأ ايمان ادنجنجت بالله اذ هو يرى في هذه الحرية القصوى التي يتمتع بها الالكترونون في تصرفه خاصة من اهم خصائص الله . الخلق والحرية والابداع ، هذه صفات اقترنت بالله منذ ان وعى الانسان الله . فاذا تكشف البحث العلمي عن تقشي هذه الصفات في تصرف الكون النهائي فما اجدر ان يقر العالم النزيه أن ما كان التقليد الديني يوصي به كصفة هامة من صفات الله هو بالفعل شائع في ادق حوادث الكون

هذا هو نوع المنطق الذي حدا بأدنجنجت الى اليقين الشخصي بالله . يعرف ادنجنجت ان أي



تغير في وعيه وادراكه مرتبط اوثق الارتباط بتغير خاص في تركيب جسمه وهذا التغير الاخير يمكن الوصول به تحليلاً الى مركبات جسمه القصوى ، اي الى الكترونات فتصبح بين وعي ادنجن وبين الكترونات صلة وطيدة . بحيث اذا حصل تغير في حال الكترونات عقبه تغير في وعيه ناجم عنه . ويعرف ادنجن ايضاً ان الكترونات جسمه وخصوصاً جهازه العصبي ، تشارك جميع الكترونات الكون في تصرفها الحر الطلق . واخيراً يعرف ان هذه الحرية التي تخضع عنها العلم الطبيعي تستوي في مصدر الحرية والخلق ، اي في الله . لذلك كلما فكر في شيء او اختبر امرأً شعر ان هذا التفكير والاختبار مشروط بالله متوقف عليه مثبت فيه . اذا مرت بذهنه فكرة أو إذا جنح الى حال نفسية خاصة قام في جسمه ، وخصوصاً في جهازه العصبي تغير الكتروني حر في انبثاقه مضبوط في نتائج . ولما كانت هذه الحرية تتوحد بين جميع الكترونات الكون في مبدأ واحد هو الله جاز ان يقوم بذهن ادنجن كلما فكر او اختبر انه انما يفكر ويختبر لان « الله » في اقصى تركيبه الطبيعي قد لمسَهُ

### نظر رأي ادنجن

هذا ملخص ما يرتكن عليه ادنجن في رأيه في « الله » . ونحن اذا اقتصرنا على هذا العرض الايجابي للرأي دون ان ننقده ونبين اوجه الضعف فيه لا نكون قد ادينا واجبنا العلمي الذي يقتضي ان نلم بأي موضوع من جميع نواحيه ، السلبية منها والايجابية . فاذعاناً لهذا الداعي العلمي المقدس نبحت الآن الالوهية التي يؤخذ بها على رأي ادنجن في الله علمنا ان ادنجن يستنتج الله من دراسته لتصرف الالكترون اذ يلمح في هذا التصرف مزية خالصة في الحرية والسلوك الذاتي فلا يرى انسب من لفظة الله تعبيراً لهذه الحرية والذاتية . وأول ما يعاب على هذا الاستنتاج لله انه مبني على نظرية علمية قد ينقضها غداً البحث العلمي المقبل لأن لنا من تاريخ العلم الحديث اكبر رادع عن الاسترسال في ترتيب أية نتائج فلسفية فصول على أية نظرية علمية موجبة . ليست النظريات العلمية الموجبة سوى حيل ذهنية يلجأ اليها العقل البشري إذ يحاول تنسيق مشاهدات تسفر عنها التجارب العلمية . ومن ابسط البديهيات العلمية ان أية مجموعة من المشاهدات لا يمكن في حال من الاحوال ان تظل منيعة التقدم مستقلة العدد ، بل قد تتسرب الى قدسها غداً حقائق جديدة تعصف بها وبالنظم التي صيغت فيها وتضطرب العقل البشري الى اعادة عملية الصوغ هذه من جديد حتى تبرز جميع الحقائق ، القديمة منها والجديدة ، في تنسيق تعليلي جديد انسب ضماً وتعليلاً لجميع الحقائق المعروفة ، من التنسيق المنسوخ . فما ادرانا ما تضره الابحاث العلمية المقبلة لهذه النظرية عن التصرف الحر للالكترون ؟ قد يأتينا بور او دي بروي أو كملن غداً بمشاهدات جديدة تقتضي قلب



النظرية القائلة رأساً على عقب واشادة هيكل تعليلي جديد لا محل فيه لفكرة الحرية في التصرف . اذاً من الحكمة الغالية التي يملها علينا تاريخ العلم الحديث ألا نتسرع في الاخذ بأية فلسفة عامة تلوح انها مترتبة على أية نظرية علمية خصوصية

هذا لا يفيد أنه لا يجوز لنا التفلسف في العلم وأبحاثه ونتأمله إذ ليس ابعده من هذا القول عن رأينا في الفلسفة وفي العلم . لكن اذا جاز التفلسف في العلم فهو لا يجوز حقاً على النظريات العلمية الخصوصية التي قيامها وسقوطها رهن حقائق تجريبية جديدة ، بل هو يجوز على (١) الروح العلمية العامة ، (٢) وعلى الاسلوب العلمي في البحث والكشف عن الحقيقة ، (٣) وعلى الفروض العلمية العامة التي يقوم عليها أي علم واية نظرية ، (٤) وعلى النزعة العلمية التي تُجمع عليها ، ان كانت ثمة نزعة من هذا القبيل ، جميع العلوم . أمّا ان تجعل موضوعاً خطيراً كالله رهن صحة نظرية علمية معينة او خطأها ، فجازفة خطيرة ، اقل ما يقال فيها انها لا تمثل الروح الفلسفية تمثيلاً صحيحاً

وهناك موطن ضعف آخر في نظرية ادنجتن . نحن كما قلنا لا نعرف متى يشرع الالكترون في الوثوب ولا الى اي مدى يثب بالضبط ، ولكن هل هذا الجهل منا يسوغ لنا ان ننفي امكان وجود سبب لسقوطه ؟ هل اذا جهلنا امراً جاز لنا ان نتصوره فوضى لا يخضع لقاعدة ولا لحساب ؟ قد يكون ثمة سبب طبيعي خالص لتصرف الالكترون لا تمكننا معرفته لان طبيعة هذه المعرفة تتنافى وامكان معرفتنا هذا السبب . في هذه الحال لا يكون الالكترون حراً في تصرفه بل نكون نحن مركبين بحيث لا نستطيع ان ننفذ الى علة تصرفه . العلة موجودة تفعل فعلها المنتظم لكنها تظل خافية علينا لان طبيعة العملية الذهنية التي نطلق عليها عبارة « المعرفة » من التركيب بحيث لا تشمل هذه العلة من ضمن ما تشمله . وليس في هذا الامكان شيء من الغرابة أو بعد الاحتمال لاني قرأت مؤخراً في مجلة انجليزية راقية وفي كتاب لفيلسوف انجليزي يشير الى نفس ما قرأت في هذه المجلة ان هذه الحرية الظاهرية في تصرف الالكترون لا تعزى إلى أنه حر حقيقة في تصرفه لا يخضع لقاعدة ولا لسلطان بل الى احد امرين او الى كليهما . (١) أمّا ان تصرفه يضبط بقواعد علم الاحصاء الحديث الذي يتناول عدداً كبيراً من الموجودات المتشابهة ويحاول تعيين متوسط فعلها المشترك بصرف النظر عن تصرف كل فرد على حدة ، أو (٢) ان هذه الحرية الظاهرية لا تنشأ عن عدم وجود سبب خاص لتصرف الالكترون بل عن طريقة قياسنا حركته ، اي انها ناجمة عن طبيعة هذا القياس ، فاذا امكننا في المستقبل استعمال طريقة قياس اخرى فقد نجد انفسنا امام نظام محكم الضبط لا اثر فيه للحرية الذاتية

وهناك ناحية ثالثة يؤخذ بها على نظرية ادنجتن لا تقل خطورة عن الناحيتين الآتيتين .



اذا كنا نلمح «الله» في حرية تصرف الالكترونات فما الفرق في حركة الالكترونات بين الخير والشر؟ اذا كان كل من تفكير نيرون في حرق رومية وتفكير لنكن في الغاء الرقّ ناجماً عن تصرف الكترونات نيرون ولنكن في الفرق من حيث الصفة الادبية بين كلا التصرفين؟ هلاّ نماز الحركة الالكترونية التي تسبب خيراً عن تلك التي تسبب شرّاً؟ ام انّ الخير والشرّ عند هذه الحركة سواء؟ واذا كان الامر كذلك افيجوز ان نحشر «الله» في هذا الذي يستوي لديه السلوك الحسن والسلوك القبيح؟ قد كان لهذا الاعتراض ردّ لوان العلم يعرف فرقاً بين تصرف الالكترونات في حالة الشر وتصرفه في حالة الخير، اذ في هذه الحال يُردّ على هذا الاعتراض بافتراض ان «الله» يمسّ تصرف الالكترونات بقدر ما يبرز عن هذا التصرف خيرٌ ويحرمه منه بقدر ما يترتب عليه شرٌّ. لكننا، على ما نعلم، لا نعرف اقلّ فرقٍ بين تصرفات جميع الكترونات هذا الكون. الحرية في جميعها من حيث الدرجة واحدة، وسنن الاشعاع والتفاعل واحدة بين جميعها، فالعلم لا يستطيع ان يشير في الوقت الحاضر الى أي فرق من حيث الحرية بين تصرف الكترونات نيرون والكترونات لنكن. ولهذا يسقط التمييز الديني بين الخير والشر في السلوك مع ان هذا التمييز لا يقل ضرورة في وصف الله عن الحرية والخلق والابداع اما الاعتراض الرابع والاخير على نظرية ادنجن فنكتفي بالاشارة اليه اشارة لانه يتناول بحثاً فلسفياً عويصاً لا نعتقد ان هنا مجال الخوض فيه. وهو يقوم على عدم تحليل ادنجن لما يقصد بالحرية. الحرية فكرة صعبة التحليل لا يمكننا ان نزعّم باديء ذي بدء انها واضحة من حيث المعنى والدلالة لا تحتاج الى زيادة حدٍّ أو تعيين. وجلّ ما نستطيع ان نستخلصه من قول ادنجن عن الحرية انها ليست ما يخضع للقوانين والسنن الطبيعية وهذا قول سلمي عنها لا يفيدنا شيئاً عن طبيعة الحرية الموجبة. اذ من القواعد المنطقية الاولى ان مجرد المنع في التحديد لا يفيد كثيراً أو قليلاً عن خواص الشيء المحدّد. فمثلاً ماذا نفهم من طبيعة الانسان عند ما نقول انه ليس بالحجر الصواني. لهذا يجب ألا نهمل كثيراً لقول ادنجن ان الحرية من خواص الكون القسوي واننا بها نلمح «الله» منبشاً في الكون الا اذا عيّن لنا ما يرمي اليه بالحرية تعييناً كاملاً إن «الله» اخطر الكائنات، ومن خصائصه المتمتع بالخلق والحرية والابداع والكمال الادبي، فاية فلسفة بشأنه يجب ان تشمل فيما تشمله هذه الصفات، وان تحدّد ما تقصدها تحديدّاً لا بداخله لبس ولا ابهام. ومع ان نظرية ادنجن في «الله» تخرج على اهمية اسناد الحرية الى الله الاّ انها تعجز عن تبين اي تمييز ادبي في تصرف الكون، هذا فضلاً عن انها مشيئة على نظرية علمية خاصة قد ينسخها البحث العلمي المقبل. لذلك نكون قد اعتصمنا بغالي الحكمة اذا نحن صددنا انفسنا عن التفلسف بشأن «الله» برعونة وتسرع واذا نحن حاولنا ان ننسج فكرة «الله» من اعم وادق واعمق ما تحيط به خبرتنا البشرية



## الشعر والعلم

« رأينا في مجلة الشعر مقالة تنعش النفوس لاولينفر ده الس  
فقتضى فيها على سخافة بعض القائلين بوجود التناقض بين الشعر والعلم.  
وكان حقه ان يزيد على ذلك ويقول ان اسمى مواهب الشعر ملتحة  
باسمى ما بلغه العلم، بل هي نفس ما يتوخاه العلم. فالبعض من اعظم  
الشعراء مثل دانتي كان من علماء عصرهم. وقد تاق الشاعر وردزورث  
في ما كتبه في مقدمة ديوانه « القصائد الغنائية » الى الزمن الذي  
يصير فيه العلم العصري من مقومات الفئة الناهضة وعناصر ثقافتها،  
فبيث في الشعر روحاً جديدة كما بثت الفلسفة في اشعار لقريطيوس  
وفرجيلوس وكما بثت علوم العصور الوسطى في اشعار دانتي. والعالم  
والشاعر ينظران الى نواميس الكون على حد سوى، والفرق بينهما  
ان العالم ينظر اليها من حيث تحقيقها واستخدامها، والشاعر ينظر اليها  
من حيث علاقتها بنفس الانسان. فنظر العالم خارجي مرتبط بالحوادث.  
ونظر الشاعر داخلي يتوقف ادراكه على حالة النفس. ولقد احسن  
وردزورث اذ قال: « ان الشعر هو التعبير النفسي عما في ضمير العلم ».   
ويمكن ان يزداد على ذلك ان غرض العلم الوصول الى الحقيقة مجردة،  
وغرض الشعر الوصول اليها مشفوعة بالمسرة » [عن نايتشر]



# المناخ ونشاط الانسان

لحضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا

وكيل وزارة الداخلية للشؤون الصحية

## ٦ - أنسب مناخ لنشاط الانسان

يوجد حد اقصى وحد ادنى لكل عنصر من عناصر المناخ لا يمكن للكائن الحي ان يعيش فيه من غير ان يتعرض للخطر وقد يكون ذلك سبباً في انقراض نوعه فلو بلغت درجة الحرارة على سطح الارض المائة فهرنهايت واستمرت على هذه الدرجة لانعدمت كل الكائنات اما اذا بلغت درجة الجليد فان الكثير من الاحياء الدنيا تموت غير ان الحيوانات الفقيرة الباردة الدم تتحمل الانخفاض الشديد في درجة الحرارة وقتاً طويلاً ولكن اذا تحملته بعض النباتات فانها لا تتناسل . وهذا يصدّق أيضاً على الانسان والحيوانات ذوات الدم الحار ان لم تستق البرد بالتدفئة الصناعية . ومن المشكوك فيه ايضاً انها تتناسل في الجو الشديد الرطوبة اذا انعدم التبخر . وقد لوحظ في اليابان انه عقب الصيف الحار المشبع بالرطوبة تكثُر ولادة الاطفال الموتي . ولا يوجد ما يثبت ان الرطوبة اذا انخفضت الى حدها الادنى تسبب فناء الانسان ولكنها اذا انعدمت فان تأثير ذلك في موارد المياه والنبات يسبب هذا الفناء لان جفاف الهواء الشديد في المناطق الحارة يضيق الانسان جداً بسبب ما يشعر به من العطش فيضطر الى الافراط في شرب الماء ومع ذلك فانه لا يرتوي . واما في المناطق الباردة فلا يسبب الجفاف جداً تاماً ويمكن للانسان ان يعيش في مناخ كهذا ما دام الغذاء والماء متوافرين . ومن العناصر التي لاغنى عنها للحياة ضوء الشمس الذي لو انعدم لما عاش مخلوق على الارض . واذا سكنت حركة الرياح فان سكونها يسبب تلوث الهواء بمفرزات النبات والحيوان والانسان وفضلات الصناعات كما يسبب التبخر تشبع الجزء المجاور لسطح الارض من الجو بالبخر والغازات فيزيد في مضايقة الانسان وتصبح الحياة غير محتملة . ويشاهد ذلك في الازقة القذرة في فصل الصيف وقت سكون الرياح وكذلك لا يمكن للانسان او اي كائن حي آخر ان يعيش في المناطق التي تتوالى فيها الانواء والازواج لانها تهلك الحرث والنسل وتكون هذه المناطق غير صالحة لسكنى المخلوقات

فن هذا يرى ان الانسان لا يمكنه ان يعمل بنشاط جثماني وذهني في المناطق التي يكون جوها بالحالة التي ذكرناها وقد يستطيع بعض الناس ان يعيشوا في الجهات التي يبلغ الطقس فيها



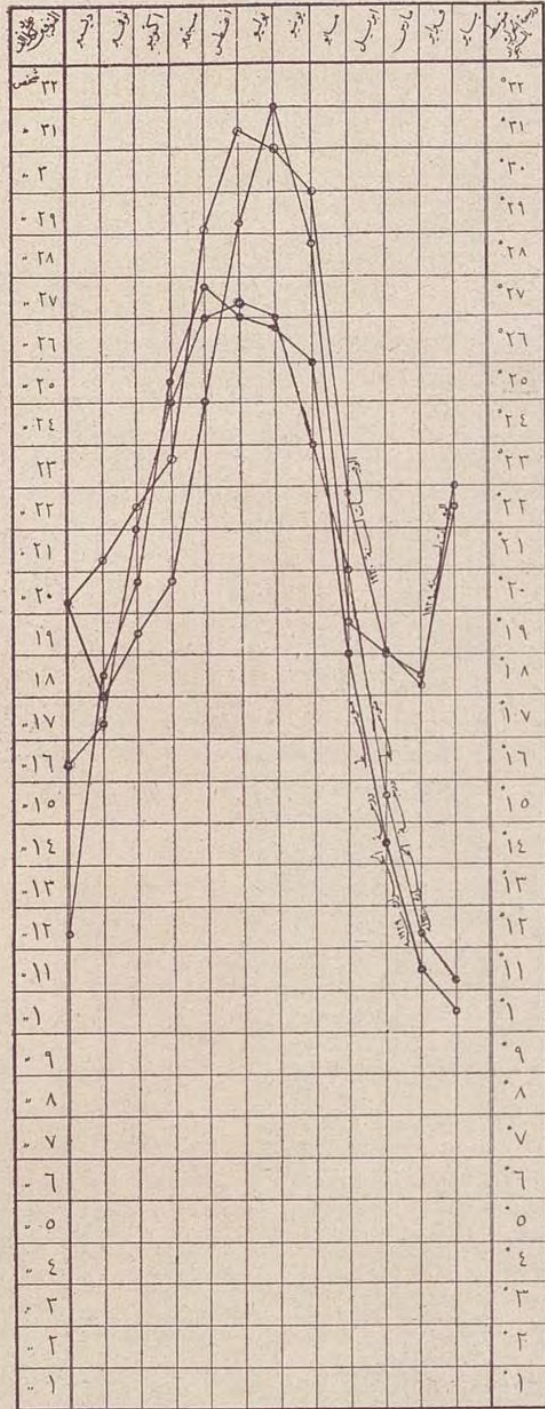
حدوده القصوى او الدنيا ولكن هؤلاء يكونون عادة عديمي المهمة متأخرين من حيث الاخذ  
باسباب المدنية وهذا ليس ناشئاً عن ضعف بنيتهم فهم عادة اقوياء ولكن لانهم مضطرون ان  
يصرفوا جل قوتهم الى مقاومة البيئة الرديئة التي يعيشون فيها . وكذلك ندرة لوازم الحياة  
لديهم من الغذاء ونحوه تعوقهم عن ابتكار وسائل ومرافق جديدة للحياة لانهم لا يجدون  
من همتهم بقية يصرفونها في هذه الغاية اي في سبيل العمل على تقدم المدنية عندهم كما يفعل  
سكان المناطق المعتدلة. فهم دائماً في حاجة الى استنفاد همتهم في حفظ الدم في حدود الدرجة  
الطبيعية من الحرارة وهذه الطوائف من الناس تقطن الجهات كغابات الامازون بأمريكا الجنوبية  
وسيبيريا . اما النسب درجات الحرارة لنمو النبات فهي ٣٠ سنتجراد واقلها ١٠ واذا بلغت درجة  
الحرارة ٣٨ او ٣٩ ليل نهار تعرض النبات للفناء هذا اذا ظلت عناصر المناخ الاخرى غير  
متغيرة لان الرطوبة كما أسلفنا أثراً في المناخ . وقد وجد ان الجو المشبع بها نوعاً تكون الوفيات  
فيه اقل نسبة مما تكون في الجو الجاف جداً حتى ولو كانت درجة الحرارة في كلا الجوين هي  
النسب الدرجات للانسان . غير ان الجو الحار او الجو البارد المشبع بالرطوبة يكون ضرراً للانسان  
اكثر من ضرر الجو المعتدل المشبع بها ايضاً ولذلك ترتفع نسبة الوفيات في الجو الحار المشبع  
بالرطوبة . ويتضح من الرسم البياني عن الوفيات بمصر ان زيادة الوفيات بها ولا سيما بين الاطفال  
تتبع ارتفاع درجة الحرارة في الصيف في اثناء شهري يوليو واغسطس اللذين تزداد فيهما ايضاً  
نسبة رطوبة الجو . ويمكن القول اجمالاً ان الرطوبة الزائدة تدعو الى التحول والضعف واذا  
وصلت الى درجة التشبع اصبحت غير محتملة . وقد دلت التجارب التي عملت على ان النسب  
الاجواء لنشاط الانسان ما كانت حرارته حوالي ١٩ او ٢٠ سنتجراد مع درجة رطوبة بنسبة  
٨٠ في المائة وحركة هواء لا يكاد يُشعر بها . ويشعر الانسان بالمضايقة اذا كان الهواء  
ساخنًا وشديد الحركة لانه لا يترك الفرصة للهواء الملامس للجسم لكي يبرد بل يجعله دائماً  
تحت تأثير طقس ساخن ولا مشاحة في ان هذا يقلل من كفاية الجسم للعمل

ولا يقصد مما ذكر ان النسب الاجواء هو المعتدل في درجة حرارته او المتناهي في الثقل  
وانما احسن مناخ هو المعتدل الثقل في جميع عناصره سواء كان في درجة الحرارة او الرطوبة  
او ضوء الشمس او حركة الريح . وقد لوحظ ان النسب ضغط جوي هو الذي يكون على ارتفاع  
يتراوح بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ قدم عن سطح البحر وأنسب ضوء شمسي هو ما كان مناسباً  
لالوان جلد الانسان في خطوط العرض المختلفة

ويتضح من الاطلاع على الرسم التخطيطي ان درجة الحرارة السابق ذكرها ( وهي ما  
كانت حوالي ١٩ و ٢٠ سنتجراد ) هي اوفق درجة للصحة ولجميع انواع النشاط في الانسان  
والحيوان والنبات

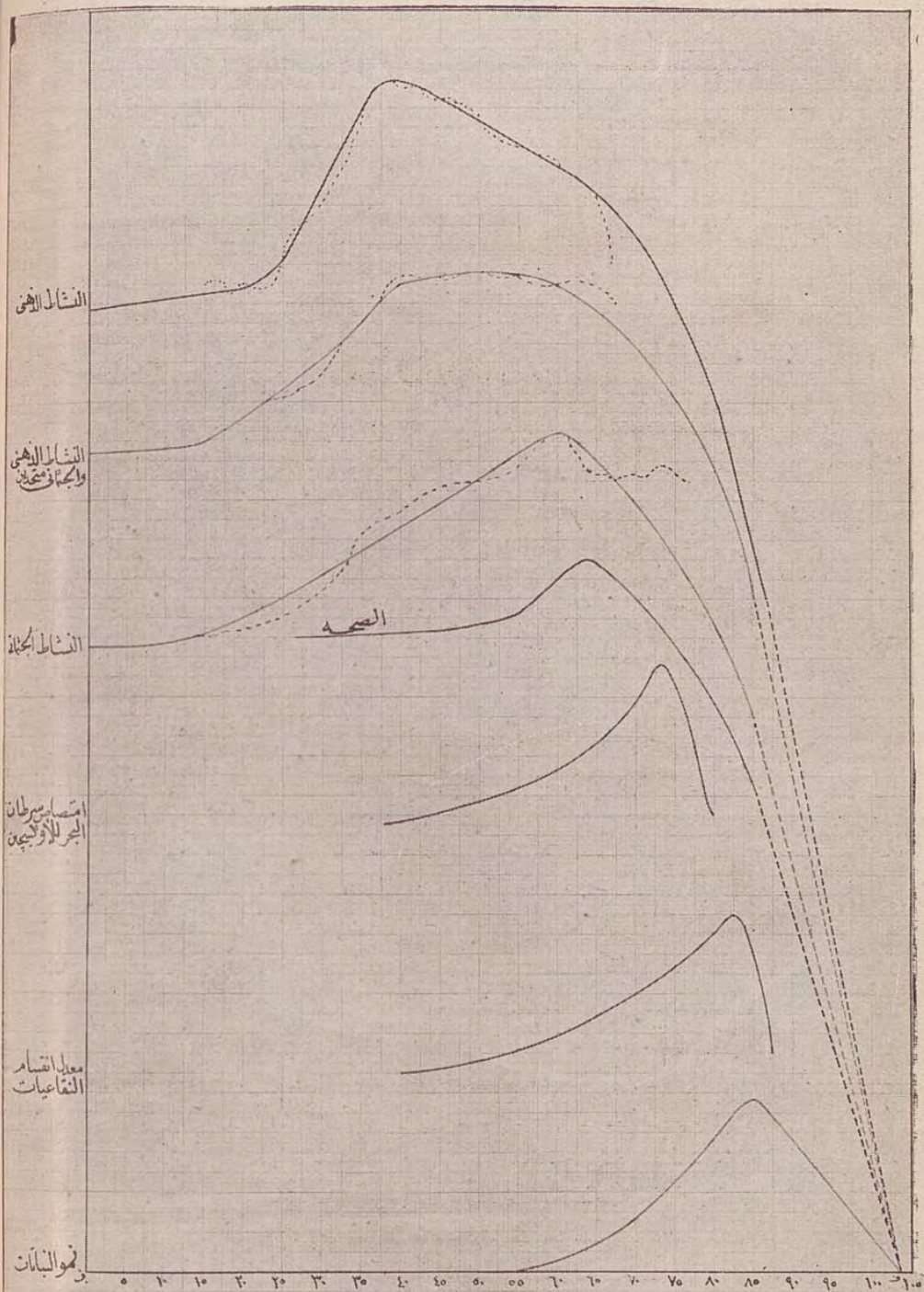


# الوقيات ووجه انحرافه بالقطر المصري



خط الوقت  
خط الانحراف





رسم بياني عن متوسط درجة الحرارة والعمليات الحيوية  
 تتأمن هنتجنس في الحفارة والطفن ( طبعه ثالثه بحامه سبد ) بيفير



## ٧ - شرح الرسم البياني رقم ١

(١) لقد روعي في حساب هذه الخطوط البيانية معدل الرطوبة وحركة الهواء وضوء الشمس التي تتوازن بعضها مع بعض بطبيعة الحال ولذلك فإن الخط الناتج عن هذه الموازنة يدل على الحرارة وكذلك مدلول باقي الخطوط. ويلاحظ في خط نمو النبات انه على درجة ٥٠ فرنهيت (١٠ سنتجراد) لا ينمو النبات العادي وعلى درجة ٥٥ ينمو قليلاً وعلى درجة ٦٠ ينمو ببطء ثم يستمر النمو في الزيادة حتى درجة ٨٥ فرنهيت (٢٩٥ سنتجراد) تقريباً. وإذا ارتفعت عن ذلك بدأ النبات في الذبول حتى درجة ١٠٠ فرنهيت (٣٧٨ سنتجراد) وهذه اذا استمرت نهائياً وليلاً مات النبات

(٢) واذا تتبعنا الخط الثاني من اسفل تبين لنا سرعة الانقسام في النقايات ذات الخلية الواحدة ففي درجة ٤٠ فرنهيت لا يحصل اي انقسام وبالتالي لا يحصل تكاثر وكلما ارتفعت درجة الحرارة ازداد الانقسام حتى يصل الى الدرجة الانسب وهي من ٨٠ - ٨٥ ثم يقل حتى درجة ٩٠ حيث يقف النمو

(٣) اما الخط الثالث فهو قياس لنشاط حيوان كسرطان البحر الذي يقاس نشاطه بمقدار امتصاصه للاوكسجين ونرى ان الحالة تشبه الحاليتين السابقتين والدرجة الانسب للنشاط هي ٧٤

(٤) اما الخطوط الاربعة الباقية فتوضح نشاط الانسان. فخط الصحة يبين الوفيات اليومية في نيويورك من سن خمس سنوات فصاعداً في درجات الحرارة الموضحة به (وهو مأخوذ عن لجنة مجلس الابحاث في موضوع الجو والانسان) ويلاحظ انه يماثل خط النبات والحيوان. والخلاف الوحيد بين هذه الخطوط هو أن هذا الخط أكثر استقامة من جهة اليسار لان الانسان يقي نفسه في الجو البارد بطريقة لا تتيسر لغيره من الكائنات بينما في درجة الحرارة العالية لا يحتاج الى هذه الوقاية. وبناء عليه يكون تأثيرها فيه كما هو في سائر الكائنات والنسب الاوقات عنده للحياة هو ما بين درجة ٦٦ و ٧٠ فرنهيت ليلاً ونهاراً (٢١ و ١٩ سنتجراد تقريباً) ويقرر بحاث آخرون ان الدرجة الانسب هي ما بين ٦٤ و ٦٥ لليوم كله (١٧ و ١٨ سنتجراد). اما خط النشاط الجسماني فيوضح مقدار العمل الذي قام به ٥٠٠ رجل وامرأة في بعض المصانع في ايام مختلفة في متوسط درجة حرارة معلومة ويمثل خط الصحة. ويلاحظ استقامة الخط في اليسار وانحرافه في اليمين عند ارتفاع الحرارة والفرق بينهما في المقدرة على العمل عند متوسط حرارة الجو الخارجي بدرجة ٦٠ فرنهيت (١٥ سنتجراد) وليس من شك في ان العمل يحدث دفئاً وبناء عليه تلائم العامل درجة حرارة اقل مما يحتاج اليه الشخص في حالة سكونه وراحته أو مما يحتاج اليه المريض اما الخط الخاص بالنشاط الذهني فهو يمثل نتيجة مسابقة حصلت بين ١٦٠ طالباً بأمريكا



وهو يشبه خط الصحة وخط العمل الجثماني الآ في دلالاته على ان النسب وقت لهذا النشاط هو في درجة ٣٨ فرنهيت أي (٣٠ و٣١ سنتجراد) ثم تلي هذه الدرجة هضبة ترتفع حتى تصل الى نسب درجة للنشاط الجثماني وهي ٦٥ (١٨ و١٩ سنتجراد) . ومما ينبغي ذكره انه بالرغم من ضعف الثقة بصحة هذا الخط فإنه من المجمع عليه بين بحاث عديدين ان الحرارة اللازمة للعمل الذهني مع ما تتمتع به من ملابس ومسكن وغذاء هي اقل مما يلزم للعمل الجثماني ويستخلص من مجموع هذه الخطوط ان النسب الاجواء للانسان صيفاً ما كان معدل حرارته ٦٥ درجة فرنهيت مع نهاية قصوى نهائية تتراوح بين ٧٠ و ٧٥ ( ٢١ — ٢٣٩ سنتجراد ) وليلاً بين ٥٥ و ٦٠ ( ١٢٨ — ١٥٥ سنتجراد ) وفي الشتاء ما يقرب من اللازم للنشاط الذهني اي ما بين ٤٥ و ٥٠ في منتصف النهار وبالليل ما يقرب من درجة الصقيع وهي ١٠ سنتجراد وهنا لا بد ان يرد على الخاطر سؤال ارى من اللازم الاجابة عنه قبل الاسترسال في البحث وهو:

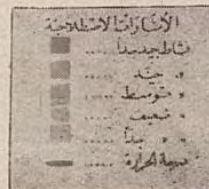
#### ٨ — هل كل الاجناس تتأثر بالمناخ على السواء

ليس من شك في ان المناخ الذي يناسب احد الاجناس البشرية قد لا يكون مناسباً للجنس الآخر بل قد يختلف ذلك حتى في نفس الجنس الواحد بالنسبة لمختلف الافراد عندما يتعرضون لمناخات مختلفة ولكن الفروق طفيفة للغاية لانه وجد ان النسب مناخ للعمل والنشاط في اليابان والولايات المتحدة والقطر المصري مثلاً متساو تقريباً . وقد جمع الهولنديون احصاءات دقيقة عن جنس من الناس عاشوا قرب خط الاستواء فوجدوا ان النسب درجة حرارة للعمل والنشاط لهذا الجنس لا تزيد الا ٥ درجات فرنهيت ( اي ٢٨ درجة سنتجراد ) عما يحتاج اليه الجنس الابيض . هذا والنسب درجة رطوبة للجنسين متساوية . وكذلك في الولايات المتحدة وجد ان النسب مناخ للسود فيها معادل تقريباً لانسب مناخ للبيض لانه لا يختلف الا في درجة الحرارة حيث تزيد عند السود ٤ درجات فرنهيت ( اي ٢٢ درجة سنتجراد ) وتزيد درجة الرطوبة بمقدار غير محسوس . فمن هذا نرى ان النسب مناخ للانسان واحد تقريباً لكل من سكان المناطق الحارة والمعتدلة على السواء

وقد وصلنا الآن الى الدرجة التي تمكنا من تعيين المناطق التي يغلب فيها الجو الانسب لبني الانسان او بعبارة اخرى يمكننا ان نعين المناطق التي يصل الانسان فيها الى اقصى غاية من النشاط — والخريطة التي تصحب هذه الرسالة قد رسمت على اساس نتائج واحصاءات عديدة وهي تبين المناطق التي يمكن ان يتمتع فيها الانسان بانسب مناخ وهو الملائم لارقي درجات النشاط . على ان البيانات المشتملة عليها هذه الخريطة لا يصح اعتبارها بمثابة حقائق قاطعة وانما يمكن اعتبارها تجريبية وان كانت المبادئ العلمية التي رسمت هذه الخريطة على ضوئها لا ينتظر تغييرها



# خريطة عالمية تبين معنى النشاط والحرارة



ملاحظات: ١. متوسط النشاط في منطقة الشرق الأوسط  
٢. متوسط النشاط في منطقة أفريقيا  
٣. متوسط النشاط في منطقة آسيا  
٤. متوسط النشاط في منطقة أوروبا  
٥. متوسط النشاط في منطقة أمريكا الشمالية  
٦. متوسط النشاط في منطقة أمريكا الجنوبية  
٧. متوسط النشاط في منطقة أستراليا  
٨. متوسط النشاط في منطقة نيوزيلندا  
٩. متوسط النشاط في منطقة القطب الشمالي  
١٠. متوسط النشاط في منطقة القطب الجنوبي



ويشاهد الناظر الى هذه الخريطة ان المناطق التي يقرب مناخها من الانسب هي الواقعة في المنطقة الشمالية الشرقية من الولايات المتحدة والمناطق المحيطة بالبحر الشمالي في اوربا وبعض المناطق الواقعة على شاطئ المحيط الهادي في الولايات المتحدة وزيلاندة الجديدة واليابان وشيلي. هذا بالنسبة للجنس الابيض واما سكان المناطق الحارة فالمناطق الانسب مناخاً لهم كما اسلفنا هي الاقرب الى خط الاستواء قليلاً وكذلك المناطق القارية اي الواقعة في اواسط القارات واذا نظرنا الى اواسط القارات وجدنا ان الحالة الصحية منحنى فيها وان النشاط يكاد يكون معدوماً بين سكانها حتى عند خطوط العرض الملائمة للحياة وسبب ذلك هو الجفاف الشديد والتغير الزائد في درجة الحرارة في بعض الاوقات مقروناً بفترات يكون فيها التغير من يوم الى يوم غير محسوس كما هو حاصل في آسيا الوسطى . فلذلك تقتصر هذه المناطق الى زوايا دورية كالتى تحصل في المناطق ذات الجو الانسب كاليابان والولايات المتحدة لان هذه الزوايا تهيم الفرصة لتغير أو تقلب جوي دائم من يوم الى يوم طوال السنة وهذه الخريطة لا تقتصر على بيان النشاط بل تبين ايضاً حالة الصحة ودرجة التمدن وذلك واضح مما شرحناه عند الكلام على تأثير عناصر المناخ المختلفة في الصحة

وبديهى ان عاملي الصحة والمدينة لا يغيران المناخ بل المناخ هو الذي يؤثر فيهما وقد يكون هو العامل الاول في تقدم المدينة والتمتع بالصحة . وزيادة الايضاح نلقي نظرة اخرى على الخريطة ونطبق عليها كل ما ذكرناه فنجد اننا كلما قربنا من منطقة المناخ الانسب ارتفعت درجة النشاط والصحة وبالتالي تزداد وسائل تقدم المدينة وينشأ عن ذلك تحسن الصحة بسبب ما تنشره المدينة من العرفان والنور . وكلما تحسنت الصحة ساعدت تحسنها بدورها على تقدم المدينة وهم جراً . ويزداد الفرق وضوحاً من حيث الصحة والمدينة كلما قربنا من النهايات الملائمة للحياة ولكننا عند التأمل في هذه النتائج وفحصها يعترضنا السؤال الآتي وهو : —

٩— لماذا بلغت المدينة في العصور القديمة منتهىها في أقاليم غير متمتعاً بالمناخ الانسب ؟

لقد اختلف الثقة في هذا الموضوع وكان مثاراً للجدل بينهم ولكنهم مع ذلك اجمعوا على ان النشاط موزع في العالم وفقاً لتأثير المناخ في وظائف اعضاء الانسان

ولقد اتفق الجيولوجيون على أنه قد أتى على العالم حين من الدهر في العصور المترامية في القدم اي منذ ٢٥ الى ٣٠ الف سنة خلت كان الثلج فيه يغطي مناطق شاسعة من اميركا الشمالية واوربا الحديثة حيث تقدمت المدينة الآن تقدماً عظيماً ثم انحسر الثلج عن ارجائها بسبب التغيرات الجوية التي حدثت بطريقة غير منتظمة فأحياناً بالتدريج وأحياناً طفرة واحدة وغطيت مناطق اخرى بالثلج بينما المناطق الجافة كآسيا الغربية والولايات المتحدة الغربية الجنوبية قد اشتد جفافها في الالف او الالف سنة الاخيرة . وقد طرأ على درجة الحرارة ايضاً



شيء من التغير وان كان طفيفاً حيث لم يقل متوسط درجة الحرارة بالنسبة للزمن الحاضر حتى في اشد اوقات الجليد عن ٨٣-١١١ درجة سنتجراد ولم تتذبذب درجة الحرارة من فجر المدينة حتى العصر الحاضر اكثر من  $\frac{1}{4}$  الى  $\frac{1}{2}$  من هذا المقدار . هذا بينما تتغير العواصف كثيراً من جيل الى جيل . ويستدل على ذلك بما شوهد في الخرائب ومجاري الري وآثار المزارع القديمة في المناطق الخالية من المياه الآن وكذلك آثار الطرق والاشجار المعمرة التي توجد في المناطق الجافة مع ان قليلاً من المطر كان يكفي لتغيير الحالة في هذه الجهات والمطر الغزير المتكرر يستدل منه على وفرة الرطوبة والضباب الكثيف والاعاصير والزوايع وينشأ هذا عن التغير المستمر في درجة الحرارة

ومع ان متوسط درجة الحرارة في العالم لم يتغير الا قليلاً منذ القدم الا أنه يظهر ان ما اصاب العالم من التغير في درجة الرطوبة والتقلب في الريح كبير ولذلك فان المناخ الانسب لنشاط الانسان كان اقرب الى خط الاستواء والصحاري مما هو عليه الآن ثم انتقل بطريقة غير منتظمة الى المناطق القريبة من القطبين والى شواطئ القارات ولذلك ازدهرت المدينة في عصور التاريخ حتى زمن المسيح عليه السلام في البلاد المحيطة بحوض البحر الابيض المتوسط وفي آسيا الغربية فان هذه البلاد كانت تتمتع بالمناخ الانسب ثم انتقل هذا المناخ الى المناطق الشمالية حيث يكثر الضباب والزوايع . ولهذا التعليل انصار ومعارضون والمعارضون يقولون ان الاحصاءات التي امكن جمعها حتى الآن غير كافية للتدليل على النتائج السابقة الذكر ومع ان هناك تغيراً في المناخ الا ان هذا التغير قليل جداً ولا انتشار المدينة في قطر وانعدامها في آخر اسباب اخرى غير المناخ غير اني من الذين يقولون بأن للمناخ أثراً كبيراً في انتشار المدينة بما يحدثه من النشاط في وظائف الاعضاء في سكان منطقة المناخ الانسب للانسان . فالمناخ بلا نزاع يؤثر في تقدم المدينة اما المدينة فلا تؤثر في المناخ نفسه وان كانت تتغلب على بعض آثاره كما يحصل بواسطة التدفئة او التهوية او التبريد

بقي الآن سؤال اخير لا بد من الاجابة عنه تنتم للموضوع وهو : —

#### ١٠ — هل للمناخ اثر في المميزات الجنسية

ان اثر المناخ في المميزات الخارجية واضح كما يشاهد في لون الجلد وهذا اللون يختلف باختلاف درجة قوة ضوء الشمس لأن المادة الملونة التي في الجلد تبقى الجسم من تأثير الاشعة الفوق البنفسجية ولذلك تبيض الجلود حيث يكون الضوء خفيفاً وتسود عند خطوط العرض المنخفضة اي قرب خط الاستواء . وطلب الرزق يلجئ الناس على اختلاف الوانهم الى المهاجرة الى بلدان قد يخالف بلادهم الاصلية في مناخها وطقسها وقد شوهد ان الوانهم لا تتغير بتأثير مناخ هذه البلدان من الابيض الى الاسود او بالعكس الا بعد مضي زمن طويل جداً



ومن المميزات الخاصة بالمناخ ان غدد العرق تكون قليلة جداً عند السمرة والسود ولدى البيض تكون كثيرة العدد وأقل نشاطاً من مثيلاتها عند السود وينفرز العرق منها عند السود في نقط صغيرة لتلطيف حرارة الجسم على الدوام فيحصل التبخر الذي يعقبه بعض لاتعاش بينما ينصب العرق من الغدد انصباباً عند البيض

ولا ننسى كذلك شكل الانف في سكان الشمال يكون عادة صغيراً ومستديراً بينما في السود يكون قصيراً وواسعاً والحكمة في صغره واستدارته في الحالة الاولى هي لكي لا يسمح بمرور مقدار كبير من الهواء دفعة واحدة بل يجعله يمر في قناة طويلة ببطء ليسخن وفي الحالة الثانية يسمح بمرور مقدار كبير من الهواء لان التنفس يكون سريعاً في المناطق الحارة فلو كانت الحالة كذلك مع سكان المناطق الشمالية فلا شك انهم كانوا يتعرضون لخطر جسيم عند ما تكون درجة الحرارة دون الصفر ولعل هذا احد اسباب عجز السود عن المعيشة في الجهات الشمالية

ويعتقد البعض ان هناك مميزات عقلية تابعة للمناخ ولكن البعض الآخر يقول انه وان كان هناك اختلاف في حجم المخ وفي تعقيد تركيبه ولكن من حيث القوى العقلية يعتقد الكثير من علماء النفس ان هذه القوى تتبع الوراثة الاجتماعية والمراثية. ولكن على كل حال لا يخي جنس في اي جهة من الجهات الا اذا كان لديه من القوى العقلية ما يعينه على تدبير وتوفير اسباب معيشته فيها. والجنس الذي يفقد هذه القوى ينقرض لانه لا بدله مثلاً من ان يدبر في الصيف ما يحتاج اليه من غذاء يتعذر الحصول عليه في الشتاء. وعلى اي حال فان وظيفة المخ واحدة في المناطق جميعها وغاية ما في الامر ان السكان يختلفون من حيث كيفية الانتفاع بهذه الوظيفة او بتكييفها وفقاً لاختلاف المناخ في المناطق والبلاد المختلفة

من هذا نرى ان مصرنا في مناخ يقرب من الانسب ولا يوجد ما يمنعها من السير في مدارج التقدم التي بدأت ترقاها بعزم ثابت ومهما قيل عن اشتداد حرارة الصيف في بعض جهاتها فانه يمكن التغلب على هذه الحرارة بكل الوسائل الممكنة. اما شواطئها الجميلة فهي خير ما كن يلتجئ اليها سكان مصر في حَمارة القيط. وشتاء مصر يمكن اعتباره المثل الاعلى من حيث المناخ في استنهاض الهممة واستفزاز النشاط مما يعوض علينا ما نكون قد فقدناه في الصيف. فاذا قسمنا السنة الى قسمين قسم حار وقسم معتدل كان الاخير ضعف الاول ولو اننا بذلنا ما يجب علينا بذله من الهممة والنشاط الذين يتولدان في هذه الفترة فيما يعود على وطننا المحبوب بالنفع والخير لبلغنا به الدرجة التي نتمناها له جميعاً وأصبحنا جديرين بأن ننتسب بحق الى اجدادنا العظماء الذين يشيب الدهر ولا تشيب فنونهم الناطقة بعظمتهم فيما تركوه من آثار نبلي جده الايام



# مهاتما غاندي

تلخيص تاريخه كما رواه بنفسه

بقلم اسماعيل مظهر

— ١ —

## صورة للمخلص

امبراطورية لا تغيب الشمس عن املاكها .  
فكرة الارض تحمل من الوانها الجغرافية زناً  
يحوطها مع خطوط  
الطول وخطوط العرض  
ولسائطها يخضع  
الايض والاسمر  
والاصفر والنحاسي  
والاسود من سالات  
البشر . وفي داخل  
املاكها تدين اقوام  
بصور من الاديان  
والوان من العقائد  
لا يحصرها العد ،  
ويُنْطَقُ بلغات



والسنة تمثل ما بلبل الله من لهجات اهل الارض  
في بابل القديمة . امبراطورية تسود البحار ،  
ومن ساد البحار ، فقد حاصر اليابسة او اذلها  
في عصر كعصرنا قوام الحياة فيه الاتصال لا

الاتصال . امبراطورية تقدّر ثروتها بالملايين  
وآلاف الملايين من الاصفر الرنان ، وتحصى  
مواردها بارقام يكاد يخيل اليك انها موهومة .  
ونخير للحساب ان يبتدعوا طريقة حسابة  
لحصر تلك الموارد ،  
شبيهة بطريقة الفلكيين  
اذ يقيسون ابعاد  
الشموس والسيارات  
بالسنين النورية لا  
بالاميال الارضية .  
هذه الامبراطورية  
يقيمها اليوم ويقعدها  
هيكل بشري من الدم  
واللحم والعظام ، لا يزيد  
وزنه على وزن كرة  
مدفع من اصغر مدافع

بريطانيا العظمى . واما هذا الهيكل  
البشري الضئيل فغاندي العظيم  
كم من مرة في بضعة السنوات الاخيرة  
تحركت هذه الامبراطورية ، وأعدت عدتها



واكبر ميزة لهذا التاريخ انه يظهر كعلي غاندي في اطواره ، ويكشف لك عن كالاته ونقائصه في صباه، ثم تحوله في شبابه ، ثم قنوته ونسكه في شيخوخته . ومن هذا التاريخ تعرف كيف تكونت مع عناصر قوته وعظمته ، عناصر مبادئه السياسية التي استخلصها من عمليات ووقائع مشهورة ، لا من نظريات خاوية فارغة كشر ما خطها غيره من الزعماء علي الورق او استخلصوها من التاريخ ، وكشر ما خاب حلسهم وغشهم التاريخ

فاذا انت استوعبت تاريخ غاندي العظيم امكنك ان تعرف كيف يكون اثر المبدأ من القوة اذ يتكون

علي مدى الدهر  
بعد ان تصقله  
الحوادث  
والكوارث ،  
وكيف يكون  
أثر المبدأ من  
الضعف والفساد  
اذ يعمد الي  
النظريات دون  
العمليات

اما هذا  
التاريخ فنلخصه

تلخيصاً من كلمات غاندي نفسه ومن كتاب نشره رجل انجليزي من المعجبين بشخصه يدعى مستر «أندروز» . وقد كتبه وراجعته غاندي بنفسه وسوف نتوخي في التلخيص

براً وبحراً ، كما يتحرك «أمفيان» لا تصوره الا الميثولوجيا القديمة ، استعداداً للقبض علي غاندي لتضعه بين اربعة جدران من الاسمنت المرصوص . ولعمري ان هذا لا بلغ ما يصل اليه الوهم الديني . فان جسم غاندي الضئيل ليس بشيء اذا هو حبس بين اربعة جدران من الحجارة او اربعة جدران من الفولاذ ، مادامت روحه تظل محلقة في سماء الحرية الفسيحة فتكهرب جو الشرق ، بل جو الكرة الارضية ، لا جو الهند وحدها

انما تكون الامبراطورية البريطانية جديرة بعظمتها ، اذا هي استطاعت أن تسجن روح

غاندي في «مقم»

كما كان يسجن  
سليمان الجن  
والشياطين في  
خرافات الفلية  
وليلة ، ويمحو  
أثرها من الوجود  
فاما وروح غاندي  
تسبح في فضاء  
الحرية ، وتغذي  
الارواح الاخرى  
بمبادئها ، فاي أثر  
يمكن ان يحدثه



سجن الهيكل الترابي ، في حجرة عرض جدرانها نصف قيراط او نصف ميل من حجارة او فولاذ ؟ علي ان لهذا الهيكل الضئيل تاريخاً تكونت خلاله عناصر القوة والعظمة التي يمتاز بها غاندي



طريقة الترجمة الحرفية لمقطوعات ننتخبها من الكتاب ، بحيث تظهر تاريخ الرجل مفصلاً مطرداً ، بقدر ما تسمح بذلك الاحوال . فاذا اتسع المجال وتتالت صفحات هذا التلخيص ، او تعاقبت في اعداد متتالية من المقتطف ، فعذرنا اننا نترجم عن حياة رجل هز اعظم امبراطوريات الارض ، بعد ان افلقت روحه من اقفاص الفولاذ والحجارة ، التي حاكتها من حوله أوهم القرن العشرين

### المولود والسكن

الغانديون من طائفة « البانيا » — Bania — والظاهر انهم كانوا في الاصل تجاراً يتعاطون التجارة في بيع السلع نجومياً ، لا جملة . ولكنهم ظلوا منذ ثلاثة اجيال وزراء في كثير من مقاطعات « كاثياور » Kathiawar وكان جدي « أوتا غاندي » من الرجال الذين يقدرون المبادئ وقد اضطرته الدسائس السياسية ان يغادر « پورباندر » — Porbander — حيث كان « ديواناً » او رئيس وزراء ، وان يلجأ هارباً الى « چوناجاد » . فلما قابل « نواب » هذه المقاطعة حيّاه بيده اليسرى . ولما سئل عن سبب هذا ، قال — « ان يدي اليمنى قد قطعت لنواب « پورباندر » عهداً غير مخلوف »

وتزوج « أوتا غاندي » مرتين ، فكان له اربعة اولاد من زوجه الاول واثنين من الثانية . ولما كنت صغيراً لم اشعر مطلقاً بان اولاد « أوتا » كانوا غير اشقاء . اما خامس اولاده فكان كرمشاند غاندي ، وسمى « كبا غاندي » كما كان سادسهم يدعى تولسيدس غاندي ، وكلاهما كان رئيس وزراء احدهما تلو الآخر . اما ابني « كبا غاندي » فكان رئيس وزراء « راجكوت » لعهد ما ، ثم رئيساً لوزراء « فانكانار » ولما مات كان يتناول معاشاً من حكومة « راجكوت » وتزوج كبا غاندي اربع مرات على التوالي ، اذ كان يفقده الموت من يتزوجها في كل مرة . وكان له من زوجتيه الاولين فتاتين من كل واحدة ، وأما زوجته الثالثة « پوتلبي » فقد اعقبت بنتاً وثلاثة صبية ، كنت انا اصغرهم

كان والدي محباً لطائفته صادق القول شجاعاً كريماً ، ولكنه كان ضيق الخلق . ولم يكن زاهداً في الغرائز الحيوانية ، لأنه تزوج الرابعة وقد تجاوز الاربعين من عمره ، غير انه كان مستقيماً جداً طاهر اليد ، وكان معروفاً باستقلال رأيه وعدم تحيزه ، سواء بين اسرته ، ام بين الناس . اما خضوعه للحكومة فأمر معروف ذائع . تكلم احد رجال السياسة مرة فسب أميره ، ولكن كبا غاندي ردّ السباب بمثله ، ولما طلب منه ان يعتذر رفض الاعتذار ، فسجن بضع ساعات ، ولم يفرج عنه الا بعد ان رؤي انه من العتب ان يثنى « غاندي » عن عزمه



لم يحاول ابني ان يثري ، ولم يترك لنا من الحطام الاّ النزر اليسير . لم يتلق العلم ولم يتعلم ، اللهم الاّ ما تجود به تجربة الحياة على الناس . كان جاهلاً بالتاريخ والجغرافية غير ان تجاربه كانت كفيلة بأن تجعله قادراً على ان يحل اعوص المشكلات وان يسوس مئآت من الرجال . لم يتفقه في الدين الاّ قليلاً ، غير انه استوعب تلك الثقافة التي تستوعب من كثرة التردد على المياكل والمعابد وسماع المناقشات التي كانت تدور حول الدين الهندي . وفي اواخر ايامه بدأ يقرأ «الغيتا» — The Gita — على برهمي مثقف من اصدقاء الاسرة ، واعتاد ان يردد بعض مقطوعات دينية جهراً خلال صلاته

\*\*\*

اما الاثر الذي تركته ابي مطبوعاً في مخيلتي فأثر الزهد والقداسة . كانت متدينة شديدة التدين ، حتى انها لم تكن تأكل وجباتها اليومية من غير ان تؤدي صلاة حارة كلها تعبد وقنوت . اما زيارتها للمعبد فكانت من الواجبات اليومية الضرورية . ولا اذكر ، على قدر ما اتصل اليه ذا كرتي ، انها اهملت يوماً صيامها الديني ، حتى ان المرض لم يكن سبباً في ان تفرط في هذا الواجب المقدس . مرضت مرة مع حلول الصوم ، غير ان المرض لم يكن ليخل بالنظام ، او يؤثر في القيام بالواجب الابدي . ولم يكن ذا بال لديها ان توالي الصيام اياماً ، بل كانت تكتفي بوجبة واحدة في اليوم ، ما دامت صائمة . وكانت تنذرني بعض الاحيان ان لاتأكل الا اذا طلعت الشمس من خلال الغيوم ورأتها بعينها . وكنا ونحن اطفال نقف في مثل تلك الايام متطلعين الى السماء ، وكلنا شغوف بأن يكون اول من يبشر امه بيزوغ الشمس من خلال السحب الثقيلة . وبلاد الهند خلال فصل الامطار ، لا ترى الشمس الا غراراً . ولا ازال اذكر اياماً كنت اهرع فيها الى ابي حالما تظهر الشمس بعد هطول الامطار لأبشرها بالنبأ العظيم . فكانت تخرج لترأها بعينها ، ولكن الشمس الطريدة تكون قد توارت وراء الغيوم قبل ان تكتحل عيناها بمرآها ، فتطوى صائمة وقد تقول — « غير مهم : ان الله لا يريدني ان آكل » . ثم تمضي الى شؤونها وواجباتها كأن لم يكن شيء

وكانت ابي ذات قدرة في الحكم على حقائق الاشياء . وكانت محيطة بأحوال الحكومة حتى ان نساء الحاشية كنّ يقدرن فيها الذكاء . كنت اصاحبها في زيارتها متخذاً من طفولتي عذراً ، ولا ازال اذكر مناقشات كلها فطنة وادراك تدور بينها وبين ارملة « ثاقور صاحب » من هذين الابوين ولدت في « پوربندار » في اليوم الثاني من اكتوبر سنة ١٨٦٩ . وهنالك قطعت طفولتي وذهبت الى المدرسة . لم احفظ جدول الضرب الاّ بكل صعوبة . والحقيقة اني لم اتعلم في هذا الدور انا والصبية الذين كانوا يتعلمون معي من شيء ، اللهم الاّ ذم المعلم . والظاهر ان عقلي في ذلك العهد كان ضعيفاً ، كما كانت ذا كرتي خجسة غير فاضحة



كان عمري سبع سنوات لما تركت ابي «پورباندار» الى «راچكوت» ليكون عضواً في الحاشية. فالتحقني بمدرسة ابتدائية ، فكنيت فيها كما كنيت في الاولى تلميذاً عادياً متوسط القوة . غير اني لم اصل الى الثانية عشرة حتى كنيت في مدرسة عليا ولا اتذكر خلال هذه الاثني عشر عاماً من عمري ، على طفولتي ، اني كذبت مرة واحدة ، سواء على معلمي او على اخواني في التلمذة . وكنت خجولاً جداً ، متباعداً عن مرافقة الناس . وكانت عادي ان اكون بباب المدرسة عند ما تدق ساعة البدء في الدرس ، وأعود الى المنزل توّاً بعد الانصراف . وكنت اقطع المسافة من المدرسة الى البيت عدوّاً ، لاني لم اكن احتمل ان اتكلم مع اي انسان كما كنيت اخاف ان يهزأ بي اي شخص كان

\*\*\*

وقعت حادثة خلال دراستي لا بأس بذكرها . كان مستر « جيلز » — Mr. Giles — مفتش التعليم قد وفد مرة ليفتش . فأملى علينا خمس كلمات ليعرف مقدار علمنا بالهجاء (في اللغة الانكليزية) فأخطأت في تهجئة احداها وأراد المعلم ان ينهني الى ذلك بطرف حذائه ولكنني تعمدت أن لا انتبه ، لاني شعرت بأنه ليس في مقدوري ان اغش التهجئة من صحيفة جاري ، ولان من واجب المعلم ان يحول دون الغش في الامتحان . وكانت النتيجة ان جميع التلاميذ استطاعوا ان يكتبوا كل الكلمات صحيحة ما عداي . انا وحدي كنت بليداً . وكثيراً ما حاول المعلم ان يصرفني عن هذه البلادة ولكن عبثاً . لان الغش شيء لم يكن في استطاعي أن آلفه

على أن هذا الحادث لم يكن من شأنه ان ينزل قدر معلمي في عيني أو يقلل من احترامه في قلبي . فقد كنت بطبعي اعمى عن ان اعد نقائص الذين هم اكبر مني سناً . ولقد علمت بعد ذلك كثيراً من نقائص هذا المعلم . غير ان احترامي له ظل كما كان . لاني شبيت على ان اطيع اوامر من هم اكبر مني ، لا ان اعد معايبهم

حادثتان أخريان في ذلك العهد لا تزالان عالقتان بذاكرتي . كانت عادي ان انصرف عن قراءة اي شيء خارج عن مجال درسي . وكنت انجز درسي اليومي دائماً . لاني كنت امتنع من ان يكلفني استاذي بواجب عملي ، كما كنيت اكره ان اغشه . كنت انجز دروسي ، ولكن عقلي كان دائماً بعيداً عنها . كنت انجزها غائب العقل ذاهلاً عنها . ولكن ما دمت قد انجزتها كيفما كانت الحال ، فلا عقاب بتكليف بواجبات اخرى . غير اني بصدفة ما وقعت عيني على كتاب اشتراه ابي . كانت رواية تدور حوادثها على ولاء «شراثانا» لابويه ، فقرأته بمنتهى ما يصل اليه الاعجاب وتذهب اليه اللذة . وفي ذلك الحين هبط منزلنا بعض



البائعين المتجولين ، فرأيت فيما رأيت معهم صورة تمثل «شراقانا» يحمل في حمالة معلقة في كتفيه ابويه الاعمين في هجرة طويلة ازمعاها . ولقد ترك الكتاب والصورة في ذهني اراً لا يمحي — قلت في نفسي — « هوذا مثال تحتذي » ولا يزال حياً في ذهني رثاء ابويه على موته ولوعتهما على فقده . ولقد هزني النغم من اعماقي خففتها ، واخذت اعزفها على «كونشرتينا» <sup>(١)</sup> Concertina اشتراها لي أبي

والحادثة الثانية تتعلق كهذه برواية: حصلت من ابي على اذن بان اشهد رواية تمثيلية يدعى بطلها « هاريشاندرا » . ولقد ملكت مني هذه الرواية كل نواحي قلبي ، وسكنت معانيها في قراة نفسي ، حتى لقد اخذت أتساءل « لماذا لا يكون كل الناس صادقين مثل هاريشاندرا » ؟ إتباع الحق والبحث عن الحقيقة مع احتمال كل المحن والآلام التي تحملها « هاريشاندرا » ، كان الوحي الوحيد الذي بعثته هذه الرواية في نفسي . ولقد اخذت اعتقد في حقيقة «هاريشاندرا» كما لو كان شخصاً حياً لا شخصاً خيالياً ، كما ايقنت بحقيقة وقوع الحوادث التي حاكها المؤلف من حوله

وكثيراً ما كنت ابكي كلما ذكرت هذا البطل وحوادث حياته السامية . هاريشاندرا وشراقانا لا يمكن الا ان يكونا بطلين تاريخيين لا خياليين . ولا اشك مطلقاً في اني لو قرأت هاتين الروایتين اليوم لهُزنا عواطفى بالقدر الذي هزناها به في أيامى الاولى

لا بد لي في سياق كلامي هذا من أن اجرع بضعة جرعات مريرة ، اذا ما كنت من عباد الحق على الوجه الاكمل . وأول ما أبدأ به هو أمر زواجي وانا في الثالثة عشرة من عمري . ولا جرم اني اغبط الشبان الذين اراهم اليوم من حولي وقد استطاعوا بحكم الزمان ان يفروا مما وقعت فيه وأنا في سنهم

كنا ثلاثة اخوة . تزوج الاول . ثم صمم كبار الاسرة على أن يتم زواج أخي وزواجي وأحد أولاد اعمامي معاً في يوم واحد . لم يفكروا في مصالحنا ولا اعاروا رغباتنا اهتماماً ، كأن الامر لا يتعلق الا بمرضاتهم وبمقدرتهم المالية على اتمام الزواج . وزواج الهندوكيين ليس بالامر السهل ، بل معناه ان اسرتين قد يعانيان في سبيله الخراب . ضياع في المال والوقت ، واشهر تقضى في اعداد الملابس وادوات الزينة وتهيئة « ميزانيات » من الاموال لاقامة الولائم . وكل من الاسرتين تحاول ان تبرز الاخرى اسرافاً وتنويعاً في مظاهر الفرح والسرور . وكان ابي وعمي كلاهما كبير السن ، وكنا آخر من يزوجان من أولادهم ، فامعنا في الاسراف بفكرة ان هذا آخر افرادهما

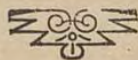


لم نعرف نحن من الامر شيئاً الاّ أن هنالك افراحاً تقام وزينات وغناء ورقص وملابس جديدة وولائم فخمة وبنات غريبات عنا آتين لئلهن بهنّ  
قلت من قبل اني كنت تلميذاً ، وظللت تلميذاً بعد زواجي . كنت انا وأخوي ندرس في مدرسة واحدة . فلم يكن للزواج من أثر في حياتنا المدرسية الاّ ضياع سنة من اعمارنا ذهبت ببداء . وكم من شباب الهند يقاسون نفس هذه الخسائر الفادحة . على اني مضيت بعد ذلك في الدرس ، وكنت متوسط الذكاء والقوة ، غير اني كنت حائزاً على الدوام لرضى اساتذتي وعطفهم . وكنت لا احتمل اللوم ولا التوبيخ . عوقبت مرة عقاباً بذنوب ، فبكيت بمرارة ، لا اذكر اني بكيت بمثلها في كل اطوار حياتي

\*\*\*

كنت امقت الالعب الرياضية ، وكنت لا اذهب اليها الاّ مرغماً لانها اجبارية . غير اني اعتقد الآن ان من الواجب ان تكون من المواد الاساسية في برامج التعليم . اما سبب مقتي لها ، فيرجع الى رغبتى الشديدة في ان اقوم بتمريض ابى ، وكان على فراش المرض وقد قربت نهايته . فكنت اترقب انقضاء الدروس لاهرع الى المنزل وابقى بجانبه اعنى به وامرضه وانفذ اوامره بكل دقة وعناية . فكانت الالعب الرياضية تحول دون هذه الرغبة ، ولذلك توسلت الى مستر « جيمي » ان يعفيني منها ، لاقوم بواجبي نحو أبى ، غير انه لم يعبأ بتوسلاتي . وكان من الواجب ان نذهب في الساعة الرابعة من كل سبت الى المدرسة لنقوم بتمريناتنا الرياضية ، ولم يكن معي ساعة اضبط بها الوقت ، وغشتني السحب واضطراب الطقس . وكان التلاميذ قد تركوا المدرسة قبل ان اصل اليها . ففي اليوم الثاني لاحظ مستر « جيمي » اني كنت غائباً ، ولما اعتذرت اليه بما حدث تماماً ، رفض ان يصدقني ، وفرض عليّ غرامة صغيرة كعقاب لي

لقد اتهمت بالكذب ! فآلمني هذا الاتهام كل الألم ؟ وكيف استطيع ان اثبت براءتي ؟ لم يكن من سبيل الى ذلك . فبكيت بحزن عميق . ولكن لم يلبث أن طرأ على ذهني ان الرجل الصادق يجب ان يكون ذا عناية باموره . وكان هذا الحادث آخر عهدي باهمال اي شيء يتعلق بمدرستي ودرسي . ولكنني لم يهدأ لي بال الاّ بعد ان رفعت عني الغرامة التي فرضت عليّ تلقاء احمالي ، لا تلقاء كذبي  
« البقية تأتي »





# مآثر العرب

في علم الطبيعيات « الفيزيكس »

لم يوضع مع الاسف في اللغة العربية كلمة تقابل كلمة Physics فالبعض يترجمها بعلم الطبيعيات وآخرون بكلمة علم الطبيعة وغيرهم يستعمل اللفظة الانجليزية بعينها ويقول فيزيكس التي رأيت ان استعملها في هذا المقال

لقد اصبح علم الطبيعيات من العلوم التي لها اتصال وثيق بالحياة البشرية وشأن عظيم في تقدم المدنية الحديثة القائمة على الاختراعات والاستنباطات . ولقد اعتنى علماء هذا العصر عناية كبرى به فأنشأوا المختبرات وصرفوا عليها المبالغ الطائلة ، وهو لم يتقدم تقدماً محسوساً إلا في القرن الاخير مع انه كان موجوداً في زمن اليونان واليهام يرجع الفضل في اكتشاف كثير من مبادئه الاولى ، ولهم فيه مؤلفات عديدة . ومن حسن الحظ ان العرب ترجموا اكثر هذه المؤلفات ولم يكتفوا بنقلها بل توسعوا فيها وأضافوا اليها اضافات هامة تعتبر اساساً لبعض المباحث الطبيعية ، وكانوا مبتكرين مخترعين اكثر منهم ناقلين ليس في علم الطبيعيات فقط بل في الكيمياء ايضاً . فلقد اخذ العرب مبادئها عن اليونان وتوسعوا في كثير من اجزاءها ولا تزال بعض الطرق التي استعملها العرب في استخراج الحامض الكبريتيك وغيره متبعة الى الآن ، وقد عرفوا عمليات التقطير وتحضير الكحول واكتشفوا بعض الحوامض المعدنية والقلويات النباتية والمعدنية ويقال انهم ركبوا البارود وألقوا في ابطال الكيمياء القديمة كما انهم بعد ان نقلوا علم الطب عن اليونان والهند والكلدان اضافوا اليه كثيراً من اختباراتهم فهم اول من استخدم المرقد — البنج — « وقد وجد محققو الافرنج ان العرب اول من استخدم الكاويات في الجراحة على نحو استخدامها اليوم . . . . . ووضعوا علاج اليرقان والهواء الاصفر واستعملوا الافيون بمقادير كبيرة لمعالجة الجنون . . . . » (١) ومما ساعدهم على ذلك انهم كانوا عمليين اكثر منهم نظريين وهذا هو الذي خلق لحضارتهم ميزتها وجعلهم يتفوقون ويبتكرون في كثير من العلوم

كتب العرب في الحيل \* وأشهر من كتب في هذا البحث محمد وأحمد وحسن ابناء موسى



ابن شاكر « ولهم ( اي لابناء موسى ) في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة ولقد وقفت عليه فوجدته من احسن الكتب وأمتعها وهو مجلد واحد<sup>(١)</sup> » وأبناء موسى كانوا مقرين من المأمون العباسي وكثيراً ما رجع اليهم في حل ما يعسر عليه فهمه من آراء الحكماء . وقد ترجم العرب بعض كتب اليونان التي تبحث في الفيزيكس ككتاب الفيزيكس لارسطوطاليس<sup>(٢)</sup> وكتاب الحيل الروحانية وكتاب شيل الاثقال لايرن وكتاب الآلات المصنوعة على ستين ميلا لمورطس<sup>(٣)</sup> . وكذلك لهم فضل في علم السوائل ولهم فيه بعض المؤلفات ، وقد استنبطوا طرقاً واخترعوا آلات تمكنوا بواسطتها من حساب الوزن النوعي . ويقال انهم اول من عمل فيه الجداول الدقيقة فقد حسبوا كثافة الرصاص فوجدوها ١١٣٣ بينما هي ١١٣٥ والفرق بين المقدارين ضئيل جداً . وعمل البيروني تجربة لحساب الوزن النوعي واستعمل لذلك وعاء مصبب متجه الى اسفل ومن وزن الجسم بالهواء وبالماء تمكن من معرفة مقدار الماء المزاح ومن هذا الأخير وزن الجسم بالهواء حسب الوزن النوعي<sup>(٤)</sup> . واستعمل العرب موازين دقيقة للغاية وثبت ان فرق الخطأ في الوزن كان اقل من ٤ اجزاء من الف جزء من الغرام ، ويقال انه كان لديهم موازين ادق من ذلك . وللاخازن كتاب في الموازين كتبه سنة ١١٣٧ م<sup>(٥)</sup> وفيه وصف دقيق مفصل للموازين التي كان يستعملها العرب في تجاربهم ، وفيه ايضاً وصف لميزان غريب التركيب لوزن الاجسام بالهواء والماء<sup>(٦)</sup> ، وقد بين الخازن ان الهواء ( كالماء ) يحدث ضغطاً من اسفل الى اعلى على أي جسم مغمور فيه ومن هذا استنتج ان وزن الجسم بالهواء ينقص عن وزنه الحقيقي<sup>(٧)</sup> . كذلك بحث العرب في الاجسام الساقطة ووضعوا قوانين لذلك ولهم في الجاذبية البحت بسيطة ويقال ان موسى بن شاكر الذي ظهر في اوائل القرن الثالث للهجرة انتبه لها . وقد قال العلامة صروف في هذا الصدد في كتابه بسائط علم الفلك ما يلي « وهذا التفاعل بين الاجرام السماوية التي يطلق عليه اسم الجاذبية العمومية انتبه له بعض العلماء من قديم الزمان فإشار اليه بطلميوس صاحب كتاب المجسطي حاسباً انه هو الذي يجعل الاجسام تقع على الأرض متجهة نحو مركزها وهو الذي يربط السماء بعضها ببعض . ويقال ان موسى بن شاكر المهندس الذي نشأ في اوائل القرن الثالث الهجري انتبه له

(١) ابن خلكان — وفیات الاعيان — ج ٢ ص ٧٩ (٢) اسماعيل مظهر — تاريخ الفكر العربي — ص ٥٢

(٣) زبدان — تاريخ التمدن الاسلامي — ج ٣ ص ١٥٤

(٤) كاجورى — تاريخ الفيزيكس — ص ٢٣

(٥) » » » »

(٦) » » » »

(٧) » » » »



ايضاً وقال به... « وقيل ان احد علماء العرب وهو البوزجاني <sup>(١)</sup> اكتشف احدى المعادلات الضرورية لتقويم مواقع القمر سميت معادلة السرعة <sup>(٢)</sup> »

وظهر في اوائل القرن الخامس الهجري رجل له فضل كبير في تقدم بحث الضوء ولا يخلو اسمه من كتاب يبحث في تاريخ الفيزيكس فهو في مقدمة الذين اضافوا اليها ويدعى الحسن ابن الحسن بن الهيثم ابو علي المهندس نزيل مصر « وكان عالماً بهذا الشأن ( اي بعلم الهندسة ) متقناً له متفناً فيه قيماً بغوامضه ومعانيه مشاركاً في علوم الاوائل اخذ الناس عنه واستفادوا منه... » <sup>(٣)</sup> وتقول دائرة المعارف البريطانية انه كان أول مكتشف ظهر بعد بطليموس في علم البصريات ، وهو الذي اضاف القسم الثاني من قانون الانعكاس القائل بان زاويتي السقوط والانعكاس واقعتان في مستوي واحد <sup>(٤)</sup> . اما القسم الاول من هذا القانون ( وقد وضعه اليونان ) فهو — زاويتا السقوط والانعكاس متساويتان — . وفي كتابه عن « البصريات » يقول انه اذا سقطت حزمة من الاشعة الضوئية على المرآة الكرية وكانت موازية للمحور الاصلي فانها تتجمع بعد انعكاسها في نقطة معينة على المحور <sup>(٥)</sup> . وله كتاب في المرايا المحرقة التي كتب فيها كثيرون . وعلى ذكر المرايا المحرقة يقول كشف الظنون في الجزء الثاني ص ٤١٦ ما يلي : « قال ابو الخير هو علم يتعرف منه احوال الخطوط الشعاعية والمنعطفة والمنعكسة والمنكسرة ومواقعها وزواياها ومراجعتها وكيفية عمل المرايا المحرقة بالانعكاس اشعة الشمس عنهم ونصبها ومحاذاتها ومنفعته بليغة في محاصرات المدن والقلاع » . وقد ادخل في كتابه عن البصريات بعض المسائل المهمة عرف بعضها باسم — مسائل ابن الهيثم — مثلاً اذا علم بوضع نقطة مضئية فكيف تجعل المرايا الكرية والاسطوانية والمخروطية النقطة التي تتجمع فيها الاشعة بعد انعكاسها . ويقال انه صنع مرآة مكونة من بعض حلقات كرية ولكل منها نصف قطر معلوم ومركز معلوم انتقاها بحيث ان جميع الحلقات تعكس الاشعة الساقطة عليها في نقطة واحدة . وقاس كلا من زاويتي السقوط والانكسار وبيّن ان بطليموس كان مخطئاً في نظريته القائلة بأن النسبة بين زاوية السقوط وزاوية الانكسار ثابتة ولكنه هو ايضاً لم يتوفق الى إيجاد القانون الحقيقي <sup>(٦)</sup> للانكسار <sup>(٧)</sup> واستعمل لقياس زاويتي السقوط والانكسار آلة تشبه

(١) انظر مقال في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٣٠ (٢) فاندريك — القبة الزرقاء — ص ٨

(٣) ابن القفطي — كتاب اخبار العلماء باخبار العلماء — ص ١١٤

(٤) كاجورى — تاريخ الفيزيكس — ص ٢٢

(٥) » » » »

(٦) القانون الحقيقي هو جيب زاوية السقوط : جيب زاوية الانكسار : جيب مقدار ثابت

(٧) كاجورى — تاريخ الفيزيكس — ص ٢٢



الآلة المستعملة الآن في تركيباتها الأولية وله جداول ادق من جداول بطليموس في معاملات الانكسار لبعض المواد<sup>(١)</sup> وهو من الذين لم يأخذوا برأي اقليدس واتباع بطليموس القائل بأن شعاع النور يخرج من العين الى الجسم المرئي بل اخذ برأي ديموقراطيس وأرسطوطاليس القائل بأن شعاع النور يأتي من الجسم المرئي الى العين<sup>(٢)</sup> وبحث في كتابه أيضاً في قوى تكبير العدسات وقد تكون كتاباته هذه التي اوجت اختراع النظارات<sup>(٣)</sup>. ويقال ان ابن الهيثم بحث في تحليل الشفق، وبين ان الزيادة الظاهرية في قطري الشمس والقمر حينما يكونان قريبين من الافق وهمية<sup>(٤)</sup>، وقد علل هذا الوهم تعليلاً علمياً صحيحاً لم يسبق اليه بما يدل على تضلعه من الرياضيات والفلك. ولولا الخوف من ان التعليل قد يخرجنا عن دائرة بحثنا لأتينا على ذكره. والغريب ان البعض نسب هذا التعليل (اي تحليل ابن الهيثم الى بطليموس ولم يدرك ان بطليموس قال ان الزيادة حقيقية اي انها غير وهمية. وهو اول من كتب عن اقسام العين ورسمها بوضوح تام وقد اعتمد في بحثه عن العين على كتب التشريح التي كانت موجودة في ايامه وقد وضع اسماً لبعض اقسام العين وأخذها عنه الافرنج وترجموها الى لغاتهم<sup>(٥)</sup> فمن الاسماء التي وضعها « الشبكية — Retina » و« القرنية — Cornea » و« السائل الزجاجي — Vitreous (glassy) humor » و« السائل المائي — aqueous humor ». وتقول دائرة المعارف البريطانية ان ابن الهيثم كتب في تشريح العين وفي وظيفة كل قسم منها وانه بين كيف ننظر الى الاشياء بالعينين في آن واحد، وان الاشعة من النور تسير من الجسم المرئي الى العينين ومن ذلك تقع صورتان متماثلتان على الشبكية في محلين متماثلين بينما اليونان قالوا بأن الاشعة تخرج من العينين الى الجسم المرئي. وابن الهيثم اول من بين بان الصور التي تنشأ من وقوع صورة المرئي على شبكية العين تتكوّن بنفس الطريقة التي تتكوّن بها صورة جسم مرئي تمر اشعته الضوئية من ثقب في محل مظلم ثم تقع على سطح يقابل الثقب الذي دخل منه النور، والسطح يقابله في العين الشبكية الشديدة الاحساس بالضوء فاذا ما وقع الضوء حدث تأثير انتقل الى المخ ومن ذلك تتكوّن صورة المرئي في الدماغ. وله ايضاً معرفة بخصائص العدسات اللامّة والمفرقة والمرايا في تكوين الصور<sup>(٦)</sup>. واول رسالة كتبت في اوربا في البصريات سنة ١٢٧٠ م اعتمد مؤلفها على كتب بطليموس وابن الهيثم، وقد ظهر ايضاً كتاب البصريات لابن الهيثم في اللغة اللاتينية في بال سنة ١٥٧٢ م وكان ابن الهيثم فوق كل ذلك من الذين بحثوا في الرياضيات والفلك وله فيها مؤلفات

(١) دائرة المعارف البريطانية مادة Light (٢) كلجورى — تاريخ الفيزيكا — ص ٢٣

(٣) دائرة المعارف البريطانية مادة Light (٤) » » » »

(٥) كلجورى — تاريخ الفيزيكا — ص ٢٣

(٦) دائرة المعارف البريطانية مادة Camera









# الجنس

تعيين الذكر والانثى

للككتور شمريخ عسيرانه

الجنس لغة اعم من النوع فنقول جنس الذكر و جنس الانثى او جنس الرجال و جنس النساء وهو مقابل للفظه Sex باللغة الانكليزية . وقبل ان نبين حقيقة تعيين الجنس نذكر نبذة عن تطور البحث في هذا الموضوع لتبين غثه من سمينه

يتكوّن الفرد في الحيوانات العليا ومنها الانسان من ذكر وانثى (١) وقد ظهرت مذاهب عديدة في سبب نشوء الذكر والانثى. فمنهم من قال ان نطفة الرجل هي العامل وآخرون قالوا ان كل جانب من مركز التناسل مختص بجنس فاليمين للذكر واليسار للانثى . وادعى بعضهم انه نتيجة صراع بين نطفة الذكر ونطفة الانثى فالاقوى يفوز في تعيين جنس المولود وقال غيرهم ان الأب الارقي يولد عكس جنسه . ومن رأي آخرين ان الجنس يتوقف على وقت الجماع فالجماع قبل الطمث يولد ذكوراً وبعده انثى. وقال آخرون انه يتوقف على المواد الغذائية في بويضة الأم وعلى عمر الابوين الى غير ذلك من المذاهب التي لا تستند الى اساس علمي متين وقد حلت محلها حقائق علمية ثابتة في تعيين سبب الجنس

ابتداءً اول درس علمي لهذه النظرية بعمل احصاءات فأحصوا في اوربا ٥٩٣٥٠٠٠ ولادة ووجدوا نسبة الذكور الى الاناث ١٠٦ : ١٠٠ اي يربي عدد الذكور على الاناث ثلاثة في المائة وقد ايدت احصاءات غيرها من الامصار هذا القول ولكن وفيات الذكور اكثر من الاناث فنسبة سكان اوربا اليوم ١٠٤ : ١٠٠ اي يزيد الاناث على الذكور ١٢ في الالف. وقد انتجت هذه الاحصاءات عمل قانون خاص اسمه قانون ( Hofacker and Sadler ) نسبة الى موجديه وخلاصته كما يلي : (١) حينما يكون الرجل اكبر سناً من المرأة تزيد نسبة الذكور ( ١١ - ١٠٠ ) . (٢) حينما يكون الابوان متساويين عمراً تزيد نسبة الاناث ( ٩٣.٥ - ١٠٠ ) . (٣) حينما تكون المرأة اكبر سناً من الرجل تزداد نسبة الاناث ( ٨٨.٥ - ١٠٠ ) وقد ايد هذه النتائج بعض الاخصائيين ونفاها غيرهم . قال بلص Ploss ان قلة الغذاء خاصة في الام تجعل



الاولية للذكور وبعد ان وازن دوسنج Dusing بين كل هذه الآراء ادلى برأي مآله اذا حدث نقص في احد الجنسين فالطبيعة تعوض هذا النقص بزيادة الجنس الآخر. فحينما يقل عدد الذكور بسبب الحرب تربى ولادتهم على ولادة الاناث بعدها. وحينما يزداد عدد الذكور يتزوجون باكرآ فيزداد عدد الاناث. ولا اساس علمي لهذه النظرية وقد أصبحت تعد اليوم من الخرافات فقد بينت الاحصاءات في اثناء الحرب العامة ان مواليد الاناث تزداد بنسبة ضئيلة قدرها بأقل من واحد بالمائة وليس سببها تعويض الطبيعة او قلة عدد الذكور لانها لم تحصل عند الامم المحايدة رغمآ عن الحصار الذي كان ماسكاً بخناقها. وقد عللوا ذلك بأن اكثر الرجال يكونون بعيدين عن زوجاتهم فلا يحملن كثيراً. والذكور كما ثبت اكثر تعرضاً للموت قبل الولادة من الاناث فبقي قل عدد حمل الأم تكون الاحوال اكثر ملاءمة للذكور فلا يموت منهم كثيراً قبل الولادة لانهم بسبب عوامل طبيعية اكثر تعرضاً للموت من الاناث. وقالوا في سبب ذلك ان في كروموسوم الذكر عاملاً واحداً اسمه X (اكس) ويكون هذا الكروموسوم مفرداً في الذكر ومضاعفاً في الانثى التي تحتوي على اثنين منه وهذا الكروموسوم يحمل صفات كثيرة كما سنبين فيما بعد. ويتفق ان يكون معيوباً وفيه عوامل مميتة فاذا كان هذا العامل مفرداً وكان من النوع المميت فان الفرد يهلك. وفي الذكر X واحد اما في الانثى فيوجد اثنان فاذا كان احدهما معيوباً والاخر صحيحاً فان الصحيح يتغلب على المعيوب ويعيش الفرد. ولهذا تكون ظروف الانثى اكثر ملاءمة للعيش من الذكر. وكلما تكرر الحمل تكون الظروف اقل ملاءمة للحياة فالاناث لا يحملن كثيراً ابان الحروب لانهن بعيدات عن ازواجهن فتسنع الظروف لولادة الذكور وكلما تقدمت الام في السن كانت الظروف اقل ملاءمة للعيش. وقد وجدوا بالاستقراء ان الذكور اكثر تعرضاً للموت قبل الولادة وفي ادوار الحياة الاولى وعزوا ذلك الى الكروموسوم X الذي هو العامل في تقرير الجنس فتحدث فيه عيوب مهلكة تؤول الى النتيجة التي ذكرناها

ان كل ما ذكرناه لا يعلل حقيقة الجنس واليك الخبر اليقين في سبب نشوء الجنس ويرجع الفضل الكبير في هذا البحث الى الاستاذ مورغن البحاثة الاميركي المعروف (Thomas Hunt Morgan) وهو عالم لا يزال حياً وله القدرح المعلى في ادارة ظلمات هذا البحث ويأتي بعده بر دجز C.B. Bridges وسترتفانت Sturtvant وغيرهم

\*\*\*

قلنا في بدء بحثنا ان في كل نوع من انواع الحيوانات عدداً معيناً او سلسلة (Set) من الكروموسومات خاصة بالنوع. وقد اكتشفوا انه في اكثر الحيوانات العليا ومنها الانسان



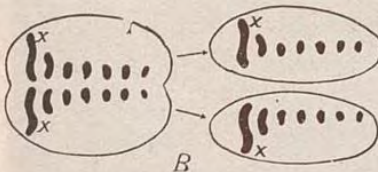
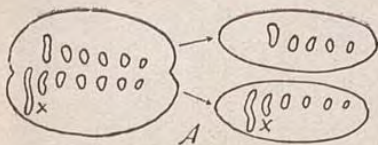
تختلف خلية الذكر عن خلية الانثى في بدء تكوينها وهنا مفتاح السر في نشوء الذكر والانثى. فعدد الكروموسومات في الانثى شفع وفي الذكر وتر . وقد بينا ان عددها في النوع البشري ٤٨ تصطف ٢٤ زوجاً ولكنها تختلف في الذكر فتكون ٤٧ كروموسوماً او ٢٣ زوجاً وفرد وهذا الكروموسوم المفرد يسمى X (اكس) وهو الذي يعين الجنس. وفي الانثى يكون عدد الكروموسومات ٢٣ زوجاً و«اكسان» اي ان الكروموسوم X الموجود مفرداً في الذكر يكون مضاعفاً في الانثى. وبعبارة اوضح ان عدد الكروموسومات في الذكر ٢٣ زوجاً واكس واحد وعددها في الانثى ٢٣ زوجاً واكسان. فالذكر هو الذي يعين الجنس. وهذه هي الحالة في اكثر الحيوانات ويشد عن ذلك العصافير والفراس. فان الانثى في هاتين الطائفتين هي التي تبت في امر الجنس ويكون فيها الكروموسوم X مفرداً وفي الذكر مضاعفاً. فالانثى في العصافير والفراس تحمل اكساً واحداً والذكر اكسين وعلى وجود اكس واحد او اكسين يتوقف نشوء الذكر والانثى. فالذي فيه اكس واحد يصير ذكراً والذي فيه اكسان انثى ويتقرر تعيين احد الجنسين حين تلقيح نطفة الانثى بنطفة الذكر. هذه هي الحقيقة الحديثة التي اتفق عليها جل الثقة في هذا الموضوع وقد دحضت كل النظريات التي سبقها في تعيين الجنس

\*\*\*

وللكروموسوم «اكس» شأن كبير في عالم الوراثة لأن له نظاماً خاصاً في نقل الصفات الوراثية غير نظام مندل الذي نوهنا به وهو مفتاح الى حل لغز عظيم من الغاز الوراثة. قلنا في مقالنا الاول ان الخلية تتألف من نواة والنواة من الكروموسومات ومواد اخرى ولكنها تبين ان الكروموسوم كالجوهر الفرد ليس جزءاً لا يتجزأ بل هو مركب من عوامل genes ومعناها المعين اي هي التي تعين صفة الفرد. ففي كل كروموسوم طائفة من العوامل كل منها يحمل صفة مخصوصة فالكروموسومات ترى تحت المجهر ولكن العوامل لا ترى بل عرفوها استنتاجاً كما عرفوا الالكترونات. وقد توصلوا الى كشفها بالتناسل كما سيمر بنا. فالكروموسومات ترى تحت المجهر بتلوينها ببعض الاصباغ او بدون تلوين انظر الرسم (١) واما العوامل فلا ترى كما بينا. وكل زوج من ازواج الكروموسومات متشابه تأثيراً وهيئة وحجماً. وفي كثير من الانواع ومنها الانسان رفيق آخر للكروموسوم X يدعى X وهو على الاغلب اُثري لا وظيفة له. ولكن يكون احياناً كبيراً بحجم اكس ويختلف عنه شكلاً وتكون له وظيفة في احوال شاذة وهو لا يوجد في الاناث ايضاً بل يلزم الكروموسوم X في الذكور. انظر الرسم (٢)

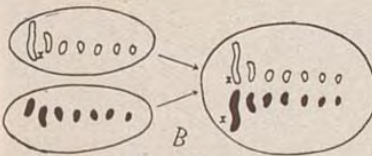
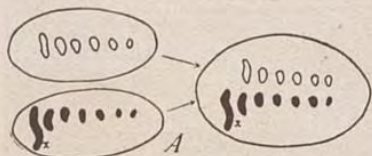
ولنبحث الآن عن الطريقة التي ينشأ بها الذكر والانثى. حينما تنشط الخلية اثناء تكون





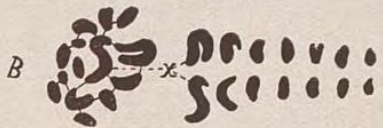
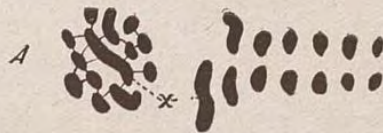
رسم ( ٣ )

( A ) الكروموسومات غير المطموسة تمثل نقطة الذكر وقد انشطرت الى شطرين شطر فيه اكس ( X ) وشطر خال منها . ( B ) الكروموسومات المطموسة تمثل نقطة الانثى . وترى في كل شطر منها اكسا X



رسم ( ٤ )

( A ) اتحد شطر الذكر العديم ( X ) بشطر الانثى الذي فيه اكس خفاء كائن فيه اكس واحدة فهو ذكر . ( B ) واتحد شطر الذكر الذي فيه اكس بشطر الانثى الذي فيه اكس خفاء كائن فيه اكسان فهو انثى



الرسم ( ١ )

( A ) مجموعة الكروموسومات في ذكر البق وترى كروموسوماً مفرداً ممتازاً عن البقية بحجمه وهو الكروموسوم اكس . ( B ) مجموعة الكروموسومات في انثى البق وترى الكروموسوم اكس مزدوجاً . اما الجهة اليسرى فتمثل الكروموسومات في حالتها الطبيعية . واما الجهة اليمنى فتمثلها مصطفة كما ترى بالمكروسكوب



رسم ( ٢ )

مجموعة كروموسومات الذكر (اليمنى) والانثى (اليسار) في ذباب الفواكه . ففي الانثى اكسان ( X X ) وفي الذكر ( X و Y ) . في الصفحة ٢٨٢ سطر ٥ من تحت ال ( X ) الثانية يجب ان تكون ( Y )



الجسم ينشطر معها الكروموسوم فتتال كل خلية منشطرة نفس عدد الكروموسومات الموجود في الخلية الاولى وعليه نرى خلية الذكر تختلف عن خلية الانثى في بدء التكون بوجود اكس واحد او اكسين . ووجود هذا الفارق ممكن الباحثين من ملاحظة سير هذا الكروموسوم في الذكر وتأثيره في نسله كما سيمر بنا ومنه قد توصلوا الى معرفة العوامل ( genes ) قلنا ان في النشطار خلايا الجسم تنشطر معها الكروموسومات وتتال كل خلية منشطرة نفس عدد الكروموسومات الموجود في الاولى . اما في الخلايا التناسلية فالانقسام غير ذلك . فحين تنقسم الخلية تتال كل خلية منقسمة نصف عدد الكروموسومات الموجودة في الخلية الاصلية . ففي الذكور يكون نصيب بعض الخلايا الكروموسوم X وبعضها لا تتال منه نصيباً فينشأ في الذكر نوعان من الخلايا احدها فيه X والاخر عديمها . اما في الانثى فلا ينشأ غير نوع واحد لان خلايا الانثى تحمل «اكسين» فتقسم تنقسم ينال كل شطر X فاذا اتحدت نطفة ذكر عديم الاكس بنطفة انثى <sup>(١)</sup> يتولد ذكر . واذا اتحدت نطفة ذكر ذي اكس بنطفة انثى يتولد انثى . [ انظر الرسم (٣) و(٤) ] فترى مما تقدم ومن الرسم ان الاب تنتقل دائماً الى البنات ولا تنتقل الى الابناء لان البنت او الانثى تتال اكساماً والدها واكساماً من امها والذكر يحصل على الاكس المختصة به من امه وليس من ابيه . وهاتان حقيقتان اساسيتان في بحثنا عن العوامل وستكونان بيت القصيد في الاختبارات والتجارب التي سنثبتها بهذا الصدد . فاذا تحققنا ان X الاب او الذكر ينتقل الى البنات او الاناث واذا كان هذا الكروموسوم يحمل صفات خاصة فيجب ان تظهر تلك الصفات في بناته واذا كانت X الام تنتقل الى الذكور فيجب ان تظهر الصفات التي تحملها في الذكور كما سنوضح

\*\*\*

قلنا سابقاً ان اكثر الاختبارات اجريت على ذباب الفواكه لان تركيبه التشريحي ملائم كل الملاءمة للاختبارات الوراثية . فاعين هذه الذباب الطبيعية مؤلفة من سطوح مستديرة (Facets) وقد حسبوا انه يوجد ثمانمائة من هذه السطوح في العين الواحدة ولا تظهر عين الذبابة بشكلها الطبيعي ما لم تكن كل تلك السطوح كاملة لا عيب فيها . فاذا اعتل احدها تغير شكل العين . وفي بعض انواع هذا الذباب تكون هذه السطوح غير كاملة الاستدارة فتظهر العين قضيبيية الشكل ويعتد هذا عيباً فيها . فاذا زواجنا احد الذكور الموجود فيه هذا العيب وهو الناشئ عن اعتلال الكروموسوم X فان العيب يظهر في الاناث ولا يظهر في

(١) يتولد الفرد في المخلوقات من اتحاد نطفة الذكر بنطفة الانثى وكل منهما يحمل نصف عدد الكروموسومات المعين للنوع فيحصل من اتحادها العدد الكامل الى النوع وسنوفي هذا الموضوع حقاً حين بحثنا عن التناسل



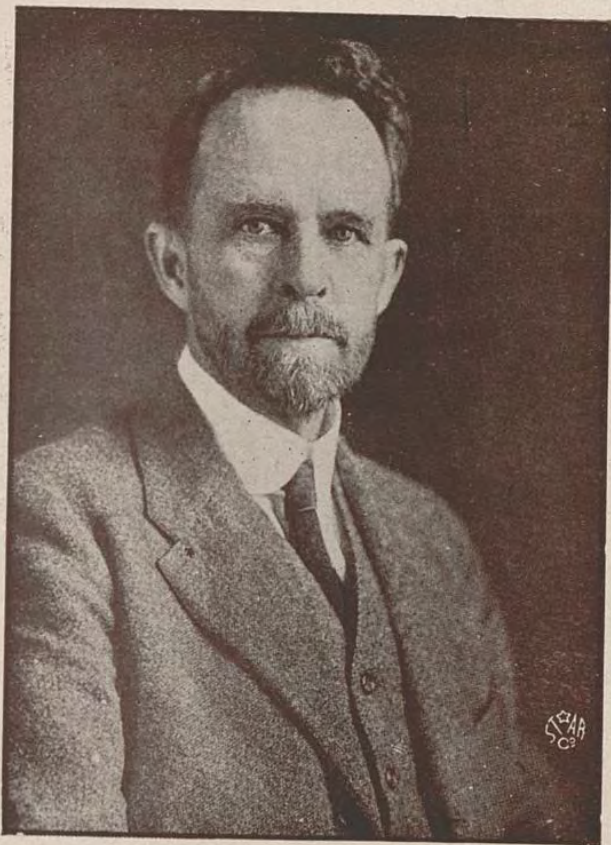
الذكور لان الاناث يأخذن اكساً من امهم واكساً من ابيهم ولما كان الاكس الذي يأخذنه من الاب معيوباً فيظهر العيب فيهم بصورة كامنة لان الاكس الثاني الذي يأخذنه من امهن صحيح فيغطي العيب. ولكن هذا العيب الكامن ينتقل الى اعقابهن فيما بعد. واذا زواجنا انثى ذات عيين قضيبتي السطوح بذكر صحيح العينين نشأ العيب في الذكور والاناث معاً لان الذكور يأخذون ال X المختص بهم من امهاتهم وهو معيوب فيظهر العيب فيهم والاناث يأخذن اكساً من امهن وهو معيوب وآخر من والدهم وهو صحيح فينشأ العيب فيهم كامناً لان ال X الصحيح من والدهم يغطي العيب ولا يظهر. واذا زواجنا اناثاً فيها العيب الكامن بذكور صحيحة نشأ العيب في نصف الاناث وفي نصف الذكور والنصف الآخر ينشأ صحيحاً لان بعض الذكور ينالون ال X المعيوب فينشأ فيهم العيب وبعضهم لا يناله فلا يظهر وكذلك الاناث

\*\*\*

ان هذه العيوب من الصفات الغالبة وهذا شذوذ عن القاعدة العامة التي تقرر ان الصفات الغالبة تكون على الاغلب هي النافعة فالصفات المذكورة في ذباب الفواكه ليست نافعة مع انها غالبة ونذكر الآن نوعاً من العيوب الذي يعد صفة كامنة. ان لون العين الطبيعي في ذباب الفواكه احمر ولكن يوجد افراد اعينها بيضاء فاذا زواجنا افراداً كهذه اي ذكراً ذى عيين بيضاوين بانثى مثله نشأ النسل ابيض العينين. ولكن اذا زواجنا انثى ذات عين بيضاء بذكر احمر العينين ظهر العيب في الذكور ولم يظهر في الاناث لانهن نلن شرطاً صحيحاً من الاب فغطي عيب الام. ولكي نتأكد ان بياض العين ناشئ عن الكروموسوم X تجري الاختبار الآتي: اذا زواجنا نسل البنات الناشئ بذكر احمر العينين نشأ نصف الذكور ببيض العينين والنصف الآخر حمرها. فمن اين جاء البياض؟ من البديهي انه جاء من الام لان الاب صحيح العينين (احمرها) وفي الام بياض كامن والاولاد يأخذون ال X من امهم فمن اخذ منهم المعيوب ظهر فيه العيب. واذا زواجنا احدى الاناث التي فيها عيب كامن (ابيض) بذكر فيه ذاك العيب ايضاً فان العيب ينشأ في كل البنات ولكنه يكون ظاهراً في النصف وكامناً في النصف الآخر فالنسل الذي ينال اكس الاب واكس الام المعيوب يظهر فيه العيب والذي يأخذ المعيوب من الاب والصحيح من الام لا يظهر فيه بل يبقى كامناً وكذلك يظهر العيب في نصف الذكور والنصف الآخر ينشأ صحيحاً

فهذه التجارب تثبت لنا ان ال X الأم يحمل صفات خاصة به واكس الأب يحمل صفات خاصة به. وقد اجريت فعلاً على ذباب الفواكه وانتجت النتائج المذكورة فوراثة الصفات بهذه الطريقة يسمى انتقال الصفات بالاتصال الجنسي (Sex linked characters) ويوجد كثير من الصفات تنتقل بهذه الطريقة أي بالاتصال الجنسي كالهيموفيليا (haemophilia)





الاستاذ توماس هنت مورغن  
Thomas Hunt Morgan

امام صفحة ٢٨٥

مقتطف مارس ١٩٣٢



وهي زف الدم المستمر . فحينما يجرح الانسان يوجد في الدم مادة مخثرة تجعله أن يتخثر فينقطع الزف ولكن المصابين بهذا المرض الوراثي تكون هذه المادة مفقودة من دمهم فينزفون حتى الموت احياناً اذا اصابوا بجرح بسيط أو رعاف يسير . وهذا المرض وراثي ينتقل بواسطة الاناث الى الذكور . فالاناث بمثابة حملة الامراض الذين لا يصبن بها ولكن ينقلنها الى غيرهن ومن النادر ان يصاب الاناث بمرض الهيموفيليا . ويوجد غير هذا من الامراض الوراثية مما ينتقل بنفس الطريقة كعمى اللون وضمد العضلات وغيرها

ان في الكروموسوم الجنسي أو X مجموعة من الصفات تنتقل بتقله وقد تمكنا من اظهار ما يربى على الحسنيين صفة من هذه الصفات في ذباب الفواكه تورث بطريقة الاتصال الجنسي ان الاختبارات التي ذكرناها بينت لنا ان الكروموسوم الجنسي يحمل صفة من الصفات ولكن نحن قلنا ان الكروموسوم الواحد يحمل مجموعة من الصفات كل منها مستقل عن الآخر فاهودليلنا على ذلك . الدليل انهم تمكنا من جمع تلك الصفات وتقريقها في الكروموسوم الواحد واجروا اختبارات عديدة على ذباب الفواكه تثبت هذه الحقيقة . ففي نوع من انواع انث هذا الذباب تكون العين حمراء والجسم ابرش وفي الذكور تكون العين بيضاء والجسم اصفر فاذا زواجنا فردين كهذين نشأ نوعان من الصفات في البنات احدها فيه عين حمراء وجسم ابرش والاخر عين بيضاء وجسم اصفر . ولا نرسم الرسوم التي تثبت ذلك خشية ملل القارئ من كثرتها . ومما لا ريب فيه ان الكروموسوم الواحد يحمل مجموعة صفات يمكن تجزئتها فاذا اتلفت الجزء الذي يحمل تلك الصفة لم تظهر الصفة في النسل

ودلت التجارب التي اجريت على ذباب الفواكه انه يوجد في كل زوج من ازواج الكروموسومات مجموعة صفات في ذباب الفواكه اربع مجموعات اي بقدر ازواج الكروموسومات ويوجد في الانسان ٢٤ زوج كروموسوم في كل زوج منها مجموعة من الصفات وقد سموا الاجزاء التي يتركب منها الكروموسوم العوامل Genes كما بينا ومعناها المعين اي الذي يعين الصفات . وقد تمكنا من درس تلك العوامل وتعيين مواقعها كما تعين مواقع البلدان بواسطة خطوط الطول وخطوط العرض وجعلوا لها مصوراً خاصاً فتقول مثلاً ان العامل الفلاني المختص بتلوين العين موجود في الكروموسوم الرابع والنقطة ٤٢

\*\*\*

ان ما ينطبق على الكروموسوم اكس بانه مركب من عدة عوامل ينطبق على غيره من الكروموسومات . انما الكروموسوم X هو الكروموسوم الجنسي اي الذي يميز الذكر عن الانثى . وقد اطلقوا على سائر الكروموسومات التي لا دخل لها بتعيين الجسم اسم اوتوسومات



Autosomes تمييزاً لها عن الكروموسوم الجنسي. فالأوتوسومات تتبع نظاماً خاصاً في وراثتها وهو نظام مندل الذي ذكرناه في مقالنا الأول أي نسبة ٣:١ غالب إلى واحد كامن. وأما الكروموسوم الجنسي فيتبع نظام الاتصال الجنسي أي أن صفات الآباء تنتقل إلى البنات وصفات الأمهات إلى البنين كما شرحنا ذلك مفصلاً. وقد يحدث أحياناً عكس ذلك فإن صفات الأم تنتقل إلى البنات لا إلى البنين وهو من النوع الشاذ الذي لا ينشطر فيه أكسا الأم بل ينفصلان انفصالاً ويلتصقان ببيضة من البويضات. حينما تتحد بويضة كهذه وفيها أكسا عوض الأكس الواحدة بنطفة ذكر ينشأ الأنث وفيهم صفة أهم لا إيهيم. وحينما تتحد بويضة عديمة الأكسين بذكر فيه X ينشأ في الذكور صفات الأب في الحالة الأولى إذا كان في أكس الأم عيب يظهر في البنات وفي الثانية لا يظهر في الذكور لأن البويضة التي اتحدت بنطفة الذكر خالية من الأكس المعيبة

\*\*\*

وثمة طريقة ثالثة للوراثة وهي نادرة وهي طريقة الكروموسوم Y الذي قلنا أن لوظيفته له أحياناً يكون هذا الكروموسوم كبيراً بحجم X ويحمل صفات خاصة تتبع نظاماً خاصاً. فالصفات تنتقل من الأب إلى الابن دائماً ولا تظهر في الإناث ولا تنتقل بواسطتهن وتوجد هذه الطريقة في بعض ذباب الفواكه وكثير من الأسماك

إن طريقة الوراثة تتوقف على مركز العامل في الكروموسوم. فقد قلنا أن الكروموسوم الجنسي يتبع نظام الاتصال الجنسي والأوتوسومات تتبع نظام مندل والكروموسوم Y يتبع نظامه الخاص. وقد تمكنوا بواسطة أشعة أكس من فصل جزء من الكروموسوم الجنسي ووصله بالأوتوسوم فالصفة التي يحملها العامل لا تورث عندئذٍ بطريقة الاتصال الجنسي بل بطريقة مندل وهكذا إذا نقلنا جزءاً من أجزاء الأوتوسومات إلى الكروموسوم الجنسي فلهذا لا تورث بنظام مندل بل بالاتصال الجنسي

فالصفات لا تتبع نظاماً خاصاً بل يتوقف نظامها على مراكز الكروموسومات المختصة منها بالكروموسوم الجنسي تتبع نظامه والموجودة في الأوتوسوم تتبع قانون مندل والموجودة في ال Y تتبع نظامه الخاص بانتقال الصفات رأساً من الذكور إلى الذكور دون واسطة الإناث. وفيما ذكرنا كفاية لإرشادنا إلى حقيقة تعيين الذكر والإناث بواسطة الكروموسوم الجنسي وما يحمله من مجموعة الصفات

الدكتور شريف عيران

العراق



# الشرق الاقصى

حقائقه واوهامه

الصين الجديدة ومركزها العالمي بين الدول العظمى<sup>(١)</sup>

عن الفيلسوف برتراند رسل

تمتاز الصين في العصر الحاضر بمركز يكاد يكون فريداً بين امم القارات الخمس . فهي من حيث التعداد اعظم امم الارض ، ولكنها من حيث القوة المادية في مؤخرة الدول . ظلت الصين اربعين قرناً وعلى رأسها امبراطور مقدس يستمد سلطته من السماء . ولكنها بمعجزة غريبة غيرت نهجها هذا في فاتحة العقد الثاني من القرن العشرين ، فأصبحت جمهورية ديمقراطية على النسق الحديث . غير ان هذه المعجزة الغريبة لها اسباب واقعية . فاننا اذا قطعنا بحجرة فلم واحدة ثلاثة آلاف وسبعمئة سنة من تاريخ الصين ووصلنا الى سنة ١٦٤٤ صادفنا في ذلك الطريق غزو « المانشو » — Manchu — اذ افلح غازي من عظام الغزاة هبط على الصين من الشمال فأذلها وتربع على عرش « التنين » ملكاً حاكماً بأمره . ولقد حاول هذا المستبد ان يثبت في الصين عادات جديدة ويقضي على عادات قديمة . فقبل اهل الصين كل جديد ولكنهم رفضوا ان يدلوا اي قديم من عاداتهم الموروثة . وفي هذا دليل واضح على روح المحافظة التي امتاز بها هذا الشعب الفد بين شعوب الارض قاطبة

غير انه لم يمس على اسرة « المانشو » غير قليل حتى اصبحوا صينيين روحاً وتقاليدهم ان اختلاف الزي والعادات حفظ عليهم طابعاً جعلهم بعيدين بعض الشيء عن الامة التي غزوها والتي هي اعرق منهم مدنية وأعمق في الحضارة منهم اصلاً . فظل اهل الصين منهم على حذر وفي قلوبهم ريبة من امبراطورهم . ومن سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٩٠٠ تتابعت الحروب على الصين حتى انتهت بثورة « البوكسر » ، فكان ذلك سبباً في الاساءة الى سمعة الاسرة الامبراطورية

(١) تلخيص من الفصل الرابع من كتاب « مشكلة الصين » للفيلسوف الانجليزي الكبير « برتراند رسل » وربما نابعاً بعض فصول الكتاب حتى يقف القراء على شيء من حقائق الشرق التي تغيب عنهم ، لاسيما وان هذا الكتاب قد ظهر بعد ان قضى مؤلفه في الصين ردهاً من الزمان ، وفيه من الاعتماد وروح التسامح ما يخلق بنا الاشارة اليه



وضياع هيبتها ، وحفزت كثيرين من مفكري البلاد الى مجارة الاوربيين في خططهم المدنية وحضارتهم الحديثة . ولا يدلك على مقدار ما انتاب الصين من الاحداث العظام في خلال ذلك العهد الا اذا علمت ان الثورة التي قامت في سنة ١٨٤٩ واستمرت حتى سنة ١٨٦٤ قد اودت بأرواح ما لا يقل عن ١٥٠ مليوناً من اهل الصين كما يقول المؤلف بنتام ويل Puntam Weale وان خسائرها لا تقل عن خسائر الحرب العظمى شيئاً . ولقد ساد الاعتقاد أنه ليس في مقدور الامبراطور « المانشوي » ان يخضعها ، ولكنه افلح بمساعدة القائد غوردون ان يتغلب على الثورة . غير انه لم يكد يتغلب عليها حتى كانت قد استنزفت كل قواه وانهدكت موارده وأضاعت هيئته وهيبة الحكومة التي يرأسها معاً . كذلك كانت هزيمة الصين في حربها مع اليابان ( ١٨٩٤ - ٩٥ ) وانتقام الدول العظمى من الصين عقب ثورة البوكسر ( ١٩٠٠ ) سبباً في ان يفتح اهل الصين اعينهم والمفكرون منهم على الاخص ، فيروا ان الصين في حاجة الى حكومة اكثر ملاءمة لضرورات العصر الحديث من حكومة الامبراطور الساموي او بالاحرى حكومة « ابن السماء » كما يقولون . غير ان الحوادث تتحرك ببطء في بلاد الصين فلم تندلع السنة الثورة الا بعد احد عشر عاماً من قمع ثورة البوكسر

كانت ثورة الصين في سنة ١٩١١ ثورة معتدلة شبيهة كل الشبه بثورة انكلترا سنة ١٦٨٨ ولقد ايد الجمهوريون « سن يات سن » قوام الثورة وعمادها ، فانتخب بعد ان نجحت الثورة رئيساً لاول حكومة جمهورية في « امبراطورية السماء » . غير ان جيش الشمال ظل موالياً للأسرة الامبراطورية ، وكان من الجائز ان يتمكن من هزيمة جيوش الجمهورية . غير ان قائد جيش الشمال « يوان شي كاي » اختصر الطريق فصالح الثوار واعترف بالجمهورية ، على قاعدة ان يكون اول رئيس لها بدل « سن يات سن » . ولقد ايدت السفارات الاجنبية « يوان شي كاي » ظناً منها انه رجل قوي الشكيمة يؤمن بالحديد والنار ، وانه بعيد عن ان يؤخذ بمزئيات الحرية ومغريات الديمقراطية وما اليها من المثاليات ! ولقد ظل شمال الصين اكثر ايماناً بالقوة الحربية واكل ايماناً بالحرية من الجنوب ، وبهذا استطاع ان يخلق « يوان شي كاي » من العدم جيشاً من اهل الشمال يضارع اي جيش في أية دولة من الدول العظمى . وكان طمعه ، كما كانت قسوته ، سبباً في ان ينال عطف رجال السلك السياسي من الاجانب ويفوز بشيء من ثقتهم . على أن ما انتاب الصين من المصائب والاحداث العظام بعد موته ، يحملنا على ان ننظر الى سياسته واساليبه في الحكم بشيء من العطف له ما يسوغه

اجتمع البرلمان الصيني لاول مرة في ابريل سنة ١٩١٣ بعد انتخاب حر ليضع قواعد الدستور . غير ان « يوان شي كاي » بدأ يناوىء البرلمان ويصارعه . ودارت المعركة حول حقوق رئيس الجمهورية وامتيازاته التي حاول البرلمان أن يجعلها محدودة غير مطلقة بيّنة غير



غامضة . وكانت الاغلبية ضد « يوان » داخل البرلمان ، ولكن كان من ورائه الجيش وقوة الحراب . فما لبث أن اظهر بحادث فعلي انه مستقل في المسائل المالية عن البرلمان اذ عقد قرضاً مع البيوت المالية الاجنبية ، من غير أن يفكر في مصادقة البرلمان ، ومن غير أن يعبأ بأنه سوف يحاسب على ما فعل . وقامت الثورة في الجنوب لواءة محطمة ، ولكنه بادر الى قمعها ومن ثم اخذ يعمل على ان يصبح الحاكم بأمره في امبراطورية السماء حتى تم له ما أراد ، فاستبد بالسلطة وأخذ يعين قواد الجيوش وحكام الاقاليم حسب هواه ، وارسل بجنود الشمال لتحتل ارض الجنوب . وكان من الممكن ان ينجح في خطته وان يصبح امبراطوراً سنة ١٩١٥ ، لولا ثورة ناجحة عاجلته فثت في سنة ١٩١٦ بسكتة قلبية ، على ما يقال

ومنذ ذلك الحين بدأ عهد الفوضى الشاملة في الصين فان القواد الحريين الذين نصّبهم « يوان شي كاي » رفضوا ان يدعوا للحكومة المركزية بعد ان رفعت يده القوية عن دولا ب الحكم ، واخذ الجنود ينشرون في عرض البلاد وطولها حكم ارباب لم تر الصين اسوأ منه خلال كل ادوار تاريخها الطويل . وظهرت بوادر الحروب الاهلية التي استمرت منذ ذلك الوقت قائمة على قدم وساق . ومما زاد الطين بلة ، ان هذه الحروب الاهلية كانت بلا غرض معين ولا مبدأ معروف ولا ضابط محدود . بل قامت لصالح القواد ، من منهم يحكم اكثر من مقاطعة من مقاطعات الصين الواسعة ، ومن منهم يفوز باعظم سلطة واكبر غنيمة . ولا تزال حتى اليوم آثار الخلاف بين الشمال والجنوب ظاهرة الاثر ، ولكنها اقل حدة مما كانت من قبل وعلى الاخص على المسائل الدستورية

\*\*\*

يحكم مديرو الاقاليم مستبدين بأمرهم من غير ان يفكروا ان في « بكين » حكومة يصح الرجوع اليها ، ويرتكبون في حكمهم هذا كل ما يخيّل الى شخص ذي خيال من صنوف العسف والجور ، ولا يأتقون من ان يتردوا في اشنع دركات العماية ، تقودهم الاطاع ولا يردعهم وازع ماعن ارتكاب المحرمات والمفاسد . وهؤلاء تنصّبهم حكومة « بكين » ولكن اسماً ، وهم في الحقيقة لا يعتمدون على غير الجنود ، ولا يعترفون بقانون الا قانون الحديد والنار ، تسلطه الاهواء والاغراض والمطامع على اهل البلاد . هذا والحكومة المركزية في افلاس ، وكثيراً ما تعجز عن ان تدفع اجور رجال الجيش ، فيعتمد هؤلاء الى البلاد الآمنة يوسعونها سلباً ونهباً او يقتسمون ما يمكن ان يصل الى ايديهم من اسلاب حكام الاقاليم فاذا ظهر ان اي حزب من الاحزاب قد قارب الانتصار وان نجمه اخذ في التآلق في سماء الصين المظلمة ، مدت حكومة اليابان رجاله بالمال والعقار وادوات الحرب من ميرة وذخيرة ليطول امد الفوضى المدنية ويمتد



عمر الخلاف الداخلي والحروب القومية . ولقد حدث مرة ان اجتمع ثلاثة من حكام الاقاليم في الصين وفي جوف العاصمة الكبرى وعلى مقربة من الحكومة المركزية ، بل بين سمع الحكومة المركزية وبصرها ، لا لشيء الا ليتفقوا على طريقة اقتسام الاسلاب . وكانوا فوق ذلك غير موالين لرئيس الجمهورية ولا لرئيس الوزارة . ولكنهم فضلاً عن هذا كله استطاعوا ان ينالوا من خزينة الحكومة المفلسة مبلغاً من المال ذكرت الجرائد حينذاك — بعيد الحرب العظمى بقليل — انه لا يقل عن تسعة ملايين من الدولارات ، تلقاء أن يظلوا في العاصمة لا يبرحونها الى مراكز اعمالهم فينشرون الفوضى وقيمون الثورة في انحاء البلاد ويلقوا بها في بحر من الدماء . ولقد أصاب « شانج تسولن » حاكم منشوريا اكبر نصيب من هذا الغنم ، على الرغم من انه معروف بأنه من صنائع اليابان . وتحت اي عنوان اعطى هذا القدر العظيم ؟ قيل اذ ذاك ان السبب فيه أن يجمع ثورة اندلعت ألسنتها النيران في « مونغوليا » . ولكن لم يشك أحد في انه سوف يبتلع هذا المال ، فابتلعه ، وظل مقيماً في مدينة « مكدن » من غير أن يحرك ساكناً

\*\*\*

في أقصى الجنوب قامت حكومة من طابع آخر ، فكانت جديدة بان تنال بعض الاحترام من الذين احتكوا بها . لقد نجحت « كاتون » وهي مباءة الديمقراطية في الصين ، في أن ترفع عن كاهلها ضغط الشمال بان هزمت جنوده في ربيع سنة ١٩٢٠ واقامت جمهورية قوية فيها كل عناصر التقدم والارتقاء تحت رئاسة « سن يات سن » . وتكونت هذه الجمهورية من مقاطعتين احدهما « كوانج تونج » وعاصمتها « كاتون » والاخرى « كوانجسي » . ودلت البوادر على انها سوف تغزو الجنوب كله ، غير أن القائد الشمالي « ووي فو » صدها عن الانبعاث في طريقها المرسوم بعدة انتصارات نالها على جيوشها في مقاطعة « هونان » . ولقد اتهمها اعداؤها بأنها كانت تحاول غزو الصين كلها وان تضم اطرافها تحت لواء جمهورية واحدة . ومهما يكن من هذا الامر فانها كانت حكومة تستحق معاضدة كل الامم التي تؤمن بالارتقاء في عصرنا هذا . ولقد عدد الاستاذ الفيلسوف « ديوي » فضائلها في مقالات نشرها في جريدة « الجمهورية الجديدة » مبيّناً مقدار ما أظهره الانجليز وسلطات « هونغ كونغ » من العداء لها ، وما حملها من الحفيظة والبغضاء . بيد أن كل هذا لم يكن عبئاً ، بل كان جرياً على قواعد وضعناها — اي الانجليز — ومبادئ انتهيناها . فاننا نبغض كل اصلاح متطرف يقوم به شعب ما في الشرق من ناحية ، وكنا نحشى على اتفاق « كاسل » — Cassel — أن يتقوض من ناحية أخرى . اما هذا الاتفاق فليس بغريب ان يعقد مثله مع الصين . فقد كان من شأنه أن تحتكر به الطرق الحديدية كلها والمناجم باجمعها في مقاطعة « كوانج تونج » .



ونتم امره على يد الحكومة السابقة لحكومة « كانتون » هذه ولم يكن ينقصه ليصبح نافذاً الا المصادقة عليه ، ولكن تغيير الحكومة جعل المصادقة على هذا الاتفاق ضرباً من المحال . وكانت الحكومة الجديدة تعتمد على صداقة امريكا ، فاستطاع امريكي هو مستر « شانك » — Shank — ان يعقد اتفاقاً معها مقارباً للاتفاق الذي عقدها مع الحكومة القديمة . غير ان الحكومة الامريكية لم تؤيد مستر « شانك » في حين اننا أيدنا اتفاق « كاسل » وعملنا على تنفيذه بكل الوسائل . فكانت سياستنا في الصين عمياء تؤيد ما هو فاسد لتقضي به على ما هو حسن . أيدنا حكومة ساقطة لتسقط حكومة قوية شديدة رشيدة

\*\*\*

ان الفوضى في الصين لما يحزن اصدقاءها ، الذين يودون من صميم قلوبهم أن يروا عهدها قد انتضى وحل محلها النظام . ولكن من أكبر الخطأ ان نبالغ في تصوير الشر ، أو نزع بانها شر لا مثيل له في أوروبا . واذا أردنا الموازنة فلا يجب ان نوازن بين الصين وبين دولة بعينها من ممالك أوروبا ، بل يجب ان تكون الموازنة بين الصين من ناحية وأوروبا كلها من ناحية أخرى . فقد قرأت في جريدة التيمس الصادرة في ١١ نوفمبر سنة ١٩٢١ مقالاً مليئاً تشاؤماً عنوانه « الخطر في الصين : احدى عشرة حكومة تتنازع » . غير أننا نجد اذ ننظر في أوروبا أكثر من احدى عشرة دولة ، ان العداء بينها اشد كثيراً مما هو بين حكومات الصين . وعدد الجنود في أوروبا أكبر منه في الصين بما لا يقدر من الاضعاف ، وجنود أوروبا أكثر استعداداً للتخريب والهدم بما أوتوا من معدات الحروب المهلكة . وعدد المصادمات الحربية في أوروبا منذ الهدنة أكثر مما وقع في بلاد الصين في خلال العهد ذاته . وانك لتخترق بلاد الصين من طرف الى الآخر ، فلا تقع عينك على مظهر ما من مظاهر الاستعداد للحرب ، كما ان المعارك في الصين قلما تكون دموية ، لان المحاربين أجراء لا يهمهم انتصار ولا هزيمة . وانه ليخيّل الي أن اهل الصين في الوقت الحاضر لا سعد حظاً وأرضى بالاً في المجموع من اهل اوربا في جملتهم

من الواضح على ما اظن ان الاصلاح سوف يبدأ في الصين بتكوين اتحاد برلماني يمنح الاقاليم قدراً عظيماً من الاستقلال الذاتي . فان تقسيم الصين الى مقاطعات نظام من اقدم الانظمة والشعور الاقليمي شديد ثابت الاثر في نفسية اهل الصين

بعد ان قامت الثورة حاول الصينيون ان يقيموا برلماناً على دستور تقل مشابهته لدستور انكلترا او تشد ، مع فارق واحد هو انه كان تحت امره رئيس جمهورية بدلاً من ملك . غير انه لا يغيب عنا انه من اجل ان ننجح في تكوين حكومة مركزية غير متحدة ، يجب

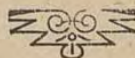


ان نحاول التجربة في شعب متجانس قليل الاعتداد بروح الاقليم والشعور الموضوعي . وان تجربتنا في ايرلندا لا كبر شاهد على صحة ما نذهب اليه . وكل المجدين من اهل الصين يميلون الى تكوين حكومة اتحاد لا يترك للحكومة المركزية الا السلطة على الجيش والتسليح والعلاقات الخارجية والجمارك . غير ان الصعوبة في التخلص من القوضى العسكرية القائمة اليوم عظيمة . فان الحكومة المركزية لا تستطيع تسريح الجنود ، لانها لا تجد لديها من المال ما يكفي لدفع اجورهم . ولهذا يجب ان تقرض الحكومة من الخارج ما يكفي من المال لتدفع للجنود ما لهم من الاجور وتوجههم الى اعمال حرة منتجة . ولكنه من المشكوك فيه كثيراً ان تقرض دولة او دولات بلاد الصين قرضاً من غير ان تحاول ان يكون ثمن القرض القضاء الاخير على البقية الباقية من استقلال البلاد . لهذا وُمل ان يجد الصينيون طريقاً آخر يقضون به على متاعبهم من غير ان يلجأوا الى المساعدة الاجنبية بحال من الاحوال

\* \* \*

اذا تركنا الحرب جانباً، وجدنا ان الحضارة الاوربية تؤثر في الصين من طريقين : الاول طريق التجارة : والثاني الطريق العقلي . على ان كلا الطريقين انما يعتمد الى السلاح ليطلع اثره على جبين الصين . فلو اننا لم نستطع ان نهزم الصينيين في الحرب المسلحة ، لما فتحوا لنا ثغراً واحداً من ثغورهم لتجارتنا ، ولا حاول ذهن واحد من اذهابهم ان يستوعب شيئاً من افكارنا وتأملاتنا . غير ان الفاتحة الحربية التي بدأنا بها علاقتنا مع الامبراطورية كادت تزول الآن من الازهان ويعفى اثرها . فانه يصعب عليك الآن ان تقع على حالة واحدة من حالات كثيرة تقوم كل يوم في انحاء الحياة الصينية يمكن ان تستدل بها على أنهم يظنون ان الاحتكاك بالامم البيضاء كان نكبة على الصين ، اللهم الا حيث تجد ان روح المحافظة التقليدية قد تغلبت على كل الاعتبارات الاخرى . ولاهل الصين سليقة تجارية ممتازة بل موروثة ، مصحوبة بقدر عظيم من حب الاطلاع والاستطلاع . وكلا الامرين من الاشياء التي يمتاز بها اهل أوروبا على غيرهم من الامم . وان قليلاً من الاعتدال وليونة الطبع يكفيانك لان تنال صداقتهم ، سواء في العلاقات الخاصة ام العلاقات السياسية . وانه ليخيل اليّ ان افكارهم وتأملاتهم كفيلة بان تغذي ثقافتنا بمستحدثات فذة نادرة ، بقدر ما تكفل لنا تجارتهم من عمار الجيوب

[ابن طفيل]





# العلم والازمة العالمية

هل تقع تبعاتها عليه ؟ (١)

[ ان مفارقة الانسانية العجيبة ، التي خاضت عمارها من نحو جيل على الاكثر ، ويكاد ينبلع منها فجر عصر جديد من عصور الحضارة لم تم ، ولم تزد سرعة وعنفاً الا بارتقاء العلم السريع المتواصل ]

هذه العبارة مقتطفة من مقدمة كتاب للعلامة الفرنسي پران « Perrin » ، وبها يعرب العالم الفرنسي الكبير عن اثر العلم المفيد في نشوء الحضارة . وقد ظل هذا الاثر الى الآن غير معرض للشك ، ولا للطعن عليه . ولم ينفرد العلماء في اجلالهم لمقام العلم والمكتشفات العلمية في نشوء الصناعة التي يمتاز بها عصرنا هذا ، بل ان ارتقاء الصناعة ، الناشئ عن المكتشفات العلمية ، كان في نظر المفكرين ، والجمهور كذلك ، مسوغاً لما تبذله الحكومات والاغنياء من المال في سبيل تشجيع البحث العلمي المجرد

على ان الازمة الاقتصادية المنيخة بكاملها على كل الامم حملت بعض المفكرين على الشك في فائدة هذا الارتقاء الصناعي . فبعض الاصوات التي كانت الى عهد قريب ، ترتفع منفردة هنا وهناك اخذت تبدو ، حاملة في طياتها معاني الانذار . ليست هذه الازمة العالمية ناشئة عن التطرف في الارتقاء الصناعي ؟ وهل ثمة امل في الخروج من هذا المأزق ؟

واذا كان اتقان الآلات ، وزيادة استعمالها في الانتاج ، هو سبب هذه الازمة ، كما يقال لم نجد مسوغاً لحسبان هذه الازمة من الازمات الدورية التي كانت تنتاب الاجتماع البشري في الماضي ، اذ كانت تتعاقب فترات الرخاء والكساد ، تعاقب الحوادث الطبيعية . بل يجب ان ندرك ان نمو الصناعة واتقان صنع الآلات من الامور التي لا تقف عند حد معين . بل ان الاسباب التي احدثت الازمة العالمية — اذا كان هذا هو سببها — سوف تظل فعالة ، بل وسوف يشتد أثرها سنة فأخرى ، واذاً فلا سبيل الا اشتداد الازمة واستفحالها حتى يكشف لها علاج — وهو ما حارت الالباب فيه الآن

اذا صحت هذه الآراء التي تبعث على التشاؤم ، فالعلم نفسه وهو مصدر الارتقاء الصناعي يحمل تبعه الازمة ، واذاً فلا بد من حصول انقلاب نفسي عالمي من شأنه تبديل بعض المبادئ الادبية الراسخة في النفوس ، وحسبان البحث عن الحقيقة العلمية ، والتقنيش عن الحق الذي ما زال يحسب غاية للانسانية النبيلة ، امرأ ينطوي على ضرر كبير

(١) لامل بوربه عضو اكااديمية العلوم بباريس نشرت في مجلة سينسيا الدولية



والواقع اننا نستطيع ان نتجاهل كل البواعث والحوادث السياسية والاقتصادية في محاولتنا لتعليل الازمة الحالية وشدة استحكامها من دون ان نهمل او ننكر اثر الاقتصاد في الحوادث السياسية الكبرى ، كالحرب والثورات . يجب ان ندرك ان سير التاريخ ، يثبت لنا ان خطر هذه الحوادث في توجيه الحضارة اقل شأنًا من المكتشفات العلمية والصناعية . وهذا لا ينقض ان للحروب والثورات اثرًا بادياً في يسر شعب معين او عسر في اثناء مدة قصيرة من التاريخ . ولكن هذا الاثر موضعي في الغالب ، ولا يقف حائلاً دون الارتقاء العام في ام الارض باعتبار مجموعها . فرغمًا عن الحروب والثورات التي نشبت في القرن التاسع عشر ، في كل انحاء العالم تقريباً ، نشهد اتساعاً عظيماً في شبكة السكك الحديدية ، وهذا الاتساع التدريجي من اخطر الحوادث التي شهدتها القرن التاسع عشر ، وهو اشد خطراً من اي حادث سياسي منفرد . فاذا نحن حاولنا الكشف عن البواعث الاولى لازمة العالمية الحاضرة ، بصرف النظر عن البواعث الثانوية ، وصلنا الى فكرة بسيطة ، يدعوها بعضهم «زيادة الانتاج» والبعض الآخر «قلة الاستهلاك» والواقع انها شيء واحد . وبكلمة اخرى ، يتجمع في بعض انحاء العالم ، مقادير كبيرة من المواد الصناعية الاولى او المحاصيل الزراعية فتتكسد لقلة المشترين . ففي بلدان نجد نحاساً . وفي اخرى قحاً ، وفي ثالثة مطاطاً او سيارات . وهذه الزيادة تجلب في اثرها ازدياد العاطلين في كل البلدان ، وهؤلاء لا سبيل لهم لا يتباع ما يحتاجون اليه لضيق ذات يدهم ، فتزداد العقبات التي تحول دون تصريف المنتجات الصناعية والزراعية . وهكذا تولد الازمة ازمة ، «فكثرة الانتاج» تجلب في اثرها «قلة الاستهلاك»

فاذا بحثنا الآن عن السر في «زيادة الانتاج» اتفق المفكرون على انها نتيجة الاتقان في صنع الآلات واستعمالها . ولا يغرب عن الذهن ، انها نتيجة ، كذلك ، للتضخم النقدي وتوسيع نطاق الاعتمادات المالية التي يراها بعض علماء الاقتصاد النظريين — ولا سيما في الولايات المتحدة الاميركية — من مستلزمات الارتقاء الاقتصادي . فانهم يعتقدون اننا اذا اقنعنا كل عامل ، بان يبتاع علاوة على ما تمكنه وسائل دخله ، وان يجري على طريقة التقسيط ، برهن جانب من مرتبه او اجرتة ، لتسديد ما عليه ، زادت ثروة البلاد باتساع الحركة الاقتصادية الصناعية وعنفها . والحق ان هذا الرأي قد افلس الافلاس كله ، والامل ان يحل محله الرأي الحكيم ، وهو ان لا يشتري الانسان الا ما يحتاج اليه وما كان في نطاق دخله ولا اطليل الوقوف بهذه الناحية الاقتصادية والنقدية من نواحي المسألة ، وانما اکتني بالاشارة اليها كاحد الاسباب التي زادت استحکام الضائقة . ولكن يجب ان نعترف ، انه اذا كان لهذا السبب اي اثر في احكام الضائقة ، فزيادة الانتاج الصناعي — الذي مهد السبيل له — نشأ عن اتقان صنع الآلات واستعمالها



ولا اتناول في البحث مسألة هل يستطيع وضع حد مصطنع للتقدم الصناعي والارتقاء العلمي . فبعض الكتاب في نهاية القرن الماضي ، تصوروا ان الانسانية سوف تمل الحضارة الميكانيكية ، فتثور على الآلة وقد اصبحت سيدة الانسان ، فتحطم كل الآلات في ثورانها العنيف ، رغبة منها في العودة الى حياة اسلافنا البسيطة . واني لا اعتقد قط ، ان حاملاً كهذا ، يمكن ان يتحقق ، وان سكان العالم ، يمكن ان يتفقوا على التخلي عن كل المميزات التي نالوها عن طريق الصناعة والعلم . ان الرغبة في المعرفة ، وفي ابلاغ المعرفة حدود الكمال ، راسخة في الطبيعة البشرية رسوخاً ، فلا يحلمن احد بانزعاعها ، او كبتها . ثم اننا لا نرى كيف يمكن لاية امة ، ان تتخلي عن رغبتها في استعمال كل ما هو كامن في ارضها وطبيعتها لها ، الى اقصى حدود الاستعمال ، لانها اذا اقدمت على ذلك ، وجدت نفسها وقد اصبحت ضعيفة ومستضعفة في الزحام الدولي واذاً فيجب ان نسلّم بان التقدم الصناعي حقيقة لا بد من عمل حساب لها ، واننا لا نستطيع ان نتجاهلها ولا ان ننكرها . وانما يجب ان نعلم ، هل الشرور التي تسند اليها ، هي شرور لا مندوحة عنها ، وهل لا يستطيع العلم نفسه ان يجهزنا بوسائل للخروج من مأزق ، تقع بعض تبعته على الاقل عليه ؟

واول ما نشهده في هذا الصدد ان ارتقاء العلم والصناعة يسفر عنه قلة العاملين في الصناعات التي تأخذ بالمبادئ العلمية الجديدة وتستعمل الآلات المستحدثة ، ولكنه في الوقت نفسه ، يخلق حاجات انسانية جديدة ، تمهد السبيل الى خلق صناعات جديدة ، فتكون بدورها منفذاً للعامل الذين استغني عنهم أو عن بعضهم ، في الصناعات القديمة . ففي بلاد صناعية كالولايات المتحدة الاميركية ، نجد ان جانباً كبيراً من عمالها يشتغلون الآن في صناعات ، لم يكن لها أثر من نحو ثلاثين سنة ، مثل صناعة السيارات وصناعة الادوات اللاسلكية والصناعات السينمائية واذا حسبنا حساب الصناعات الكهربائية على اختلافها ، وسكك الحديد ، التي لم تكن قد نشأت من نحو قرن او كانت في مهدها ، بلغ عدد العمال العاملين في صناعات جديدة في اميركا ، ثلاثة ارباع كل العمال فيها . واذاً فينشأ توازن ، بين عطلة العمال في بعض الصناعات التي يدخلها التقدم العلمي والانتقان الصناعي ، وبين الحاجة الى العمال في صناعات جديدة يخلقها العلم والصناعة . ولكن هذا التوازن لا يكون دقيقاً في كل عصر من العصور ، فيحدث من حين الى آخر ، اذ يختل هذا التوازن ، ازمة ، يقل فيه عدد العاطلين اذ يكثر الطلب عليهم ، أو يكثر عدد العاطلين لقلة الطلب

ومن الحقائق التي يجب ان نذكرها ، لانها من الاسباب التي تزيد استحكام الازمة الحالية ، ان الانسان اسرع اكتفاءً بالمنتجات الحديثة ( او الكمالية ) منه بالاشياء التي لا مندوحة له عنها للاحتفاظ بكيانه ، كالغذاء واللباس . فاذا حدثت أزمة بدا أثرها حالاً في



الصناعات الكمالية ، وهي التي تخرج للناس ما يسد حاجاتهم المستحدثة والمصطنعة في غالب الاحيان . ولما كان مقام هذه الصناعات في الولايات المتحدة الاميركية ، عالياً ، فالركود الذي اصابها ، كان من البواغث التي جعلت امتداد الازمة واستفحائها في اميركا سريعاً . ولكن ازاء هذا ، يجب ان نذكر ، ان الانسان يتعود ، سريعاً ، اكفاء حاجاته الجديدة بالوسائل الجديدة . فيصبح يحسبها ضرورية لا غنى له عنها ، فهو يحسب الآن ان لا غنى له عن بعض وسائل اللهو والتسلية والنقل والاضاءة والتخاطب كالسنا وسكك الحديد والسيارات والمصايح الكهربائية والتلفونات والتلغرافات ، مع ان هذه الوسائل او معظمها كانت من بضع سنوات كمالات لا يقبل عليها الا الاقلون

واذا نظرنا الى المسألة هذه النظرة التفاؤلية ، وجب التسليم بان الازمة الناشئة عن الارتقاء العلمي ، انما هي ازمة خلل في توزيع العمل ، وان هذا الخلل يجب ان لا يكون سريعاً ، حتى لا يحدث انقلاباً في عادات عدد كبير من العمال ولا في اخلاقهم وآدابهم . ومما لا يداخله الريب ، انه اذا تمكنت الانسانية من ان تجهز العامل براتب ، يكفل له غذاءه وسكنه وهواه — له ولعائلته — لقاء عمل اقصر مدى واهون من عمله في العصور السابقة ( أي اذا قلت ساعات عمله وایامه لم يقل مرتبه عن شراء ما يحتاج اليه ) فان ساعات فراغه من العمل تمده له ولاسرته اسباب اللهو والثقافة والرفاهة . وانما يجب الوصول باسرع ما يمكن الى احكام التوازن ، بين العمال الذين اخرجوا من صناعات قديمة لادخال المستحدثات العلمية والصناعية اليها ، والعمال الذين تحتاج اليهم الصناعات الجديدة التي خلقها التقدم العلمي والصناعي . وهذه مسألة سياسية اجتماعية ، لكل امة ان تحلها بالطريقة التي توافقها

ولكننا لا يمكننا التسليم بهذه النظرة التفاؤلية رغم الطباقها على الحقيقة ، الا بشيء من التحفظ . والاعتراض الاول الذي يوجه اليها ، هو ان الحاجات الجديدة التي يخلقها العلم ، لا تنتشر الا انتشاراً بطيئاً ، حتى في البلدان المتقدمة . واما في البلدان المتأخرة ، فلها لا تنتشر قط . فاننا اذا اخذنا اكتشافاً من اهم الاكتشافات واقدمها اي المطبعة ، مثلاً على ذلك ، ثبت لنا انه لا يزال يوجد حتى الساعة بلدان عدد لا ميين فيها اقلية ساحقة ، وانه في بعض البلدان التي يكثر فيها عدد المتعلمين ، يندر من يقرأ فيها اكثر من صحيفته اليومية . فالكتاب ، وما يصحبه من الثقافة ، لا يزال قليل الانتشار حتى في اعلى البلدان كعباً في الثقافة العامة . وما يقال عن الكتاب يقال عن انتشار الوسائل الحديثة للثقافة الادبية والفنية

واذاً لا مندوحة عن ان يصحب الارتقاء العلمي والصناعي ، ارتفاع مستوى الثقافة في جماهير الامم . وسبب فقد التوازن الذي نشأت عنه الازمة الحالية ، ليس ارتفاع العلم ، وانما هو ان ارتفاع العلم لم يصحبه ارتفاع مستوى الثقافة الانسانية . على ان ارتفاع هذا المستوى



واقع في بعض الامم ، التي نحسبها في مقدمة موكب الحضارة ، ولكن ابناء هذه الامم ، لا يبلغون ثلث سكان العالم ، واما بين الثلثين الباقيين فالحضارة متأخرة قروناً

ولولا هذا ، لكان تقدم العلم والصناعة ينطوي على خطر عظيم ، اذ تصبح الآلة التي خلفها الانسان سيّدة للانسان الذي لا يفهمها . ولا ريب في ان نطاق الارتقاء الالي الناشئ عن تقدم العلم اسرع اتساعاً من انتشار العلم نفسه ، وهذه الآلات المستحدثة يستعملها في الغالب رجال لا يفهمون اصولها العلمية ومبادئها الميكانيكية

بل يساورنا الخوف ، من ان يصبح جمهور الناس الذي لم ينل نصيباً وافياً من العلم ، مكتفياً بما تعلمه في عمله اليومي من تسيير الآلات ، يعتقد ان لاحكمة لوجود الخاصة التي ابدعت هذه الآلات واتقنتها . وهكذا لا تتقضي قرون كثيرة حتى يزول الذين يفهمون الآلات من ناحيتها العلمية الفنية ولا يبقى الا العامة التي تسيّرهما ، وتضغ الآلات جرياً على الاساليب التي ابدعت قبلاً جرياً تقليدياً لا ابداع فيه ، ولا ادراك لكنهها . وقد يشبه هذا التطور ما اصاب الحشرات في العصور السابقة ، فانها في بدء تطورها ، ابدعت معظم ما تمتاز به من قوة وبناء وذكاء ، للتغلب على ما يعترضها في بيئتها ، فجاء خلفها يعمل ما تعمل من دون ابداع فظلت حيث هي في سلم الارتقاء

واذا نخرج من هذا البحث بانّه لا يحق لنا ان نلقي تبعة الازمة الحالية على العلم ، او على الاقل ، ان تبعته غير مباشرة . ولا ريب ، في انه لولا التقدم العلمي الذي تم في القرن الماضي ، لاختلفت الانسانية عما هي عليه الآن ، وانه لو وجدت ازمة ، لاختلفت عن الازمة الحالية . ولكننا نعلم شيئاً عن شدة الازمات التي كانت تصيب العالم ، وفتك المجاعات ، لما كانت وسائل المواصلات الحديثة لا تزال سرّاً من اسرار الغيب . بل ان العلم ، يستطيع ان يأتي بالعلاج ، الناجع ، او على الاقل بالعلاج السريع ، لمعالجة الازمة الاقتصادية ، وذلك من طريقين اولاً : بابداع وسائل صناعية جديدة ، لسد الحاجات الانسانية الجديدة . وثانياً : بزيادة ساعات فراغ الجمهور فتمهد له سبيل التثقف ، فيصبح من هذه الناحية اوعب فهماً وحكمة في استعمال المستحدثات الجديدة التي ابدعتها البعقرية العلمية والصناعية

والمهم في كل ذلك الاحتفاظ بمقام الروح فوق مقام المادة . فاذا سمحنا للمادة ان تسيطر على الروح ، كان ذلك ضربة قاضية على حضارتنا وعلى كل حضارة مقبلة . فالمباحث النظرية العلمية ، تمكن الروح الانسانية من الاحتفاظ بسيطرها على التقدم الآلي المادي

لقد علمتنا خبرة الاجيال الماضية ، ان تقدم العلم ، يبعث في النفس تلك النشوة العقلية الناشئة عن المعرفة والفهم ، ثم يتبع هذه النشوة مكتشفات صناعية ومخترعات فنية ، يحني ثمارها بنو الانسان على السواء . وما صح في العصور الماضية يصح في القرن العشرين



# الاتجاهات الحديثة

## في الفنون والآداب المعاصرة

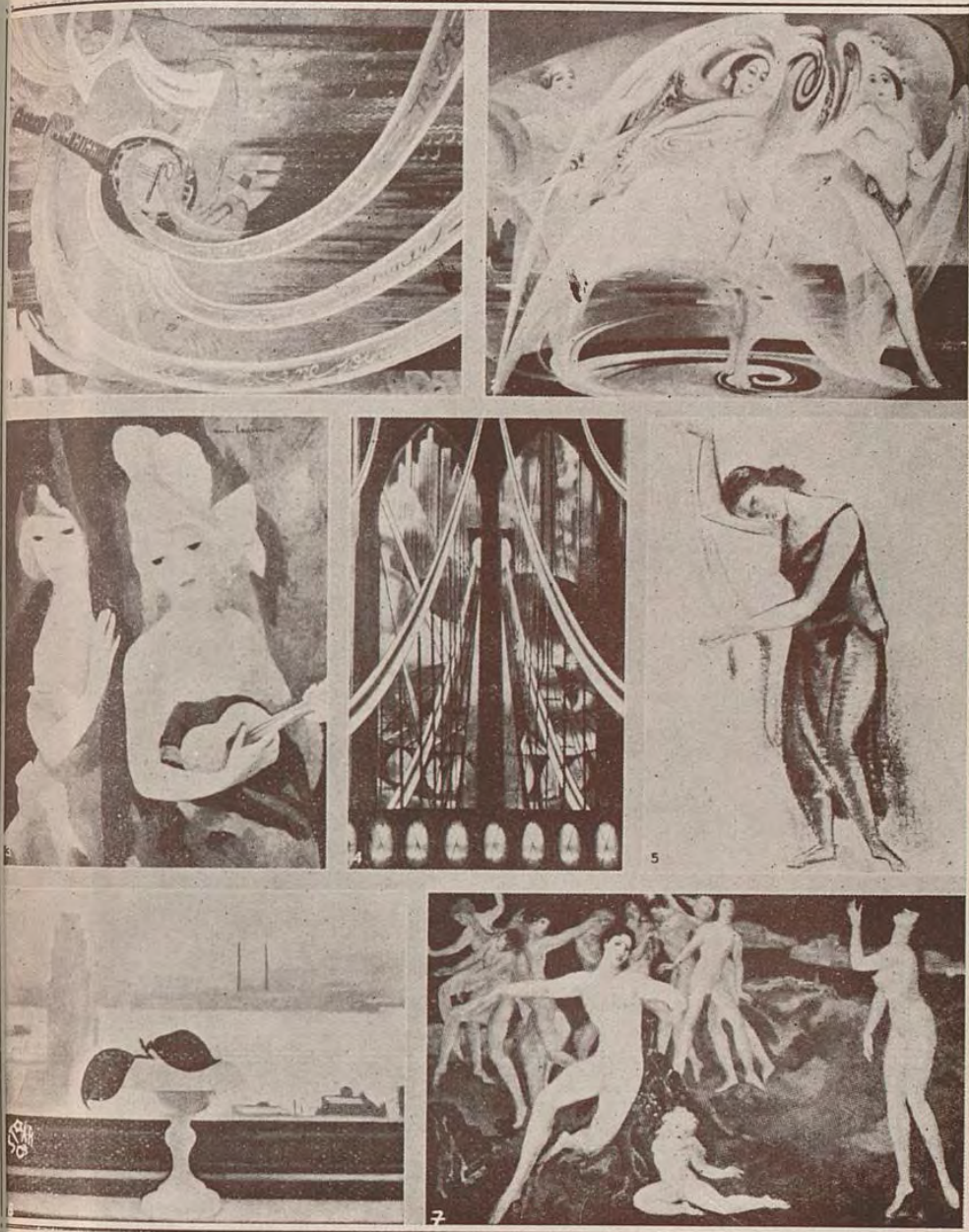
من اغرب ظواهر عصرنا الحالي ان تيارات التفكير فيه متناقضة متباينة . وان الباحث الناقد لا يسعه الا ان يلاحظ ان الآداب والفنون الحديثة في جملتها تحاول التنصل من القيم الروحية والنغم الانساني العاطفي ، الذي كان يشير في الماضي الى اميز خواصها ، واخص ميزاتها ، وان يلاحظ في هذا الوقت الذي يهيمن فيه التفكير الحسابي على منتجات الفنون والآداب — ان هنالك — موجة قوية في سير العلوم الطبيعية الحديثة ، وفي الفلسفات المعاصرة نحو عالم الروح ، ونحو نوع من القيم الانسانية التي لا ترجع الى عمليات المنطق ومكتشفات الذهن الرياضي . هنا يقف الانسان ليرى تفسير كل ذلك وتعليله ان كان لذلك التفسير والتعليل من سبيل !

فالفلسفة بعد أن أصبحت في اخريات القرن التاسع عشر تركز اشد ما تركز على الحقائق المطلقة والمبادئ الذهنية المنطقية عادت في هذا القرن العشرين تتلمس وجوهاً وقيماً غير الوجوه والقيم الاولى ، وكان من نتائج ذلك التلمس أن جاء وليم جيمز ومن تبعه من فلاسفة الامريكان بالفلسفة العملية ( براجماتزم ) . وجاء برجسون بفلسفة البصيرة وقوله ان الذهن البشري وحده لا يستطيع فهم حقائق الحياة . كما ان وجهة النظر الميكانيكية المادية في العلم لم تعد تقوى على الوقوف امام البحوث اينشتاين وادنجتون وجينز ولودج واندادهم من اقطاب العلم الحديث

في هذا الوقت نجد اتجاهات فكرية محضة ، وعناية بالقلب والشكل على حساب الموضوع والعاطفة في منتجات الآداب والفنون الحديثة تكاد تعم معظم ما يخرج من الجيل الجديد في النحت والتصوير والموسيقى والقصة

ففي الفنون الشكلية عناية بالقلب بلغت حد التطرف والهوس وجارت على مكان الشعور والتمثيل الصادق المؤلف في منتجاتهم . ونشأت على اثر ذلك المدرسة التكعيبية ومدرسة « الغموض » وخلافهما من المدارس الفنية . ثم جاء « ابشتين » في النحت بقوالب وايماءات ينكرها الانسان ولا يعرف اين يستقر الجمال فيها ولا الشبه الذي يود ابرازه . فقد أصبح فن هؤلاء الفنانين فناً فكرياً رياضياً خالصاً لا يهتم بالقيم الادبية وتمثيل المشاعر ، وحكاية الاصل حكاية واقعية ، وانما جل همهم محصور في الاغراب الفني والابداع في القلب ، حتى أن الانسان ليصعب عليه في كثير من الاحيان تمييز الموضوع المرسوم ، اهو انسان ام شجرة ام آلة من الآلات ؟ ! « وجكوب ابشتين » هذا لا يرضخ في عالم النحت لفكرة الجمال « الرومانطيقية » المؤلف





ناحية من طرائق التصوير الحديث تمثل العناية بالاتساق والانسجام في الحركة والشكل  
( عن دائرة المعارف البريطانية )



ولكنه يعتقد ان العمل الفني يجب ان يفاجيء مشاهده مفاجأة، وان ينقله من عالم العادة الذي ألفه والذي تتشابه فيه القيم والتجارب ، الى عالم فن جديد يوحى به الفنان ويلهب به خيال المشاهد ، ويقلق راحته ، ويجعله يفكر كثير أو يرتاب أكثر فيما قبله من قواعد الجمال وأصول الفن وقيم الحياة . وهو أكثر ما يعتمد الى الموضوعات المجازية ليدل بذلك على فكرة فلسفية أو رأي جديد ، ويختار لذلك الغرض عنصر « عدم الاتساق » في الشكل فيبرزه ، ذلك لأنه يفرض ان كل شيء جميل فيه عنصر غير متسق هو أخرى بأن يدل على ذلك الشكل دلالة قاطعة فيتترك تماثليه المصنوعة من البرنز من غير صقل لأنه يعتقد ان الصقل يستغرق عناية المشاهد بلين الملمس ، وحكاية الاصل . وليس ذلك غرضه ولا مرماه . وانما كل وكده ابراز حلم جديد وفكرة لامعة ، وتدوين الشبه الدقيق ، والجمال المستور في تماثيل لاشبه فيها ولا جمال واضح بسين ! ونجد في الموسيقى المعاصرة « استرافنسكي » ، اقليدس الموسيقى كما يسميه بعض النقاد لتقرب موسيقاه من التخطيط الهندسي الدقيق ، والدلالة الفكرية الصارمة ، يأتي بقوالب وأشكال لا يميزها السامع ولا يرى موضع الجمال فيها ولا العاطفة ، ولا يلمح في كل ذلك وضوحاً ولا تعبيراً . واسترافنسكي مفكر رياضي اخذ الموسيقى اسلوباً لتفكيره الجاف ، وابتكر لذلك انماطاً من « الهارموني » لا يميزها الا القليل من رجال الموسيقى . فالسامع لا يجد اي عنصر انساني في تلك الموسيقى تمت الى شعوره بسبب . وانما هي موسيقى مطلقة تعبر عن النشاط الجسمي والسرعة الآلية وتخطب الذهن الرياضي . ويظهر ان الابتكار في القالب قد انتزع كل انتباه هذا الموسيقى النابه وحرّم منه من الشعور او القصد الانساني الذي لا يمكن ان نستسيغ الفنون بغيره وكذلك الامر في الآداب ، وخاصة في القصة فقد طفى القالب والفكر على جلال الموضوع وسعة العاطفة . وأصبحنا نقرأ — في الفترة التي تلت الحرب — أدباً فكرياً قد انتزعت منه معظم الخصائص والشيئات التي نقرنها عادة بالآداب . واصبحت القصة لا تعنى بالعواطف الانسانية الاصلية ، ومسائل الحياة الرئيسية قدر عنايتها باجادة القالب الفني ، والتفكير المنطقي البارد ، وتحليل النوازع الانسانية وردها الى اصول اولية لا تشرف الانسان ، بل تشككه في القيم الروحية أو بالأحرى تجعله يتساءل اذا كان له روح حق ! ؟

غير ان كل هذه الثورة الادبية في الفن الكتابي لها ما يبررها ويجعلنا اشد عطفاً عليها لانها ممزوجة بروح الاصلاح وتلمس قيم جديدة ، وحقائق كبرى . « فالدُس هكسلي » على زعم أنه يمثل عنصر التفكير الغالب في الادب الانجليزي الحديث — كما يرى الاستاذ هارولد نيكلسون — قد قرأنا له مقالات عدة ينقد فيها هذه النزعة الحديثة في الفنون عامة وفي فرنسا على وجه الخصوص ويقول ان هذا هو الخوف بعينه من مجابهة الحقائق الكبرى التي تكون معظم تجارب الحياة . والاقتصار على ١٠٪ من حقائق الحياة غير الواضحة



جبن وضعف . وهو يحمل حملته هذه على ارباب الفنون الشكلية من الجيل الجديد ويقول عنهم انهم قد اوجدوا « رومانطيقية » جديدة تعبد الآلة وتكر الروح والحرية الفردية على نقيض الحركة الرومانطيقية في اوائل القرن التاسع عشر . وليست هذه الرومانطيقية باحسن من تلك ! ويعمل هكسلي هذه الظاهرة الجديدة بان رجال الفنون الحديثة قد اعترأ الخوف من مجابهة الحقائق الانسانية الكبرى لانهم رأوا تلك الحقائق في معرض لا يسر ولا يغري بالاعجاب بعد ان شوّهتها أيدي رجال الفنون الشعبية ، وظهرت تلك العواطف والمشاعر في معرض مبتذل سخيف . فلجأ الجيل الجديد الى انكارها والقول بانها غير موجودة ، وارتاحوا الى التفتن في القوالب الفنية مع ان الشجاعة الفنية تحتم عليهم ان كانوا صادقين مهاجمة تلك الحقائق الواضحة وعرضها في نور جديد وان يستطيعوا رياضة ذلك الوحش « التبذل » الى منهج الفن الصادق ، ودقة القلب الرفيع . ذلك ما يقوله هكسلي ويحاول انتاجه ولكنه لم يستطع الى الآن ! فالتيارات التي تعمل في ادب الجيل الجديد في اوربا كثيرة ومتعددة ، وفي بعض الاحيان متناقضة غير ان هنالك روحاً واحداً — لا يخطئه القارئ — يصدر عنه كل ادباء الجيل الجديد ، سمات خاصة تميز فهم عن فن ما قبل الحرب وتشير الى اهم خصائصه واتجاهاته

ذلك الروح هو روح النفي والشك في معظم الحقائق السابقة والقيم الماضية ! فهذا الشاب — الدس هكسلي — يمثل « النفي » والتمرد على الماضي اتم تمثيل وهو يتناول المسائل المقررة والقضايا المقبولة وينقدها على ضوء السيكلوجية الحديثة . وهو لا يفتأ منقباً عن اجرام الماضي وغلطاته وسخافاتهِ ونفاقه واكاذيبهِ ثم يعرضها بما تستحقه من النقد والسخرية الضاحكة ، ولا يعتمد في كل قصصهِ وكتاباتهِ على غير التجربة والملاحظة ، ولا ينظر الى الانسان الا كما ينظر الى بقية المخلوقات ، نظرة فيها من الارتباب والشك والفحص — ما يغضب بعض القراء ويشير اشمئزازهم — وعلى نقيض هكسلي في هذه الصفة « د. ه. لورنس » الكاتب الانجليزي المعروف . فهو قد اقتنع بسخافة الماضي واكاذيبهِ وبطلان قيمهِ ، وهو يحاول بناء فلسفة جديدة ترجع الى غريزة الجنس او « قوة الحياة » كما يسميها . فهو مبشر يدعو الى الحياة الطبيعية وتلبية نداء الجنس الطبيعي . ويعتقد ان الكمال الانساني انما يجيء اذا رجعنا الى غريزة الحياة التي لا تعرف الكذب والنفاق . وهكسلي انما يؤمن بالذهن البشري ولا ينكر الغريزة . بل يرى ان الاثنين لا بد منهما للحياة المليئة وعصور الخلق الزاهية

بعد هذا العرض المقتضب لاتجاهات الفنون والآداب في أهم خصائصها وميزاتها نرى لزماً علينا ان نعرض للاسباب التي تعمل وراء تلك الاتجاهات والنزعات فنقول :  
انه لمن الصعب جداً أن نرجع باتجاهات تكاد تكيف عصرأً بأكمله الى سبب واحد ، كما أشار هكسلي مثلاً الى الخوف من الحقائق الواضحة بعد ان عرضها رجال الفنون الشعبية بتلك





امثلة من التصوير الحديث



الصورة المبتذلة الكاذبة المتزيدة في العاطفة والشعور حتى وصل الامر بالجيل الجديد الى نكران وجودها مطلقاً ، والايمان بالفكر والقالب فقط . كما ان الرجوع بكل هذه الاتجاهات الى اثر الحرب الكبرى — جملة وتفصيلاً — لامر سهل رخيص يريحنا من التفكير والتفصيل ولكنه لا يقنعنا بشموله وعمقه . وليس من شك ان السبب الذي اتى به الدس هكسلي صحيح صائب . ولكنه ليس كل الصحة والصواب وليس شك ان اثر الحرب العظمى في هذه الاتجاهات الفنية اثر واسع عظيم . فهذا الجيل الذي يحترف الفن او يكتب القصة قد اکتوى بنار الحرب الكبرى وشهد افطع مجزرة بشرية يهيؤها « الساسة » باسم الشجاعة والنجدة والوطنية والامانة وما مائلها من الالفاظ الرنانة ، حيث كان الدافع الصحيح بعيداً عن هذه الاشياء بل هو اقرب الى الاغراض الوضيعة والمشاكسات الصغيرة والا كاذب الضخمة التي كان يذيعها المتحاربون بعضهم عن البعض ويدفعون باولئك الشبان الابرياء الى اشنع صور الوحشية وتحجر الشعور والعاطفة . فلما وضعت الحرب اوزارها وحان الوقت للتفكير المنطقي الهادي وعلم الشبان بحقيقة تلك الحرب الكبرى تشككوا في كل القيم والمبادئ التي تلقوها في المدارس من آبائهم واجدادهم ورجعوا يفحصون الماضي بكل دقة وارتياب ، وتبدلت نظرهم للحياة وللطبيعة البشرية ، وابتدأوا يدرسون من جديد !

واذا كانت الامور على هذا النهج من الكذب والنفاق فن اين لهم ان يطمئنوا الى اي حقيقة في أدب أو فن ؟ ! . وظهر هذا الشك وذلك النفي وعدم الايمان في منتجاتهم الفنية ولجأوا الى اللعب « بالقالب » اذ أنهم لا يعرفون الحقيقة واللباب ولا يمكنهم ان يطمئنوا الى حق قديم اذا لم يلاحظوه ويجربوه مراراً على النسق العلمي !

واذا اضاف الانسان الاكتشافات التي تلت الحرب الكبرى وانتشرت في كتب « السيكولوجية » الحديثة مثل « التحليل النفسي » و « السلوكية » وخلافهما ، والتي اظهرت حقائق جديدة عن النفس البشرية — مريرة في بعض الاحيان — لا تمت الى ذلك النبل والصدق المزعومين ، سهل عليه تحليل هذا التشاؤم وذلك الشك وتحليل كل عمل الى بواعثه الاصلية ، والالحاح في ذلك التحليل والتعليل !

ونرى أيضاً ان هذا الدور في تطور الآداب والفنون — الى جانب كل هذه الحقائق — قد استلزمته مقتضيات التطور في تاريخ الفنون . فالمصور او الفنان في هذه الايام يرى ان من سبقوه من الفنانين قد حكموا الاصل حكاية تامة ليس من زيادة بعدها لمستزيد . وان هذه الدائرة من الواقعية الفنية قد بلغت دور كمالها وشيخوختها . واذاً فلا بد للفنان الحديث ان يكتشف ناحية لم يُعبرَها القديما عنايتهم ، فيبرزها ، فوق اختياره « على القالب » والابداع في انماطه والقول بأنه هو « المسألة » كلها في الفن واتخذ « الفكر » واسطة لذلك الفن



كما انه يغلب في ظننا ان لانتشار الفنون الرخيصة مثل التصوير الشمسي والسينما دخلاً كبيراً في هذه الاتجاهات نحو القالب الفني والاغراب فيه . فآلة التصوير الشمسي — بعد الاصلاحات الحديثة — تحكي الاصل تماماً وتعطي كل الالوان والظلال المبتغاة . واذاً فالتصوير الفني لا يمكن ان يجاريها في هذا المضمار . والقصة يمكن سردها بأسلوب شائق جذاب على لوحة السينما بنجاح اكبر من سردها في غضون كتاب . واذاً فلا بد من الاتجاه الجديد في الفن القصصي وبقية الفنون التي زاحمتها الفنون الرخيصة !! . ذلك امر طبيعي وهو الدفاع عن الكيان الذاتي وتوكيد النوع ونعتقد ان هذا الدور في تطور الآداب والفنون سوف يعقبه دور آخر يجمع بين جلال الموضوع الانساني وبين الابتكار في القالب والابداع فيه . ولن يكون ذلك الطور الا بعد انجلاء هذه الشكوك وانتهاء عصر «النفي» والنقد . ذلك لان الفن يتأخر في تطوره وكاله لانه ارفع درجات الوعي البشري . وهو يمر الآن بهذا الطور الذي مرت به الفلسفة ومرت به العلوم ونرى بواد هذا الطور عند الكاتبة الانجليزية النابذة «فرجينا ولف» — اعظم فنانة تكتب في الوقت الحاضر — فهذه المرأة مفكرة عنيفة التفكير ، وقالها الادبي يصعب تتبعه للقارئ الحدث وهي لا تخاطب مشاعرنا المعروفة . ولكنها في واقع الامر تتناول اكبر مسائل الحياة الشعورية وتعرضها في اسلوب كله الدقة والشعر والتفنن . فهي تتناول مثل مشكلة عواطف الانسان وتغيّرها واستمرار الوقت وعدم تغيره ، وتؤلف من كل ذلك قوالب جديدة ، بارعة الرمز ، شديدة الایحاء . وهي لا تؤثر في قارئها — مع انها تستعمل الكم — عن طريق المنطق والتفكير . ولا تحكي قصتها كما يحكيها القصاصون بالطريقة الزمنية المكانية . وانما قصصها تترك جواً خاصاً في وعي القارئ الدقيق الشعور ، يحمل اليه كل ما تريد التعبير عنه ، جواً هو مزيج من الاصوات والالوان والروائح والانوار المختلفة ، جواً يقرب في فعله وأثره من فعل الموسيقى وأثرها . فهذه المرأة هي اقدر النساء اللاتي كتبن في الادب على وجه الاطلاق وعمق احساسها بالحياة ليس له من قرار . وخيالها القوي النشيط لا يتبعه الا من كان قوي الخيال نشيطه . وإحاطواها الفني يترك حلقات من الموج في وعي القارئ تنفذ رويداً رويداً الى مناطق من الروح غير مكتشفة ، غامضة مليئة بالحقائق المجهولة نرى اذاً ان «فرجينا ولف» بادرة طيبة من بواد الطور القادم الذي سوف يجمع الى صرامة التفكير ودقة القالب ، مشاعر الانسانية الكبرى وقيم الروح العليا في الفنون الادبية . بل نذهب الى ابعد من ذلك ، فنقول ، ان سيجيء اليوم الذي يزول فيه الفلسفة كما نعرفها الآن . وان الفن سوف يبتلع كل صنوف التفكير والشعور والدين والعلم الرياضي ليخرج بذلك «فننا» يحمل ميزة كل هؤلاء ولا يفقد طابعه الخالق وقلبه الدقيق . اذ ان الفن — كما بينا — هو اعلى دور في تطور «الوعي» البشري



# اصل النظام الشمسي

وانتشار الحياة في الكون

نظرية فلكية جديدة



كيف نشأ النظام الشمسي ؟ كيف انفصلت السيارات عن الشمس ؟ وكيف انفصلت الاقمار عن السيارات ؟ هل نشؤه مثل نشوء الاجرام السماوية نشوءاً منتظماً ؟ ام هو فلتة احتمال حدوث ما يماثلها بعيد جداً ؟ وهل ثمة انظمة اخرى في رحاب الكون تماثله ؟ وهل توجد احياء على بعض الاجرام من قبيل الاحياء الارضية ؟

اسئلة حار الانسان في الاجابة عنها من اقدم العصور ، ولكنها كانت حافزاً للبحث والاكتشاف ، فبلغ علماء الفلك بعلمهم في محاولة الرد عليها ، مرتبة عالية من الدقة والارتقاء واذا رجع القارئ الى ما كتبناه في هذه المجلة تحت عنوان «مقام الانسان في الكون»<sup>(١)</sup> و«اصل النظام الشمسي ونشؤه»<sup>(٢)</sup> عرف ان احدث المذاهب العلمية التي تتناول هذه الناحية من علم الفلك هو مذهب السر جيمز جينز ، وهو يقضي بأن نشوء النظام الشمسي بعيد الاحتمال او هو نادر كل الندرة ، ولذلك فالسيارات التي تصلح ان تكون مثوى لحياء كالاحياء الارضية ليست مما يزحم الفضاء . ولكن عالماً اميركياً يدعى رُوس جَن (Ross) وهو من علماء معهد المباحث في المدرسة البحرية الاميركية جاء برأي جديد ، تلاه Gunn في رسالة على الجمعية الفلكية الاميركية ، يخالف رأي جينز اذ يقول ان نشوء النظام الشمسي عمل طبيعي منتظم ، واذاً فالانظمة الشمسية المماثلة له كثيرة ، وعليه فاحتمال وجود احياء على سيارات هذه الانظمة الشمسية كثير الاحتمال

\*\*\*

في القرن الثامن عشر تصور سويدنبرغ وكانط قطعة سديمية عظيمة في طور التقلص ، وقالوا بأن السيارات نشأت منها بالانفصال فبقيت كتلتها المركزية وهي الشمس . على ان بوفون العالم الفرنسي الشهير رأى ان النظام الشمسي نشأ من اصطدام حدث اتفاقاً بين الشمس ومذنب كبير . فخالفه لابلاس العالم والرياضي الفرنسي المشهور في ذلك ، لانه حسب ان وقوع اصطدام من قبيل ما يقول به بوفون بعيد الاحتمال جداً ، ومن البحث في هذا الخلاف ، أخرج لابلاس في آخر القرن الثامن عشر ، اول تعليل علمي للنظام الشمسي وهو ما يعرف «برأي لابلاس السديني» . وقد بنى رأيه على نفس المبدأ الذي قال به كانط وسويدنبرغ — قطعة سديمية



عظيمة — ولكنه لم ينقل عنهما ، بل انه شأها في تناول تفاصيل الرأي بالحساب الرياضي . فانه تصور ان هذه القطعة السديمية آخذة في الدوران ، وانها في اثناء دورانها تتسطح عند قطبيها ، ثم تأخذ في التقلص ، وتقلصها يزيد سرعة دورانها . واذ تبلغ سرعة دورانها حداً معيناً ، يتعذر التماسك بين اجزائها ، فتنتقل منها حلقات من مادتها ، وهذه الحلقات تتقلص بدورها فتنشأ منها السيارات

ولما كان لابلاس مطبوعاً بروح العلم الصحيح ، كان شديد التردد والاحجام عن اظهار رأيه هذا ولكنه لما كان الرأي العلمي الوحيد الذي يعلل نشوء النظام الشمسي في ذلك العهد ، كثر الاقبال على الاخذ به . على ان الاعتراضات عليه لم تلبث حتى ظهرت . فعلماء الرياضة اثبتوا ان السديم الدائر لا يمكن ان يطلق حلقات من مادته اولاً ، ثم ان الحلقة الواحدة من هذه الحلقات لا يمكن ان تتقلص كتلة واحدة تكون سياراً فرداً ، ثم ان رأي لابلاس عجز عن تعليل الفرق بين اقمار المشتري وزحل . فلامشتري قران وزحل قر وثلاثتها تدور في جهة مناقضة لجهة دوران الاقمار الاخرى حول سياراتها . وكذلك لم يستطع هذا الرأي ان يدرك السر في ان احد اقمار المريخ يدور حول المريخ ثلاث مرات كل يوم !

فلما ظهرت هذه الاعتراضات ، وادرك العلماء مقامها ، جعلوا يفكرون في تعليل آخر للنظام الشمسي . فأخرج تشمبرلين ومولتن رأياً جديداً يقوم في اساسه على فكرة بوفون ، وهذا يعرف بالرأي المدي ، ومؤداه ان الشمس صادفت في سيرها الفضائي طوائف من الاجرام الصغيرة كالنيازك والسيارات الدقيقة الحجم Planetoids فأحدثت فيها مداً انفصل عنها وتقلص فنشأت منه السيارات . ثم عدلاً فيه بعدئذ . على ان جينز قال باقتراب شمس ثانية من شمسنا الى بُعد مكنها من احداث مداً في سطح شمسنا ما زال يعلو حتى انطلق في شكل ذراع كالطوربيد ثم تقلصت دقائقها كتلاً كتلاً وهكذا نشأت السيارات . وكان جفريز اولاً من اتباع مذهب جينز ولكنه تحول حديثاً الى القول بأنه لا بد من ان تكون الشمس الثانية قد اقتربت من شمسنا حتى تماس سطحهما ، ثم لما اخذت تبتعد عن شمسنا سحبت وراءها ذراعاً من مادة شمسنا ، لم تلبث حتى تقلصت كما في مذهب جينز فتكونت السيارات هذه النظرية الجديدة ، عللت ما عجزت نظرية لابلاس عن تعليله ، من خواص النظام الشمسي ، ولم تظهر اعتراضات خطيرة عليها ، فقبلها العلماء على انها اوفى الآراء التي ظهرت لتعليل نشوئه وميزات سياراته واقمارها ، بوجه عام . فلما عني العلماء بالنظر في تفاصيل ما تقتضيه النظرية ، بدت مصاعب ، ما زالت تكبر ، حتى بلغت مرتبة الامور المستحيلة<sup>(١)</sup>



والرأي الجديد الذي يقول به الاستاذ رُسْ جَنْ يجمع فضائل الآراء القديمة ، ويحتمل على قدر ما يستطيع الحكم الآن - أكبر أخطأها . فهو يبدأ بنجم دائر على محوره ، ولكن النجم الدائر على محوره ، ليس من الامور التي يسهل تصورها ، لان النجم كتلة من الغاز المتوهج ، تبلغ حرارة سطحه بضعة آلاف درجة ، وحرارة باطنه بضعة ملايين ، ولا قوة للاحتفاظ بدقائقه متماسكة ، الا قوة تجاذبها . ولكن ثمة قوى كهربائية تقاوم قوة التجاذب وتدفع النجم الى زيادة سرعة دورانه ، فيمضي في هذا السبيل الى ان يظهر فيه على سطحه انتفاخ ما يزيل كبر حتى ينشطر النجم الى اثنين على مثال ما يحدث في الحماثر

ففي رأي جَنْ حساب لقوة جديدة ، تعرف بقوة ضغط الاشعاع . فقد اثبتت الآراء الطبيعية الحديثة ان للاشعاع سواء كان ضوءاً او غير ضوء ، ضغطاً . وهذا الضغط يبدو في المذهب مثلاً . فان الاشعاع المنطلق من نواة المذهب يضغط على الدقائق التي يتألف منها المذهب فيبعدها عن النواة . وقد قال ادنجن ، اننا نستطيع ان نوجه شعاعة ضوء الى رجل فنطرحه على الارض بشدة ضغطها . وانما يجب ان تكون قوة الضوء عظيمة جداً ، وانها اذا بلغت درجة القوة اللازمة لطرح الانسان على الارض بضغطها ، بحرته اولاً بحرارتها

فلننظر الآن في شطري النجم . ان سطحي الشطرين البعيدين احدهما عن الآخر ، اقل حرارة من سطحي الشطرين القريبين احدهما من الآخر ، لان السطحين البعيدين هما في الواقع سطح النجم قبل انشطاره ، وحرارته تقدر بالآلاف الدرجات . واما سطحا الشطرين القريبين فهما قلب النجم قبل انشطاره ، وحرارة باطن النجوم تقدر بنحو ٤٠ مليون درجة . ولما كان سطحا الشطرين القريبين اشد حرارة فالاشعاع المنبعث منهما اقوى من الاشعاع المنبعث من السطحين البعيدين . واذاً توجد بين شطري النجم قوة تدفع احدهما عن الآخر . ومن الممكن ان تقوى قوة الدفع بفعل « ضغط الاشعاع » على قوة التجاذب بين الجرمين ، فيبعد احدهما عن الآخر . ونقول « من الممكن » قصداً لان مسألة الغلبة لقوة الدفع على قوة الجذب ، او لقوة الجذب على قوة الدفع ، تتوقف على بناء النجم الاصلي قبل انشطاره والاحوال التي وقع فيها الانشطار . فقد تقوى قوة الجذب على قوة الدفع فيبقى النجمان متجاورين يدوران حول نقطة واحدة وحينئذٍ يصبح النجم المنشطر ، نجماً مزدوجاً double star . اما اذا تفوقت قوة الدفع على قوة الجذب ، فيبتعد احد النجمين عن الآخر ويسير كل في سبيله . ولعل الاشراق القوي الذي شوهد في « نوكا بكتورس » سنة ١٩٢٥ وعقبه انشطار النجم او انتشاره ، تم بالطريقة التي يصفها جَنْ . هذه هي الاصول التي يقوم عليها المذهب الجديد . اما ما يلي انشطار الشمس وتباعد الشطرين فيمكن تعليقه بنظرية جينز وصحبه . ومتى اطلعنا على بسط علمي وافٍ له لم نتأخر عن نشره



# المذاهب الاجتماعية الحديثة

لامستر كليلند

مدير قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

## الاجتماع علم او فن

ما هو المجتمع؟ اللفظ الفرنسي Society مشتق من اصل لاتيني «سوسيوس» Socius ومعناه رفيق ، وهذا اللفظ رفيق وهو (Companion) مشتق بدوره من اصلين لاتينيين هما Con و Pains ومعناها الاكل معاً او «المؤاكلة» فللفظ Society يعني اصلاً جماعة بينهم شركة او لهم مصلحة عامة ، وفي معناها المحدث الواسع يقصد به اولئك الافراد الذين يعيشون معاً على سطح هذه الكرة ويشتركون في تلك المصلحة . والسؤال الذي يعترضنا بعد هذا البيان هو ما يأتي : اذا كان الاجتماع يعني المعيشة معاً ، واقتسام الارض ( بين الناس ) فهل هو « فن » يُمِهُ كل فرد انماً مستقلاً في اثناء اتصاله بالآخرين من الجماعة التي ينتمي اليها فبعضهم يحسن الانماء وبعضهم يسيئهُ — او نحن نستطيع ان نستخرج بعض احكامه العامة التي تجعلهُ « علماً » للاجتماع البشري ؟ هنا يستحكم الجدل . فبعضهم يقول ان كل انسان ينظم علاقاته ، في دائرة هذا العيش المشترك ، وفقاً لنوقه الخاص ، الذي يلذ له الاعرابُ عنه بطرقه الخاصة ، وان استخرج الاحكام العامة التي تصح ويمكن تطبيقها على كل افراد وسلوكهم ، امر متعذر . وعلى الضد من ذلك تقول طائفة اخرى ، ان الناس يتصرفون وفقاً لنواميس طبيعية معينة ، مهما تختلف البلدان التي يقطنونها ، فاذا كشفنا عن هذه النواميس ، فزنا بالبناء « علم الاجتماع » . وبعض علماء الاجتماع يتطرفون في تبسيط المسألة اذ يذهبون الى ان النواميس التي تسيطر على المادة الجامدة ، تسيطر على الانسان كذلك وانه لذلك لا يعدو ان يكون آلة معقدة التركيب . ويقابل هؤلاء طائفة ترى انه رغماً عن الاثر البالغ الذي تركه نواميس العالم الطبيعي في الانسان ، لا يمكن ان تكون وافية ، لانها تتجاهل فعل ذلك العامل القوي الخفي الذي يصح ان نشير اليه باسم « مبدأ الحياة » او « عنصر الحياة » . فالحياة ولا ريب تحدث اختلافاً ما في اية مادة تمسها ، ولكن اذا نظرنا الى الرتبة



العليا من الحياة التي نشهدها في « العقل الانساني » وجدنا ان هذا الاختلاف كبير جداً .  
وعليه فاذا رغبنا في وضع « علم للمجتمع » وجب علينا ان نتبع الاسلوب العلمي في محاولتنا  
وهو يقوم ، على جمع كل الحقائق الممكن جمعها ، ثم تبويبها ، ثم وصفها ثم استعمالها في « العمل  
والحياة والبحث عن الحق » . لذلك نرى الاجتماعي الحديث يدرس الرياضيات عن طريق « علم  
الاحصاء » ويدرس الناس عن سبيل جمع كل الحقائق التي يستطيع جمعها ، غير معرض عن  
حقيقة واحدة ، سواء احبها ام كرهها ، ثم يجلس وامامه الجداول والمذاهب ، محاولاً ان يجد  
كيف تتشابه هذه الحقائق ، وكيف ترتبط طائفة من الحقائق باخرى ، وما نشأة هذا الارتباط  
وهلم جرأ . عليه ان لا يعرض عن شيء مهما يكن طفيفاً ، بل عليه ان يحسب حساباً لكل  
ناحية من نواحي السلوك الانساني ، حتى آراء الناس وعاداتهم الخاصة ، من طرق التحية الى  
المعتقدات والتقاليد الدينية . فاذا اعرض ، قصداً ، عن عامل من العوامل — كعامل الدين  
مثلاً — فهو اذاً ليس عالماً صميماً وانما هو متحيز لرأي خاص او فكرة معينة . فعمل  
العالم الاجتماعي الحديث ، هو استكشاف الحقائق الانسانية ، واستخراج الاحكام العامة التي  
يمكن استخراجها من هذه الحقائق . العلم — قال كارل بيرسن العالم الاحصائي البريطاني — فهرست  
مبوء لكتاب الحياة يمكننا من العثور على ما نريد بسهولة ، وانما لا يعمل لنا كل محتويات الكتاب

\*\*\*

فلننظر الآن في بعض الاحكام الاجتماعية العامة ، وخصوصاً ما كان منها متصلاً بالمكتشفات  
الحديثة في العلوم التي تمت الى الاجتماع بصلته ، كعلوم الاحياء وعلم الاقتصاد ، وادب النفس  
والسنة الاولى التي نبدأ بها تبدو كلها اولية نسلم بصحتها . وهي من وضع لوبلي Le Play  
المهندس والاجتماعي الفرنسي الشهير ، صاحب السهم الوفير في انشاء علم الاجتماع في القرن  
التاسع عشر . فقد ذهب الى ان اية جمعية بشرية هي نتيجة التفاعل بين ثلاثة عوامل — المكان  
والعمل والشعب . فبالمكان يقصد البيئة الطبيعية ، وبالعامل النظام الاقتصادي ، وبالشعب الناس  
واوضاعهم الاجتماعية والسياسية . فيبدو كأن هذه السنة تشمل كل ما يجب ان تشمله من عناصر  
الاجتماع لانها تضم في كنفها الانسان كما هو وبيئته

اما الآن فنرى المدارس الاجتماعية المختلفة تقدم احد هذه العوامل على الباقي وسبب ذلك  
نظر اصحابها الى الموضوع من نواح مختلفة . فثمة في علم الاجتماع المدرسة الجغرافية والمدرسة  
البيولوجية (الحوية) والمدرسة السيكولوجية (النفسية) والمدرسة السسيولوجية (الاجتماعية)  
فنعاً لتعقيد المسألة نكتفي بالنظر الى الناحيتين الاساسيتين وهما — اولاً — البيئة ونقصد بها  
(المكان والعمل او النظام الاقتصادي) — وثانياً — الوراثة (ويراد بها طبيعة الناس) فنعرض  
الى ما كشفه البحث الحديث من حيث طبيعة الاجتماع البشري ونموه



## البيئة

اثبتت المباحث الحديثة ان للبيئة الطبيعية اثرأ يفوق الاثر الذي كنا نتصوره . ففي علوم الاحياء نعلم ان لا بد من توافر اربع مواد لحياة البروتوبلازما وهي الهواء والحرارة والرطوبة والغذاء . وعلماء الاحياء يستطيعون بتنوع المقادير التي يبيحونها من هذه المواد للحيوانات الدنيئة ، ان يغيروا من نظامها وتكوينها فيخلقون طبقاً لمرامهم عطايات ذوات رأسين ، واسما كآ ذات عين واحدة ، وذباناً غير سوي التركيب ، كما يستطيعون ان يزيدوا سرعة الافعال الحيوية فيحولون بعض الحيوانات التي تقطن الماء الى حيوانات تقطن اليابسة . وتوجيه اشعة اكس الى جراثيم التناسل والخلايا الاولى التي يتكون منها الجسم ، يحدثون تغييرات بعيدة الاثر في النسل ، وخصوصاً من ناحية اظهار الصفات الكامنة عن طريق الفتك بالعوامل التي تحمل الصفات المتغلبة ( راجع مقالتي الوراثية في مقتطف يناير وفبراير ١٩٣٢ )

وهذه التجارب لم تسفر عن اي فائدة عملية في النوع البشري ، الا من سبيل غير مباشر . فاذا ظهر في بعض الناس صفات غير سوية ، امكن التغلب عليها واعادة الجسم الى نظامه السوي بتغيير احد العوامل الاربعة المذكورة آنفاً . فالبله ( Certiism ) في الاطفال يشفى بتناول خلاصة الغدة الدرقية ، ومرض البول السكري بالانسولين . أما من حيث ما يرتبط بالحرارة فقد ثبت من مباحث ارلند بجامعة ايلينوي الاميركية ان مقدرة اعضاء الهضم على تعقيم الطعام تضعف في الجو الحار ، لان العصارة الهضمية تفقد حموضتها ، واذاً فالانسان اشد تعرضاً لمرض في الاقاليم الحارة الرطبة . وهذا التباين في الحرارة والرطوبة عن المستوى المتوسط ، يمكن تعديله بتغيير الطعام اذا عرفنا كيف تفعل ذلك . وفي كلا الحالين ، يتأثر الانسان بما يحيط به من عناصر الطبيعة . وثمة مثل آخر . اثبت بواس Boas ( العالم الانثربولوجي الاميركي ) بمقاييس انثربولوجية ان بناء الجسم في سلالة من السلالات يتغير اذا انتقلت السلالة من اقليم الى آخر متباين عن الاول . فالسلالات الاوربية المستديرة الرؤوس تتجه الآن في اميركا الى استطالة الرؤوس . وقد طعن بعضهم في النتائج التي وصل اليها — وأخص بالذكر كارل بيرسن — وانما البحث في هذا الموضوع لا يزال موصولاً للحلقات . ومن الطرق الخفية التي تنتجها البيئة في تغيير الفرد ( من دون ان تؤثر في جراثيمه التناسلية واذاً فهو تغيير لا يورث ) الغدد الصماء . فقد تكون الارض في بلد ما ناقصة عنصراً من العناصر الحيوية فيتأثر بناء الجسم بهذا النقص والعقل كذلك . وقد تتأثر على مر الاجيال جراثيم التناسل ( المقتطف — والمثل على ذلك نقص اليود من بلاد سويسرا وما يصاب به اهلها من مرض الغواتر كما بينا في المقتطف . ويعالج بخلاصة الغدة الدرقية لان افرازها يحتوي على قدر كبير



من البود) وقد كانت وجوه التقدم العلمي في الحضارة الحديثة خير معوان على مقاومة هذه القيود او النقائص الطبيعية. فنحن نستطيع ان نتدفأ في المناطق المتجمدة وتبرد في المناطق الاستوائية، ونحن نستطيع ان نستورد الاطعمة لسد ما ينقصنا منها في منطقة معينة، ونستطيع كذلك ان نرحل من اقليم غير موات الى آخر يواقي الصحة مدداً تقصر او تطول — وبكلمة موجزة، قد مكنتنا وسائل المواصلات الحديثة من توسيع نطاق البيئة حتى تشمل العالم بأسره

### الوراثة

وثمة وجوه اخرى لمسألة البيئة سوف نعود اليها بعد، وانما نريد ان نذكر بعض ما يبدو لنا عن الناحية الاخرى من سنة له بلي (Le Play) وهي الشعب والوراثة. لقد اتسع نطاق معرفتنا بالعوامل الخارجية التي تفعل في الجسم البشري وتبدل من علاقة افرادها بعضها ببعض وفي الوقت نفسه زادتنا المباحث الحديثة ثقة باستقرار « الجرثومة التناسلية » التي ينشأ منها الجسم الحي. فقد اجريت تجارب متنوعة غرضها احداث تغيير في الجرثومة التناسلية وكروموسوماتها الناقلة للصفات الوراثية. والكروموسومات ينظر اليها كسلاسل من العوامل (genes) والعامل هو الجزء من الكروموسوم الحامل لصفة واحدة معينة تكون العيون مثلاً. وقد ثبت انه توجد وسائل لاحداث تبديل في « العوامل » بفعل البيئة، كاستعمال اشعة اكس مثلاً. ولكن تبين كذلك ان هذه الوسائل المصطنعة لاتحدث تغييراً دائماً في المادة التناسلية. بل ان النسل المقبل يرتد الى ما كان عليه السلف قبل احداث التغيير بالوسيلة المصطنعة. والطريقة الوحيدة للتغيير هي «التناسل الانتخائي» وهذا اذا طبق على الناس كان عملاً بطيئاً كل البطء (علاوة على معارضة التقاليد الاجتماعية له) ولعل تعذره في الناس عمل رباني. فالانسان كائن يحب الاستطلاع فيقدم حيث تخشى الملائكة ان تقدم، ولذلك اراد الخالق ان يجعلنا غير معرضين للخطأ من هذه الناحية، فجعل تغيير الطراز الانساني وفقاً لوهم عارض اوزي فاش في جيل من الاجيال، امرأ متعذراً. وقد اشار ماكفر « Maciver » الى علاقة البيئة بطبيعة الكائن الاساسية فقال ( ان البيئة « عامل سلمي » يتفاعل معه كائن حي بحسب استعداداته الخاص. ففي احوال متماثلة من البيئة الطبيعية نجد اختلافات كبيرة في العادات والاضاع والطباع، في طوائف مختلفة من الناس. فاليبيئة لاتكيف تكيفاً إيجابياً خلق الانسان، وانما تمهد الطريق لنمو هذه القوة الكامنة في الانسان او تقيم حائلاً في سبيلها. وهذه القوى الكامنة هي سر الحياة، ولن نستطيع ان نطلع عليها كاملة من مشاهدة مظاهر البيئة المتقطعة ». وقوله ينطوي على جانب كبير من الصحة، الا ان المباحث البيولوجية الحديثة اثبتت ان للبيئة أثراً اكبر من الاثر الذي اشار اليه



## البيئة الاجتماعية

وهذا يقودنا الى البحث في عامل خطير هو عامل البيئة الاجتماعية . وفي هذا الميدان ينشأ علم الاجتماع ويتعرع

ماذا يقال في طبيعة القوة التي تجمع افراد وتكون منهم مجتمعاً ؟ هنا تواجهنا مسألة - ماهي الصلة بين الفرد والمجتمع ؟ ايهما أهم ، الفرد أو المجموع . ومن منهما يتقدم على الآخر ؟ وفي الجواب عن هذه الاسئلة لا بد من النظر المشارف . كلاهما يساوي الآخر في خطره ، وكلاهما نصف من كل ، لا يتم الا بالنصف الآخر . بل نستطيع ان نذهب في التدليل على هذه الوحدة الى حد القول بان كل الاحياء تعتمد بعضها على بعض وان اختلفت درجات الاعتماد . ولكي تتمكن من هذا النظر المشارف الى علاقة الفرد بالمجتمع أريد ان اضرب المثل الآتي : على سطح الارض مادة ، حار العلماء في تحليلها ، تدعى البروتوبلازم . وهي اصناف متنوعة ، وانما اساسها واحد . فصنف منها يدعى « نباتاً » وآخر يدعى « حيواناً » . فبروتوبلازم الحيوان يختلف اختلافاً ظاهراً عن بروتوبلازم النبات في مسألة الحركة . فوحدات البروتوبلازم الحيواني تنتقل من مكان الى مكان بحسب ارادتها . وكل وحدة من هذه الوحدات الحيوانية طائفة أو مجموعة من وحدات البروتوبلازم - وقد دعيت وحدة البروتوبلازم خلية - وكل وحدة حية تختلف عن الاخرى من وجود كثيرة ، وانما يمكن تحويها كلها ، تحويلاً غير مباشر ، من حيوان الى نبات أو من نبات الى حيوان . فالحيوان يتغذى بالنبات ، فيبني جسمه من عناصر جسم النبات الذي يأكله ، والنبات يتغذى احياناً ببقايا حيوان منحل . وبعض طوائف هذه الخلايا ندعوها « الاجسام البشرية » ولكن مادة الجسم البشري تمتاز على مادة الكائنات الحية الاخرى ، بما يجعلها اسهل انتقالاً واقدر على ملائمة نفسها للبيئة المتنوعة . ثم ان اجتماع الخلايا صفة اساسية من صفات البروتوبلازم . فليس ثمة خلايا مفردة تستطيع ان تحيا مفردة مدة طويلة ، ولكن الخلايا التي تجتمع وتشارك ، لها اوفى نصيب من طول الحياة . وقد اثبتت المباحث الحديثة ان حياة البكتيريا ، تكون اخصب ، اذا كانت تعيش في جماعة ، منها اذا كانت تعيش منفردة . فالاشتراك ، ذو فائدة في التغلب على عوادي الحياة ، سواء كانت هذه الفائدة ناجمة ، عن زيادة مقدرة الجماعة على الدفاع عن نفسها ، أو عن تأثيرها بعضها في بعض . وقد اشار الى ذلك الاستاذ ألي Allee احد اساتذة شيكاغو ، في مقالة نشرها في جزء نوفمبر ١٩٣١ من مجلة الاجتماع الاميركية مثبتاً ان للتجمع في الحيوانات المختلفة من البكتيريا الى البروتوزوى الى الهيدرا الى الديدان المسطحة الى العلق الى دعاميص الضفادع الى الحلازين الى الحيوانات المفصلية الى نجوم البحر الى الحشرات الى الاسماك ، فائدة



في سرعة النمو ودفع عوادي الحياة المختلفة. وإذا نخلص من هذا بحقيقة خطيرة: وهي ان الاشتراك، أو المعيشة معاً، أو الاجتماع، أمر أساسي يمتاز به المادة التي بنينا منها — أي البروتوبلازم

\*\*\*

ويحذر بنا ان نلاحظ هنا ان الاشكال البروتوبلازمية التي تمتاز بارقي حظ من حرية التنقل، والقدرة على ملائمة نفسها للبيئة، هي اكثرها تعرضاً لانفراد وحداتها، عن المجموع، وفقدانها للفوائد التي تنجم عن الاشتراك. وهذا اصدق ما يكون على الانسان. وكلما ازداد استقلال الفرد، زادت الصعوبة في الاحتفاظ بالتجانس في الطائفة، بل بالاحتفاظ بالحياة نفسها. ان بقعة من الطحالب، اكثر تجانساً بالنسبة الى نوعها الخاص، واكثر استقراراً من الشعب الانجلكسوني. ولكنني لا ارتاب في اننا نفضل المغامرة والمجازفة التي تكون نصيبنا كأفراد في الشعب الانجلكسوني، على ان نكون طحالب. ومهما يكن من اثر الحرية الانسانية في حل الاجتماع الانساني، فانها لا تقوى قط على التغلب على هذه النزعة الاساسية، نزعة الاجتماع. فالاجتماع أو التجمع، جزء لا يتجزأ من بنائنا. وسوف نعرض بعد الى علاقة الفرد بالمجموع، وانما ذكرنا ما يكفي لاقامة الدليل على التواكل المطلق بين الاحياء. وقد اشار عولس من قديم الزمان الى اعتماده على اخوانه فقال « انا جزء من كل ما لقيته »

\*\*\*

وتوطئة لما سوف اقله، لا بد ان اذكركم ان علماء الاجتماع يقسمون اشكال « المعيشة المشتركة » الى ثلاثة هي — الاقوام أو الجماعات كبرت أو صغرت. والجمعيات وهي طوائف خاصة من الجماعة لها اغراض خاصة. والاوزاع أو المنشآت وهي صور من تصرف الجماعات والجمعيات. فسكان القاهرة جماعة والاسرة فيها جمعية والتعليم أو القانون من اوضاعها. هذه الاشكال الثلاثة خاضعة لناموس التغيير والتبدل المستمر كالبروتوبلازم نفسه. والمشكلة الخطيرة التي نواجهها هي الملاءمة فيما بينها وحفظ التوازن. وهذا يصدق على الجماعة صدقه على الفرد. فالفرد دائماً معرض للسؤال: ماذا افعل في اللحظة الآتية بيئتي؟ ولحسن الحظ ان شؤون الحياة العادية لا تقتضي جواباً عنها الا في الاحوال الشاذة — اذ يفقد الرجل عمله، او يموت صديقه، او تنشب حرب، او يشب قتال. وهذه الاحوال الشاذة، دليل على التغيير المستمر في احوال الاجتماع. والفرد — او الجماعة — مطالب في كل آن بحفظ التوازن الذي لا مندوحة عنه للحياة الهنيئة. ولكن التوازن غير مستقر، وفي حاجة مستمرة الى محاولة اعادته اذ يختل، فكأنك تمشي على ارض زلجة او كأنك على متن سفينة في بحر هائج مضطرب، فكل خطوة تخطوها ليست ثابتة بل حافلة بالخطر العظيم [ التتمة في العدد القادم ]



# سياسة التربية والتعليم في الخارج

من محاضرة عامة للدكتور مظهر سعيد

استاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية اصول الدين

القاهرة بمتدى جامعة القاهرة الاميركية

لوقيس حظ المشتغل بالعلم والشؤون العامة في مصر بما يناله من تشجيع جبهة المثقفين من جهة وتقد الناقدين ومنافسة المتنافسين من جهة أخرى لكنت أسعد الناس حظاً وأكثرهم توفيقاً ولقد ارتفع هذا الصوت الضعيف بينكم في العام الماضي مدافعاً عن الطفل المسكين باسطاً قضيتُهُ للرأي العام فوجدت من حسن تشجيعكم لي قوة ساعدتني على المضي في سبيلي ومن روحكم الطيبة روحاً قوتني على الدفاع عن الحق . ولكم كان بودي أن أعيد الكرة هذا العام لولا أن صديقي الرئيس الجالس على يميني أبى إلا أن يخرجني من دائرة الطفل الضيقة إلى دائرة المجتمع الواسع دائرة التربية والتعليم العام . وبالرغم من علمي بما يلبس هذا الموضوع الواسع الشعب الأطراف من جفاف شأن كل الموضوعات العلمية لم أتردد في قبوله وسأحاول أن أبسطه لحضراتكم بما يتفق مع جفافه وجلاله . وقد رأيت أن أقدم الموضوع لحضراتكم باستعراض بسيط لسياسة التربية ونظم التعليم في مختلف البلدان لا لتبعتها كما هي ونطبقها بحذافيرها وإنما لندرس ما فيها من ضعف تركه وشأنه وحسن تقتبسه بعد أن نعدله تعديلاً يلائم حالنا ويجعله صالحاً لبلادنا ونحن أيها السادة عند بحثنا للمسائل العامة والموضوعات العلمية نقسم عادة إلى فريقين فريق المحبذين لكل ما هو جديد المتحفزين للأخذ بكل غربي وهدم كل قديم والخروج على التقاليد طفرة واحدة ، الذين يجهلون أن لكل بلد عادات وتقاليد تجعل تطبيق كل جديد كما هو مستحيلاً — وفريق الجامدين المتعصبين الذين لا يرون في الجديد منفعة ولا خيراً مهما عظم شأنه وكبرت قيمته . يتقدم العالم بخطى واسعة إلى الامام وهم يسرون ورؤوسهم إلى الوراء لا ترى في العالم شيئاً غير الهياكل الخربة والآثار المهدامة والجثث المحفوظة في دور الآثار . فإلى الأولين أقول تراثوا وإلى الآخرين أقول تقدموا وإليهم جميعاً أقول لندرس أحوال العالم لتكون لنا هذه الدراسة مصباحاً نستضيء به ونموزجاً نسير عليه ولناخذ بكل ما هو حسن لم يكن للتربية في كل عصور الانسانية وأدوار المدنية منذ أن عرف الانسان معنى التربية نظام خاص يصح أن يسمى سياسة . على الرغم من النظم المختلفة التي كانت ترمي الى تربية فريق من الناس أو طبقة من طبقات الأمة تربية خاصة من نظام اسبرطة في عهد اليونان إلى نظام



التربية الألمانية أيام حكومة القيصر. وبالرغم من نظريات التربية ذاتها وآراء الفلاسفة وعلماء الاجتماع أمثال روسو وبستالوتزي وكومينيوس وفروبل — فقد كان العامل والصانع يعلم ابنه أصول الصناعة وسر المهنة ويوجهه في الطريق الذي يختاره له. وكذلك كان أبناء الأشراف يتعلمون الفروسية والأدب الذي ينبغي أن يتحلوا به كبناء أشراف في مدارس حرة تعلم من نشاء ما تشاء بغير نظام — نعم لم تكن هناك سياسة عامة محدودة بتشريع خاص تسنسه الدولة وتضبط أصوله وترسمه كما ترسم سياستها الحربية والمالية والسياسية — وانجلترا ذاتها لم تكن لها سياسة عامة للتربية قبل القرن التاسع عشر. فقد صدر أول قانون برلماني بتنظيم التعليم الابتدائي وتعميمه على أسس ثابتة سنة ١٨٧٦. أما التعليم الثانوي فقد صدر به تشريع سنة ١٩٠٢ ولم يكن هناك قبل ذلك التاريخ سوى بضع مدارس قديمة لا ولاد الأشراف مثل هارو وايتون لا تعنى بغير حشو أدمغة التلاميذ باللغة اليونانية والشعر اللاتيني وآداب المائدة وحمل السلاح والصيد والقنص وكل ما يجعل التلميذ «جنتاماناً» قبل أن يكون عاملاً نافعاً يكسب قوته بعرق جبينه. نعم صدر أول تشريع لتنظيم التعليم الثانوي سنة ١٩٠٢ أي حوالي الوقت الذي قام فيه التعليم الثانوي في مصر ولكن شتان بين ما وصل إليه هناك وبين ما انحط إليه هنا. فهناك يخرج شاباً نافعاً لا نفسهم ولبلادهم يعرفون دخائل الحياة الجدية حياة العمل الصالح المثمر. أما هنا فيقتل ذكاء الشاب ويقبر عقله ويضطرب فكره ويمتلئ ذهنه بالأموال النظرية التافهة التي لا تعنى ولا تثمر في حياته المقبلة

وأراني مضطراً للآثار من الاقتباس وضرب الامثال من النظم الانجليزية لالأنها في نظري أفضل من غيرها. ولكن لأن انجلترا قد استطاعت في ربع قرن من الزمان أن تغلب على جمود رجال الدين واهواء السياسيين واعتراضات الاقتصاديين فاخرجت للعالم نظاماً ديمقراطياً يتساوى فيه — كما يقول كروازيه الفرنسي ابن الامير مع ابن الحقير — ذلك لأن التشريع هناك لا تقوم به هيئة وزارية معينة وإنما هو هيئات تختلف من حيث مميزاتها وتتحد من حيث العمل وتعمل مستقلة بعيدة عن الاهواء السياسية والنزعات الحزبية ولا تتأثر برأي فيلسوف ولا عالم ولا وزير وتدرس ما يوكل إليها من الموضوعات في ضوء الحقيقة وحدها ثم تتعاون جميعها لتحقيق غرضها الأسمى. ولنتناول الآن العوامل التي ساعدتهم على وضع تشريع صحيح وسياسة قومية أولاً: من الذي يضع سياسة التعليم؟ قد تدهشون اذا قلت لكم أن الطفل الصغير يؤخذ رأيه في السياسة التي ستفرض عليه في تربيته وتعليمه. ذلك لأن علماء النفس يمثلون رأيه ويدافعون عنه لأنهم أدري بنفسيته ومزاجه. وهؤلاء لهم الرأي الأعلى — لأن الرجل العادي كما يقول زعيم رجال التربية السير جون آدمس مهما أوتي من رجاحة العقل وقوة الملاحظة ودقة التفكير لا يعرف حاجات طفله ولا ما يوافق نفسيته ومزاجه وكل ما يستطيع أن يفعله هو



أن يفرض عليه نظاماً لا يصلح له وإنما يصلح لمخلوق غريب له جسم طفل وعقل رجل  
ويلى هؤلاء آباء التلاميذ أنفسهم لأن سياسية التربية سوف تفرض على أولادهم ولهم لجان أو  
اتحاد يعبر عن آرائهم ويلزم البرلمان بالخضوع لها والاستماع لمشورتها وإنه ليسرني سيداتي  
المصريات ان أقول ان اتحاد الآباء في إنجلترا لم يؤسس رجل من كبار رجالها ولا زعيم  
من عظماء زعمائها وإنما أسسته سيدة هي الآنسة شارلوت ماسون . وكذلك يشترك المدرس  
في التشريع . ذلك المدرس المسكين الذي ينظر اليه في بلادنا نظرتنا إلى الآلة تقوم بما يفرض  
عليها من عمل من غير أن يكون لها رأى يحترم أو فكرة تقدر . أما في إنجلترا فكل مدرس  
عظم مركزه أو صغر كبر مرتبته أو ضؤل عضو في اتحاد المدرسين وهذا الاتحاد يدافع عن  
حقوقهم فلا يسمح لكائن من كان أن يمارس المهنة بغير إجازة والكل في نظره سواء . فالمدرس  
له رأي في سياسة التعليم ولا يطالب بتنفيذ ما يميل عليه تنفيذاً أعمى

وهناك لجان استشارية تضم أرباب الأعمال وأصحاب المتاجر والمصانع الكبيرة يؤخذ رأيها  
في كل نظام جديد قبل إدخاله لأن الظروف الاقتصادية والاحوال الصناعية تتحكم حتماً في سياسة  
التعليم . وإلى هؤلاء يرجع الفضل في نشر المدارس الصناعية في مناطق الانتاج والتجارية في  
مناطق التوزيع . وهم كذلك يحددون مبلغ حاجة كل فرع من فروع الحياة العامة إلى المتعلمين  
بحيث لا يكون في البلاد يوماً ما عدد كبير يزيد عن الحاجة في أية مهنة أو صناعة . وفوق هذه  
اللجان لجان الوزارة الاستشارية ولجنة رئيس الوزراء ثم اللجان البرلمانية وهي تتألف عادة من  
كبار رجال التربية والأعمال الذين يوثق بكفائتهم ويطمئن إلى تشريعهم لأن طائفة كبيرة من رجال  
البرلمان هناك يصلون إلى كراسي النيابة من كراسي الجامعات ومعامل العلم ودور الصناعة  
ولذلك لا يخلو برلمان واحد في إنجلترا من خمسة عشر عالماً من علماء التربية وللجامعات خمسة  
كراسي خاصة بها . وهذه اللجنة تقرر آراء سائر اللجان فلا يجتمع اعضاؤها وفي أيديهم أقلام  
حمراء عرضها عرض السموات والارض يشطبون بها ما لا يوافقهم ويستبدلون بما يشاؤون  
وإنما هم يوفقون بين مختلف الآراء وبعدئذ يصدر المرسوم . ولا يفهم من هذا النظام  
إلديق الذي يبدو جامداً لا يفلت منه إنسان أن السياسة العامة ستكون حتماً متناهية في الدقة  
إلى درجة الجود فهي على العكس مرنة ، والمشروعات يقدررون ما يعترضهم من الصعوبات  
وما يمكن أن يحصل من التعديل في المستقبل . ففي سنة ١٨٥٢ صاح ماتيو آرنولد صيحه  
الهائلة ونادى بأن التعليم في المدارس الثانوية القديمة عن طريق الكتب وحدها يفصل بين  
المتعلم والحياة العملية ومن ثم وجب على الحكومة أن تقضي على هذه المدارس او تضع تشريعاً  
جديداً يجعل برامج التعليم مرنة مرونة تجعلها صالحة لكل متعلم وأن تخفف المنهج وتكثر من  
الاختيار في المواد حتى لا يرهق المتعلم . فاسرعت مقاطعة وست ريدنغ إلى إدخال الكثير من



التعديل في مدارسها حتى أصبح للمدرسة الواحدة منهجان او ثلاثة وقسمت العلوم الى مجاميع يختار التلميذ منها ما يوافقه ويتفق واستعداده . وانتشرت الفكرة وأخذت ولايات كثيرة بها واخيراً صدر التشريع بإنشاء المدارس المتوسطة التي تمتاز على المدارس الثانوية القديمة بمرونتها . وردت الامم المتعدنة صدى هذه الصيحة فأدخلت النمسا تعديل اوبركيرش وايطاليا تعديل لمباردو راديش واصبحت البرامج مرتبة يرتاح اليها كل طالب . أما أمريكا فقد بذلتهم جميعاً في مرونتها سعياً في تحقيق فكرة الرئيس إيليت في أن تعطي التربية للاميركيين حرية لم يعرف العالم لها مثيلاً من قبل . ووضعت جامعات كثيرة درجات لكل علم وما على الطالب إلا أن يختار من مجموعة العلوم المائتين او تزيد مجموعة توافق رغباته بحيث يكون مجموع نقطها الرقم المطلوب أما هنا فالتلميذ مطالب بتحصيل العلوم جميعها وقد يفشل المرة بعد المرة في امتحان عام ويضيع مستقبله لسوبه في الخط كأنه قدر لكل الناس ان يكونوا خطاطين او يفشل لسقوطه في الالعب الرياضية . وهم كذلك حريصون على التريث في إدخال كل نظام جديد فلا يغيرون المنهج في سبتمبر ثم يعيدونه في اكتوبر فيحار المدرس في نوفمبر لأنه لا يعرف ما سوف يدرسه في ديسمبر . فهم قبل إقرارهم لمشروع جديد يجربونه في مدرسة او عدد من المدارس فاذا صلح وظهرت نتائجه بعد ثلاث سنوات إلى خمس طبقوه بالتدريج في جميع المدارس وقد أشارت اللجنة الوزارية الاستشارية سنة ١٩٢٥ بأن يستثنى من نظام التعليم العام عدد من المدارس في كل مقاطعة تسمى مدارس التجارب فهم مثلاً لما رأوا فساد نظام النقل من فرقة إلى فرقة أخرى كل عام لصعوبة اعادة التلميذ الراسب المقرر كله بعد أن اهل شأنه عاماً كاملاً فيرسب عاماً بعد عام وينتهي به الامر الى الطرد من ذلك النوع من التعليم بعد ان يضيع من عمره جانب كبير ويصبح عضواً عاطلاً اشل في جسم المجتمع فكروا في ادخال نظام النقل كل ثلاثة اشهر من ثلث المقرر الى الثلث الآخر فمن رسب في ثلث المقرر ثلاث دفعات متتالية حول الى نوع آخر من التعليم ولم يضع عليه من عمره إلا عام واحد . ولكنهم لم يبادروا الى ادخال هذا النظام المعقول دفعة واحدة وانما جربوه في اربع مدارس من مدارس بلدية لندرة خمس سنوات ونجح نجاحاً باهراً وهم آخذون الان في تعميمه

ثانياً — ما هي التربية وما هو الغرض منها ؟

الجواب عن هذا السؤال يحتم علي استعراض تاريخ التربية من قديم الزمان وبيان الاختلاف بين وجهات نظر العلماء والمربين من حيث اغراض التربية في كل عصر . ولكن لن ارهقكم وارهق نفسي معكم بالخوض في هذا الموضوع الواسع فأكتفي ببيان احدث الآراء — ذلك لان آراء العلماء القدماء كانت مبنية على مشاهدتهم وقوة تفكيرهم وهذه كلها لا تصلح لاستخلاص نتائج عامة يصح ان تطبق على كل انسان في كل زمان ومكان . فتعريف هاملتون الذي



يقول بأن الغرض من التربية اعداد الفرد لأن يكون مهندساً ماهراً او طبيباً حاذقاً او معلماً قديراً ثم بعدئذ يتعلم كيف يكون انساناً مهذباً راقياً، يتناسى الناحية الانسانية. وتعريف جماعة الانسانيين بأن التربية تجعل الفرد انساناً مهذباً ذا شخصية قوية تجذب اليها النفوس وتجب فيها الناس ثم بعدئذ يتعلم كيف يكسب قوته بعرق جبينه عن طريق العمل المادي، يتناسى الناحية المادية. وقول جماعة النفعيين الذين يرون ان يندفع المتعلم في تيار الحياة العملية دفعة واحدة من غير حاجة الى مدارس فيكون صانعاً او عاملاً لا يعرف الاكل ما يتصل بحياته العملية اتصالاً مباشراً ثم بعدئذ يصير شاباً مهذباً متعلماً، يتناسى ناحيتي الثقافة والانسانية معاً. هذا كله كلام قديم لا يتمشى مع روح العصر الحاضر ونتائج المباحث العلمية

اما النزعة الحديثة فتخالف كل هذا. ولاجل ان نفهمها على حقيقتها يجب ان ندرسها في جو صاف هادىء بعد ان نتجرد من نزعاتنا وتأثير النظام الذي نشأنا عليه وألفناه فأصبحنا نعتقد انه صالح لكل زمان ومكان ما دام قد صلح لنا من قبل. وقديماً كان ضيق النظر والتأثر بالمألوف سبباً في فشل مشروع «شاتلورث» القائل بادخال العلوم العملية والاشغال اليدوية في المدارس كلها لأن اعضاء لجان التشريع وقتئذ كانوا من العلماء خريجي الجامعات الذين لم يألفوا غير نظام دراسة العلوم والآداب. فالنزعة الحديثة ترمي الى الديمقراطية في التعليم والحرية في النظام — كلمات خلاصة تجذب انظار الناس اليها فتعميهم عن تفهم حقيقتها — اي شيء نعني بالحرية؟ — اهي ان يفعل الانسان كل ما يريده، كما يقول عامة الناس — كلا؟ فهذه هي الفوضى بعينها. اذ ليس هناك شيء اسمه الحرية المطلقة — ام هي كما يقول منتسكيو: ان يفعل الانسان بمحض ارادته ما يجب عليه فعله؟ فمن الذي يحدد الواجب للتلميذ الصغير؟ ان كان ابوه او معلمه وهؤلاء كما قلنا لا يرون بعيني الطفل، فأين هي الحرية؟ وان كان الطفل بذاته. فهو لا يدري ما يجب وما لا يجب فعله؟ ام هي على رأي روسو السليبي ان لا يرغم الانسان على فعل شيء لا يريده هو. هذا حق. فالحرية في التعليم هي ان لا يرغم التلميذ على فعل شيء لا يريده او تعلم علم لا يميل اليه. لان في ارغامه قتلاً لمواهبه وتحريفاً لميوله وخلقاً لروح الثورة ضد الحياة والنظم القائمة في نفسه — الحرية هي ان يربي الطفل نفسه بنفسه — او كما يقول دكرولي — بالحياة للحياة ذاتها. وفي هذا يقول الدكتور سيريل نورود — اننا بارغامنا الطفل على فعل ما لا يريده نسيء اليه فنجعله آلة جامدة او عضواً مشلولاً او ثائراً متمرداً. هذه هي نزعة المدرسة الحديثة مدرسة منتسوري ولوزنتو في ايطاليا ودكرولي في سويسرا وبلجيكا وهربارت — زيلر في المانيا وأودنوال في النمسا ودالتون في انكلترا وأميركا. كل هذه المدارس مهما اختلفت طرائقها وتعددت نظمها ما هي الا صور متعددة للمدرسة الحديثة — مدرسة الحياة — وليست المدرسة الحديثة بناء يضم افراداً يتعاملون بها بطريقة مخصوصة ونظام



موضوع ولا طريقة خاصة للتدريس وإنما هي فكرة سامية تتلخص في الاحتكاك بين الطفل والمجتمع ، بين التفكير الفردي والتفكير العام — وموادها التي تدرسها الحقيقة والنوق السليم — هي فكرة تخدم الحقيقة وليس لها من غرض سوى مصلحة الطفل وتنمية قواه النفسية . لا قواه العقلية وحدها . المدرسة التي تخرج على نظام المواعيد المقررة ونظام التعليم الجمعي وشبكة الامتحانات . هي كما يقول أدامز . كيفما كان نوعها ديموقراطياً أو أرسطوقراطياً ترمي الى اظهار شخصية الفرد الحقيقية — وانما لن تصل بالتعليم الى طريق الكمال الا اذا هدمت الحواجز التي تقام بينه وبين الحياة العملية . ولذلك ترمي النزعة الحديثة الى التحرير بأوسع معانيه . بمعنى أن يهيأ لكل فرد في المجتمع فرصة عادلة تمكنه من تعلم ما يريد وما يتجه اليه باستعداده . وينتفع بمواهبه فتسعد حياته ويسعد الناس معه

هذه النزعة ستقضي بالتدريج على المدارس النظرية التي نعرفها . وتستبدلها بمدارس متوسطة مرنة . وقد كانت نسبة تلاميذ هذه المدارس الى مجموع التلاميذ في كل انواع التعليم الثانوي ( بعد الابتدائي ) في إنجلترا ٣٪ فقط ولكنها تزداد بالتدريج عاماً بعد عام . وهاهي مقاطعة نوتنجهام ترسل الآن كل عام ١٠٪ من خريجي المدارس الابتدائية الى المدارس الثانوية النظرية و ٤٠٪ الى المدارس المتوسطة . وهذا دليل كاف على ان هذه المدارس اكثر ملاءمة لآبناء الطبقات الوسطى والفقيرة الذين يجب ان توضع سياسة التعليم لفائدتهم لا لآبناء الاشراف والاغنياء ثالثاً : مراعاة الاحوال الاقتصادية للبلاد — لان علماء التربية ينشدون مُشْلاً علياً للتربية قد يستحيل تطبيقها أو قد يتعذر اخراجها الى حيز العمل لكثرة ما تتطلبه من النفقات او غير ذلك مما يعترض السبيل من العقبات — فمراعاة الاحوال الاقتصادية والمالية تخفف من غلوائهم في مطالبهم . ومما يجب ملاحظته ان سياسة التعليم كيفما كانت ترسم لىتم تنفيذها في عدة اعوام قد تبلغ العشرة احياناً لافي عام أو في شهر واحد . فهم عند التشريع الآن لا يغيب المستقبل عن نظرهم . فلا تفتح كل ابواب التعليم على مصاريحها بحيث يخشى من كثرة العاطلين في ناحية معينة يوماً ما . فاذا رأى المشرعون ان مهنة معينة ستكون مكتظة بمن يزيد عن الحاجة يوماً ما لجأوا الى اقفال هذا النوع من المدارس ليخفف الضغط عن تلك المهنة في المستقبل كما فعلت ايطاليا ، أو تركوها كما هي لمن لا ينفع استعداده الطبيعي في غيرها وانما شجعوا غيرها بمختلف الوسائل حتى يكثر الاقبال عليها

كذلك ينظر المشرعون الى سياسة التعليم جملة واحدة كوحدة مرتبطة الاجزاء بحيث تسير المناهج جنباً لجنب ولا تكون هناك حدود فاصلة بين طبقات التعليم . فلا يوضع برنامج التعليم الابتدائي على حدة ثم يترك على الرف ويشعر في خص برنامج التعليم الثانوي ويهمل كذلك حتى يهيئ الله له من يبعث به من مرقد . في وقت يكون العلم الحديث قد سبق ما فيه بمراحل «البقية في باب الاخبار العلمية»



# الارستقراطية والديمقراطية وتأثيرها

في المجتمع والادب والتاريخ

عند ما نستعرض مختلف الشخصيات التي عملت على تقدم الفكر واثراء الحضارة وكان لها شأن خطير في تطورات التاريخ واستحالات المجتمع تبهرنا قدرة الطبيعة على التنويع وافتنانها العجيب في خلق الصور المختلفة وايجاد الخصائص المتغيرة . فهي لا تخرج بدائعها كآلة الصماء ولا تكرر انتاجها تكرير المعامل . ومن معجزها ان ابتكارها لا ينفد وتجديدها لا تهمل حركته . وهذا التنويع الدائم في حدود السلالات والانواع من حوافز التطور التي اختلف في تحليلها العلماء وان كانوا قد اتفقوا على ان هذا التنويع من اقوى البواعث على تنازع البقاء ، واثره في ترقى الحضارة لا يُنكر

ولكننا اذا امعنا النظر حريون ان نلمح خلال هذا التجديد الدائب قوالب خاصة من الخلائق متناقضة اشد التناقض تتشابه في الجوهر والاصل وان كانت تختلف في التفاصيل والنسب . ففي كل زمان ومكان وجد في الدنيا القديس الزاهد في الحياة والديوي المتهافت عليها والشهيد الذي يجود بنفسه لمصلحة شاملة وغاية عامة والاناني الذي يجعل نفسه غرض الاجيال وقطب الوجود كما وجد في الحياة الفكرية المثالي والواقعي وانصار العقل ودعاة الارادة والمتفائلون والمتشائمون . ومن القوالب النفسية الهامة التي وجدت في متباين الامم ومتعاقب الاجيال واثرت تأثيراً بعيد المدى في تكوين التاريخ وبناء المجتمع الطراز الديمقراطي والطراز الارستقراطي . ولكل طراز من هذين الطرازين عالم خاص من الادب والافكار والمشاعر تجاه الحياة والمجتمع والعلاقة المتبادلة بينهما تتكرر وتتجدد بتتابع الامم وتوالي الايام

ويمتاز الطراز الارستقراطي بفرديته المعترية بنفسها المغالية بقيمتها وبالجرأة النادرة والتسور على العظائم والاستهانة بالكبائر واستسهال الصعاب وشدة التوق الى الكفاح والمناخاة والرغبة في اقتحام المجاهل والاتيان بالخوارق ، تحذوه الى ذلك طبيعته السليمة وفطرته القوية وحيويته الجائشة وهو ينجح بطبيعته الى الراحة والبطالة ويتجنب العمل المنتظم والمجهود المرهق . والبطالة هي حالته الطبيعية كما كانت حالة الانسان في فجر التاريخ وبأكورة الاجتماع . والحقيقة ان كثيراً من صفات الانسان الاول ابن الغابات المتأبدة والخلوات الابكار الطليق من القيود الخالي من الهموم بادية في الطراز الارستقراطي . وشخصية الارستقراطي القوية التي لا يستقر تطلعها القلق ولا يرتوي ظمؤها الى الاحاسيس تجعله قليل الصبر على احتمال مشاق العمل فائراً على كل مايستدعي



متين الجلد ودائم المثابرة ، متجه الميول الى الحياة العضوية لانها مناط عزماته وميدان كفاحه  
ومما يزيد الارستقراطي كراهة للعمل ونفوراً منه ان كل حرفة او مهنة تستلزم اعمالاً  
خاصة ومجهوداً معيناً ولا يتوفر للانسان اجادتها الا بعد طول المرانة عليها ومصابة شدائدھا  
وتعويد النفس مراعاة مقتضيات اي ضرب من ضروب العمل واخذھا بمعالجة مشكلاته  
يستثير في الانسان خواطر واحساسات ملائمة لطبيعة هذا العمل ويخلق جوّاً فكريّاً مناسباً له يشوه  
الشخصية ويحد مدى التفكير . ومن السهل ان تتعرف العمل الذي يتعاطاه الانسان من ملامح  
وجهه واسلوب حديثه وطريقة ايماءاته . ولكن الطراز الارستقراطي مع عجزه عن الخضوع  
لستلزمات العمل المنتظم والمجهود المتواصل يملك قوة كبيرة وكفاءة خاصة للتوجيه والزعامة  
وضم متناثر الصفوف . وقد ظلت هذه القوة فيه سليمة لم يرنق صفوها العمل ولم تقل شوكتها  
مطالب المهنة . وقد نبغ من صفوف الطراز الارستقراطي مشاهير الحكام وكبار القواد والزعماء  
وابطال المخاطرين المعروفين في التاريخ وهم مؤسسو اشهر الاسر التاريخية وصناع الدول الكبيرة  
واظهر صفات الرجال من الطراز الارستقراطي القسوة البالغة والضاوة الفاتكة والانانية  
الصريحة والرغبة في فرض ارادتهم وتغليب آرائهم ولكن هذه الانانية الضخمة والاباء المر والخلق  
الوعر يكمن وراء ستار شفاف من حسن السلوك وجمال المظهر والتهديب الذي لا يشوبه تكلف .  
ومما يزيدهم مهابة في الصدور واجلالاً في العيون ترفعهم عن الصغائر ومغامرتهم بالحياة في سبيل  
المجد والشهرة وايتارهم الموت على الهوان والعار . وهم لا يحجزهم رهبة عن الصمد للغاية المرتسمة  
في اذهانهم والمطلب الذي حامت عليه اطماعهم وقل ان يخطئهم التوفيق لان الحياة في حاجة  
الى هذه البسالة الهوجاء التي لا يرقى اليها التردد ولا تدنو منها الوسواس

والطراز الديمقراطي عميق الاحساس جم الانسانية . وفرط الاحساس يستدعي مراقبة  
النفس وضعف الثقة بها وكثرة التردد والعجز عن انتهاب اللذات واقتناص الفرص . وهو  
بطبيعته شديد التعلق بفكرة الواجب كثير الاحترام للآداب والعرف قادر على امتلاك نفسه  
وقمع ميوله لا يبرم بالعمل المنتظم ولا يسأم الحيلة والمثابرة . ومن خواص الطراز الديمقراطي  
القدرة على التجديد والابتكار . اما الطراز الارستقراطي فهو شديد المحافظة عدو للتغيير  
حريص على ابقاء القديم فهو شديد الميل الى الرجعية . ومن متناقضات الحياة ان من يسمونهم  
الضعفاء والمرضى المسترسلين مع الاحلام والمنحطين وامثالهم من ممثلي الروح الديمقراطية هم  
اكبر عوامل الرقي ودوافع التقدم . ومن التواء الرأي وقصور التفكير العمل على ابادة الضعفاء  
مجاراة لسنن التطور وتبرعاً بمساعدة الانتخاب الطبيعي بدلاً من ان تتركه يسير سيره  
ويؤدي رسالته . ومما هو جدير بالملاحظة ان القرن التاسع عشر الذي ازدهرت فيه الروح  
الديمقراطية من احفل عصور التاريخ بالاختراعات والاستكشافات العلمية . وكل جلائل الحضارة



وبراعات الاختراع ومعجزات الصناعة انما تم على يد المرضى والضعفاء . وذلك لان كل اختراع هو ابن الضرورة والضعة وسليل الحاجة والفقر ومبعثه الشعور بالنقص وذل الحاجة . والضرورة كما يقولون هي ام الاختراع ومن ثم كان الاختراع وليد الروح الديمقراطية . وقد قضت سخريه القدر ان يكون اشد الناس مقاومة للمخترعات في اول امرها هم الذين يحسنون استثمارها عند ما تثبت للتجربة ويذيع نفعها . وللارستقراطية مواهب ممتازة في استغلال الظروف وانتهاب الفرص واستدراار النفع من مجهود الغير وانك لترى ذلك واضحاً كل الوضوح في اوائل تاريخ الاسلام . فقد كان الامويون هم ارستقراطية قریش وسادة مكة فلما ظهر الاسلام خافوه على نفوذهم فقاوموه مقاومة عنيفة فلما باءوا بالخذلان وانتصر الاسلام وتوطد مركزه وقويت مرتته صانعوا الظروف وداروا مع الايام حتى عنت لهم الفرصة أو عملوا هم على خلق هذه الفرصة وانتزعوا السلطة انتزاعاً بالحيلة الواسعة والدهاء البعيد القرار واستغلوا الحركة الاسلامية اشد استغلال وهي حركة ديمقراطية في صميمها

وهناك مشابهة بين الطراز الارستقراطي والطراز الاجرامي الذي ينبغ من صفوفه قطاع الطرق وقادة المناسر ورؤساء العصابات ومشاهير السفاحين . ومصدر هذه المشابهة هو ان الغرائز الحيوانية الاولى — غرائز الانسان قبل ان تصقله الحضارة وتعلم وحشيته القوانين — لا تزال في كليهما على قديم عنفوانها وشديد عرامها . وان كان الطراز الارستقراطي عامل بناء على حين ان الطراز الاجرامي من شر عوامل الهدم . ومن الطراز الديمقراطي يظهر النبي والبطل والزاهد لان هذا الطراز دأبه ان ينكر فرديته وينبذ افانيته ويضحى ببلذاته

وقد استلزم وجود هذين الطرازين المختلفين نشوء نوعين من الآداب سارا متحاذيين في التاريخ وتجاورا في كل مجتمع . وهما آداب الارستقراطية وآداب الديمقراطية . فالطموح وتراي الآمال وجوح المطامع والكبرياء والاحتقار وطبيعة العدوان والقسوة والولوع بيسط النفوذ هي آداب الارستقراطية ومثلها العليا . اما الديمقراطية فن شمائلاها التواضع والقناعة والحلم والاعتدال وحب العدالة والشفقة والميل الى التضحية ونكران الذات

وليست هناك حدود فاصلة بين هذين النوعين من الآداب فمن الناس من تغلب عليه الآداب الارستقراطية ومنهم من للآداب الديمقراطية في نفسه النصيب الاوفر ومنهم من يلتقي في نفسه الضدان . وفي بعض الازمنة تنتمر آداب الارستقراطية وفي ازمنا اخرى تسود آداب الديمقراطية . ومن الشعوب شعوب آداب الارستقراطية اشد تأصلاً في نفسها ومنها شعوب آداب الديمقراطية ايبين في اخلاقها . وقد كان نيتشه في القرن التاسع عشر اقوى المدافعين عن آداب الارستقراطية عارضة وأعظمهم شاعرية وفي سبيل ذلك حمل على المسيحية حملته الشعواء واستنزل عليها صواعق غضبه . كما كان طولسطوي اعف المدافعين عن آداب الديمقراطية



مفسداً وأعمقهم احساساً وأصحهم ادراكاً لجمال الديانة المسيحية وسمو تعاليمها وكما أثر هذان الطرازان في الآداب كذلك أحدثا تأثيراً بعيد المدى في عالم السياسة وأنظمة الحكم إذ انبعثت منهما نظريتان طال بينهما الصراع . وهما نظرية عدم المساواة في الحكم وهي النظرية الارستقراطية . ونظرية المساواة وهي النظرية الديمقراطية

وسمة التفوق والنبالة البادية في الطراز الارستقراطي هي التي قام عليها احترام طبقات الفلاحين والفقراء لهم واعتقادهم انهم سادتهم بلا منازع وانهم يختلفون عنهم دماً . وهذه العقيدة مكنت الارستقراطية من تقرير سلطتها والاحتفاظ بمكانتها مدة طويلة . ومن ثم نشأت فكرة السلطة المستبدة من جهة والطاعة العمياء من جهة اخرى ورسخ في النفوس الاعتقاد الذي لاحظته توكفيل وهو اعتبار ان الذين يستبدون بنا لابد ان يكونوا افضل منا . وقد وجه عظماء الانبياء مثل بوذا والمسيح ومحمد اكبر نقد للنظرية الارستقراطية وأدركوا بخواطرم المهمة ونظراتهم النافذة ووقوفهم على اسرار القلوب وخفايا النفوس ان هذا الاختلاف والتفاوت مقصور على النسب والمقادير وانه لا يمس الجوهر فهو يتضاءل ويفنى ازاء الوحدة الروحية التي تضم الجميع

وعلى الاعتراف بالعجز من جانب الديمقراطية وحرص الارستقراطية على السيطرة والاستعلاء قامت السلطة الارستقراطية وتوطدت واستغلظ امرها وثقلت على النفوس وطأتها وكبلت العقل واسرفت في الظلم والتعسف ومسخت في النفوس الحاسة الاخلاقية لأن احتقار فكرة المساواة يقلب الاحترام ذلة ومسكنة ويحيل الاجلال والتقديس عبودية وضيقة ويغري النبلاء بالافراط في الكبرياء والطغيان والاسترسال مع جامع الشهوة وساقط النزوات وبمهد السبيل لانفاء فكرة ان الشعب وسيلة وليس غاية وانه سلم لما رب الارستقراطي وآلة للتسخير

وأشد ما يؤخذ على الاستقراطية حرصها على استبقاء جهل الجماهير وحرمان الشعب من نور الفكر والعرفان وقد قاومت الارستقراطية في اغلب العصور تسامي الشعب الفكري وزوعه الروحي وتطلعه الى الحقيقة . ففي اميركا كان من المحرم تعليم العبيد معرفة القراءة والكتابة . وكثيراً ما حاولت الارستقراطية ان توقف زوع البشر وطموحهم وتهبط بالروح الانسانية . والحقيقة انه لا ينتظر من الارستقراطية ان تعمل على تهذيب مدارك الشعب وشحن ذكائه ورياضة أخلاقه ورفع مستواه الفكري لانها لم تقم في الاصل على التفوق الفكري وانما قامت على القوة العضوية والغرائز الارضية . وأحفاد الارستقراطي وذرائه الذين يرثون عنه المجد والشهرة انما يتفوقون على سائر الناس بالقوة العضوية لنشاطهم في بيئة اكثر ملائمة للصحة ولتيسر الغذاء الصالح . وبالحلق المتين لان حرصهم على مكانة الاسرة والمحافظة على تقاليدها يشعروهم باتصال حياتهم بحياة اجدادهم السالفين وأبنائهم القادمين .



وهذا الشعور يجعلهم يخشون العار ويحسون بدوافع المجد ويقدرّون المسؤولية الملقاة على عواتقهم . ولكن الذكاء والقدرّة على التفكير لا تتطلب سمو المنشأ ونبالة الاصل والعبقريّة لا تورث . والارستقراطية تقدّر قوة الفكر وتخشاها ، لانها لا تملك السيطرة عليها وهذا الخوف من سطوة الفكر انشأ للارستقراطية الكثير من المصاعب وصيرها غير قابلة لمستحدث الافكار قليلة الفطنة لنوازع الروح لا تعلم متى تضع حداً لاستبدادها وهذا هو سر الثورات الخطيرة التي سجلها التاريخ ومن اشهرها الثورة الفرنسية

ولا نزاع في ان الارستقراطية تقدم للعالم نماذج جذابة من السمو والبهاء ونبالة الاخلاق والشجاعة وهي خير من يضع الاساس لابتناء مجد الامم ولكنها سرعان ما تصبح حجر عثرة في سبيل التقدم وحرية الفكر

والنظام الديمقراطي اكثر ملائمة لحياة الفكر وحفز الهمة . لان الحياة بين النظراء توسع الروح وتستحث المواهب وترد على الانسان ثقته بنفسه . أما الحياة في الانظمة الارستقراطية فانها تعري النفس بالتراجع والانكماش وتوهن الملكات وتعطل المواهب وتمحو الشعور بالكرامة البشرية . ووقوف الانسان في متكاثف الظلال يفت في عضده ويحلل من بأسه ولا خلاف في ان هناك افراداً ممتازين يستطيعون اكتساح هذه العقبات ولكن المسألة ليست مسألة افراد معدودين وانما مسألة العدد الاكبر من البشرية الذين لم يتفوقوا في المواهب والهمم والذين يتطلبون سماحة الظروف ومساعدة الاقدار. فان امثال هؤلاء عند ما يبصرون امامهم بناءً مشمخراً وعظمة باسقة يرتد طرفهم حسيراً وتضؤل نفوسهم وتنلم عزيمتهم وتستولي عليهم الرهبة واليأس . وقد لاحظتوكفيل ان جمهرة الشعب في الامم الارستقراطية اكثر تخلفاً في مدارج الحضارة من غيرهم في الامم الاخرى والسري ذلك شعورهم الشديد بالتفاوت بينهم وبين الاشراف ويأسهم من ادراك العلى وتنسم المجد

ويرى المفكر في سير التاريخ ان هذين الطرازين لازمان لاطراد الحضارة ورفي المجتمع . لان بقاء الحضارة يقوم على عاملين لا مفر من المحافظة على التوازن بينهما . وهما العامل الانساني الذي تتكفل به الديمقراطية والعامل الحيواني الذي تقوم به الارستقراطية . وهذا الصراع الطويل المضني بين فكرة المساواة وفكرة عدم المساواة هو الذي يسيطع عن المجتمع من الحين إلى الحين وخامة الركود وغبار الجمود ويعمر القلوب بالامل ويدفعها الى الاقدام والعمل

القاهرة

علي ادم

اهم المصادر التي رجعت اليها عند كتابة هذا المقال : —

- (1) On the Tracks of Life. By Sera.
- (2) The Conventional Lies of Our Civilization. By M. Nordau.
- (3) Civilization & Progress. By Crozier.



## عمارة التاريخ بالمرجعات العربية

صورة محاضرة تلاها بالفرنسية الامير شكيب ارسلان  
في مؤتمر المستشرقين المنعقد في لندن في اوائل سبتمبر الماضي



— ٣ —

نعود الى الموضوع فنقول :

ان اهالي حلب والشام وسورية الداخلية اذا ارادوا ان يسألوا احداً كيف حاله قالوا له : ايش لونك ؟ وهو قول صحيح لطيف لان لون الانسان هو اول دليل على صحته وعدمها وهذا الاصطلاح غير معروف في مصر والسودان . وبعكس ذلك تجده في برقة والحال انها ابعد عن الشام من مصر . فلو كان الجوار هو العامل الوحيد في تشابه طرق الكلام لكان الاولى باهل مصر ان يقولوا : ايش لونك ؟ لان مصر مصابقة لبر الشام وبين هذين القطرين من العلاقات ما لا يوجد بين قطرين آخرين . وكان الاولى باهالي بر الشام ان يقولوا في سؤال الانسان عن صحته : زيئك ؟ كما يقول اهل مصر والحال ان شيئاً من هذا غير موجود . فلزم ان يكون هناك اسباب اخرى وهي ان قبائل برقة التي اكثرها من سليم بن منصور هي قبائل نجدية — لان سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان هي اكبر قبائل قيس — وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر . ومنهم من هلال بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان وهم من جبال الطائف . ولا شك ان قبائل نجد وجبال الحجاز كما ان قسماً منها هاجر الى برقة فان القسم الآخر نزل بوادي الشام ومنهم من تحضر بمرور الايام . فمن هنا جاء التشابه في بعض اللهجات والاصطلاحات بين اهل سورية واهل برقة ووجدت جل خاصة يقولها هؤلاء واولئك وهي

ليست من الاصطلاحات العامة اكلام العرب حتى يقال انها مما يقوله العرب في كل مكان ثم ان اهل كسروان من جبل لبنان يضعون الشين في حال النفي في آخر الجملة فيقولون مثلاً : ما هو من لبنانش اي « ما هو من لبنان » واذا كان النفي مقروناً بالاستفهام : « ما انت من بيروتش ؟ » اي ما انت من بيروت ؟ وجميع كلامهم هو على هذا النمط على حين ان هذا الاصطلاح في الشين لا يوجد عند مجاورهم لا اهل المتن ولا اهل الشوف ولا اهل زحلة ولا اهل البترون . واهالي هذه الاقسام الاخرى من لبنان تضع هذه الشين في وسط الجملة فتقول : « ما هوش من لبنان » او « موش من لبنان » و « ما انتش من بيروت » ولكن اهالي برقة يضعون هذه الشين في آخر الجملة فكنت اسمعهم يقولون ذلك دائماً مثل اهل كسروان . ومرة كنت ذاهباً الى « شحات » او سيرنا « القديمة فضلت الطريق واخذت في شعب ظننت



نفسى به ذاهباً الى شحات فصادفني احد شيوخ العرب فقال لي. الى اين ؟ فقلت : الى شحات فقال لي : « هذه الطريق ما تأخذ الى شحاتش » اي بالاصطلاح الكسرواني المعروف بلبنان بعينه . وكان السواس يقولون : « الخيل ما عندها شعيرش » اي ما عندها شعير . وهلم جرا . ويقال ان في دمياط من بر مصر شيئاً من هذه الشين . ومن المعلوم انه ليس بين اهالي كسروان في لبنان وبين اهالي برقة في افريقية ادنى علاقة لا في القديم ولا في الحديث . فكيف اجتمع هذان القطران في لغة كهذه ؟ الجواب لا يمكن تفسير ذلك الا بكون القبائل التي نزلت برقة متحدة الاصل مع بعض القبائل التي نزلت بعلبك وشمال لبنان . ولا يقدح في ذلك كون اكثر كسروان موارثة مستعربين من اصل آرامي كان آباؤهم يتكلمون قبل الفتح العربي بالسريانية . فان هؤلاء المستعربين قد تلقوا العربية عن عرب اقحاح نزلوا في سهول بعلبك وفي لبنان الغربي مما يليها وهؤلاء العرب هم آباء المسلمين الشيعة الساكنين مع الموارثة في وطن واحد ولقد لحظت اذ انا في الاندلس اسماء عربية كثيرة مبدوءة بلفظة « بني » لكنها في بلاد بنسية ودانية والقنت تلفظ بفتح الباء مع امالة قليلة ودليل ذلك كتابة الاسبانيول لها هكذا : Beni فيقولون : بني قاسم Beni Kassim وبني غفار Beni Gefar وبني سالم Beni Salem . اما في جزيرة ميورقة وفيها ايضاً اسماء كثيرة مبدوءة بلفظة « بني » فيلفظونها بامالة شديدة ويكتبونها بالاسبانيولي هكذا Bini فيقولون Bini Aly و Bini Kassim وقد اخطرت بيالي هذه القصة الاختلاف نفسه في سورية

ففي فلسطين مثلاً يقولون « بني صعب » و « بني مالك » و « بني مرة » بفتح الباء . وفي جبل لبنان يقولون « بني يزبك » و « بني احمد » و « بني ركين » و « بني قعيق » و « بني خميس » بكسر الباء ومن العرب من يبدل التاء هاء في الوقف وتنسب هذه اللغة الى طيء وقالوا : « دفن البناء من المكرمات » اي دفن البنات من المكرمات . ويقول حفني ناصف ان هذه اللغة منها أثر في المنوفية فيقولون : « يابه » اي يا بنت . ومن العرب من يعكس القضية فيبدل الهاء تاء في الوقف كما يفعلون في الوصل سمع بعضهم يقول : « يا اهل سورة البقرة » . فقال محجب : « ما احفظ منها ولا آيت » . ولقد سمعت هاتين اللغتين . من عرب البادية واهل نجد . فلماثال على الاولى قولهم « ذرعا » اي « اذرعات » هذه البلدة التي في حوران . وعلى الثانية لغة اهل حائل واهل القصيم يقولون « مكت » و « المدينت » وكان معي واحد منهم يوم كنت في الطائف فكان يقول « الشجرت » و « السدرت » الخ

ومن العرب مثل بلحوث وخنعم وكنانة من يقلب الياء ألفاً بعد اتصالها بالضمير وذلك في مثل « عليه » و « اليه » و « عليك » و « اليك » فهؤلاء يقولون فيها « علاه » و « الاله » و « علاك » و « الالك » ولا شك ان في النازلين الاولين في طرابلس الشام من العرب قوماً من



كناية وخنم وبلحوث لانهم الى الآن يقولون في « عليه » « علاه » وفي « عليك » « علاك » وهلم جرا . والمشهور في اللغة تحقيق الهمزة الساكنة في مثليث ورأس وفأس وثأر ولؤم وظئروثوي وغيرها . وانما كانت تميم من الاصل تقلبها من جنس حركة ما قبلها فتقول ير وفاس ورأس وثأر الخ . ومن الغريب ان لغة تميم هذه هي الغالبة على الكلام العامي اليوم في جميع الاقطار العربية مصر والشام والمغرب والعراق الخ

وعند طي لغة اسمها القطعة وهي حذف آخر حرف من الاسم ومثاله « ابو الحكا » في « ابو الحكم » وعليها كلام اهل قرية نيجا الشوف في جبل لبنان كانوا يقولون « ابو حسا » في « ابو حسن » ويقال ان ان اهل المحلة الكبرى وايار وغيرها بمصر عندهم هذه اللغة وقد ورد عن العرب « لم يسما » اي لم يسمع . وانا سمعت كثيراً بعض شيوخ من يروت يقولون « نهارك سا » اي نهارك سعيد

والترخيم هو حذف الحرف الاخير من المنادي وهذا مستفيض في كل بلاد العرب ولغة بلحوث حذف اللام والالف من على الجارة فيقولون « علّاء » اي « على الماء » . وطلع « عسّطح » اي « على السطح » . وهذه اللغة نظراً لما فيها من الاختزال غلبت على عامي الاقطار العربية بأسرها ومثلها في الاختصار لغة خنم وزبيد في حذف نون « بن » اذا وليها ساكن فيقولون : « خرجت مالدّار » اي « من الدار » وقد جاء فيها شعر . وهي معروفة عند بعض العامة اليوم لكنها لم توفق توفيق حذف اللام والالف من « على »

ومن العرب من يبنى « مع » على الفتح وهو المشهور ( ياليتني كنت معهم ) الأربعة تبنيتها على السكون فتقوم « كنت معهم » وهاتان اللغتان موجودتان عند عامة العرب اليوم . وفي جبل لبنان من يفتح ويمد الفتحة حتى تصير ألفاً فيقول « كنت معاهم » ومنهم من يسكن . وهكذا في الديار المصرية . وفي كل البلدان اناس تكسر ميم مع . ومن غرائب الحاد اللغة لفظة يقولها العامة للحمار اذا ارادوا ان يهيجوه وهي « ازعر » وهي لفظة ذات اصل في اللغة جاء في القاموس : وزعر بالبحش زعيراً دعاه للسفاد . وقد كان معروف الرصافي الشاعر العراقي المشهور اطلعني اذ كنا في استانبول على بعض اصطلاحات لعامة اهل العراق منها لفظة « ازعر » التي يقال للبحش وقال ان لها اصلاً في اللغة . فقلت له ان ازعر هذه معروفة عندنا في سورية ايضاً . وكان في مجلسنا ساعتئذ المرحوم الاستاذ الشيخ عبد العزيز جابش فسألته : اهذا معروف عنكم بمصر كما هو معروف بالعراق والشام فقال : نعم هذا معروف بمصر . وكان في المجلس المرحوم الاستاذ الشيخ صالح الشريف التونسي فقال : ومعروف في تونس ايضاً . وكان في المجلس الاستاذ الشيخ محمد العتايي المراكشي حفظه الله فقال : ومعروف في المغرب ايضاً



فأنت ترى ان لفظة سخيقة كهذه يهاج بها الحمّار للسفاد معروفة في جميع الاقطار العربية واننا لنجترى بهذه الامثال لاعطاء صورة ذهنية عن البحث الذي نتوخاه ومنتدب الباحثين ان يكلموه لما فيه من الحجج بين يدي التاريخ . فانه اذا كان الكلام متشابهاً بين سكان بلدان مصقبة بعضها لبعض لم يكن ثمة الا الشيء الطبيعي وكان الناس عللوا هذه المشابهة بالجوار الذي يحدث اصناف العلاقات بين المتجاورين . واما اذا كانت المشابهة او حذو النعل بالنعل بين بلدان متباعدة هذا في الشرق وهذا في الغرب كما بين الشام والاندلس مثلاً او نجد وشنقيط فلا يكون لذلك سبب الا وحدة الاصل

ان هذا الفصل ليس الا عجالة . وامام الباحثين والمنقبين عمل كبير اذا ارادوا ان يعرفوا القبائل العربية المختلفة التي طارت الى القواصي في الفتح الاسلامي وان يعينوا مختلف الاتجاهات التي اتجهت بها هذه القبائل في هذا المعمور الفسيح بين الحملايا والالاب

### ملحوظ

ومن آثار التشابه بين لهجة الشاميين والاندلسيين ما كان عليه لفظ عرب غرناطة في عصر سقوط تلك البلدة انهم كانوا في غرناطة يقولون مثلاً « والدنا » فيميلون الواو والالف امالة شديدة حتى تسمعا كأنها « ويلدينا » Wildina وانهم كانوا يقولون « كل سنة » بكسر السين والنون والوقوف على الهاء اي « كل سنه » . وهذا كما يقال في سوريا اليوم « كل زيمين » « أي كل زمان » . وكانوا يقولون مثلاً « خمس ميه » بكسر الميم والياء ويقفون على الهاء وذلك كما نقول نحن اليوم في الشام . ومن آثار النسب اللغوي الذي بيننا وبينهم استعمالهم « القد » بمعنى المقدار وهو استعمال فصيح في ذاته يقال هذا على قد هذا ولكن يكاد يكون خاصاً بأهل سوريا . غير ان الغرناطين كانوا يقولون « قد دي » في مكان « بقدر هذا » فتجد في هذه الجملة اصطلاحاً مصرياً أيضاً لان « دي » ليس من اصطلاح أهل الشام بل من اصطلاح أهل مصر . وكانوا يقولون ايضاً على لغة مصر « بعد دي » اي « بعد هذه » وكانوا يقولون « قد هؤلان » اي بقدر هؤلاء وكانوا يقولون الفاظاً كثيرة بامالة شديدة كاهل سورية . فاذا ارادوا ان يقولون مثلاً « برّي » قالوا « بري » بكسر الباء مع اننا نحن في الشام نلفظ هذه الباء هنا بالفتح نسبة الى البر فنقول مثلاً « برّي » غير انني سمعت العوام في شمال سوريا يلفظونها كاهل غرناطة اي « بري » بالكسر فيقولون « حيوان بري » مثلاً وكان الغرناطيون يفتكون الادغام في كثير من الكلمات فيقولون « مننا » بدلاً من قولنا نحن « منّا » غير اني سمعت ايضاً كثيرين في سوريا يقولون « مننا » بفك الادغام . ومن المعلوم ان الادغام كان لغة نجد وان فك الادغام كان لغة الحجاز وكلتاها سقطتا الى سورية . وقد جاء القرآن الكريم بكلتا اللغتين . ولكن من اصطلاحات الغرناطين اشياء لم اطلع عليها في لغة



الشام ويجوز ان تكون موجودة واكون غير مطلع عليها لان من يتحرى التاريخ من منابع اللهجات ينبغي له ان يثاقن ويشافه جميع اهالي الاقطار العوام منهم اكثر من الخواص وان يستمع الى احاديث اهالي القرى خاصة لان المتعلمين والمتأدين يتوخون متابعة الكتب المدرسية بخلاف العامة . وقما تيسر لبجائة لغوي ان يحجب في الحواضر وفي القرى وفي البوادي حتى يأخذ لغات اهله في العربية ويقيد لهجاتهم ويقايس بعضها الى بعض ويستنبط اصولها وما أخذها من العربية الاولى ايام كانت القبائل ساكنة في جزيرة العرب قبل الفتوحات . فن اصطلاح انغرناطين انهم كانوا يقولون « كل عامي » « وكل يومي » بدلاً من كل عامين وكل يومين وهذا على اسقاط الحرف الآخر مما ورد مثله في كلام العرب وتقدم لنا امثلة على هذا الاصطلاح من كلام اهل سورية وغيرهم

وكان اهل غرناطة يقولون « ابن آدم » بكسر الدال كما يقول كثير من العامة في لبنان . وكانوا يقولون « بعد الغدي » اي بعد الغد . وهذا كما يقال ايضاً في سورية . وكانوا يقولون « نفس » بكسر النون اي « نفس » ويقولون « بلا شك » بكسر الشين في « شك » وهي مفتوحة . وكل هذا من باب الامالة . وكانوا يقولون « عقب النفيس » اي « عقب النفاس » للمرأة وهذا من الامالة الزائدة مثل قولهم « الجهد » للجهاد و « الكتيب » للكتاب و « الامام الاوزاعي » للامام الاوزاعي . ومن الدلائل على كون السواد الاعظم من العرب الذين فتحوا اسبانية كانوا من اهل الشام انهم جميعاً على مذهب الامام الاوزاعي امام اهل الشام ولم يتبدلوا مذهب مالك منه الا في زمان بني أمية في قرطبة

وكان اهل قرطبة يقولون عن بلدتهم « المدينة » بكسر النون كما يقول اليوم اهالي سورية الأندلسيون يلفظون « المدينة » كأهل مصر او اهل الحجاز او اهل المغرب مثلاً لكان الاسبانيون نقلوها عنهم بهذا الشكل Almadina اي بحرف a لا بحرف e الذي يتلفظون به كأنه الياء . وكان اهل غرناطة يقولون لمدينة « اشبيلية » حمص ولا يقولون اشبيلية الأندلسيون وهكذا سماها صالح بن شريف الرندي في رثائه المشهور للاندلس

وأين حمص وما تحويه من زمر ونهرها العذب فياض وملآن

وقد كنت اتذكر هذه المراثية انا وصاحبنا الاستاذ الشيخ عبد العزيز جالوش روح الله روحه فقال لي : كيف يكون الوادي الكبير فياضاً ثم يعود ملآن والفيض بعد الامتلاء لا قبله وكان من رأيي ان مراد الشاعر كون الوادي تارة فياضاً وطوراً ملآن بحسب فصول السنة فتسمية الاندلسيين لاشبيلية حمصاً هي من باب ولوعهم بأسماء البلاد الشامية

( اختصرنا من الاصل الذي تلوناه بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين كثيراً من الامثال )



## مرهم الجرح

من قصيدة محمود أبو الوفا في شكر أصدقائه المحققين به

صنع من قلبه ومن وجدانه ليس من علمه ولا من بيانه  
ليس من زخرف النظم الموشى بعقيق البيان أو عقيقه  
بل هو الشعر - لا - هو الشكر يهدي شاعرٌ شاكرٌ إلى أخوانه  
ودَّ لو ينظمُ القوافي ممّا غرّد الطير في صبا الحانه  
ودَّ لو ينظمُ القوافي وشيّا من نسيج الربيع في نيسانه  
ليتني كالحمّام جسمًا وروحًا ليت لي سجعُهُ وصدق حنانه  
كي أري الناس في أغاريد نوحِي رجع قلب يذوب في خفقانه  
مرهمهم الأصدقاء جرحًا بقلبي حارَ طبُّ الأُساء في أسياره  
يا لهذا الجميل عندي لولا عرفه قد طغا على عرفانه  
لست قلبي - يا قلب ان لم تكافئ محسنًا، أو تزد على احسانه  
طاب في روضه جنى الشكر حتى كاد يذوي الجنى على اغصانه  
صنع الله خيرَ صيغة خيرٍ من وجوه الزمان من اعيانه  
ورعى الله كاملاً من صديقٍ لف منه الوفاء في صولجانه  
قال يا قوم ان للروض شأنًا غير ما بان من تفاهه شأنه  
انظروا كيف فاح طيب شذاه رغم ان ميث في رغام امتهانه  
لعجيب ان يطرب الناس عودٌ شب يُسقى السموم من احزانه  
وقفوا يَنْتَشِشون في الزهر معنّى كشذا الحق جاء قبل أوانه  
يُعرف الراح في نداماه عرفًا وهو لما يزل وراء دنانه  
زمنٌ من عشية وضحاها وغدا الزهرُ خائلاً فوق بارنه  
أزهر الروضُ وازدهى فكان لم يك ما كان من صروف هوانه  
قصة الروض قصة الشرق طرًا لم يعق حره سوى خذلانه  
ليس إلا على التعاون قامت قوة الغرب أو قوى عمرانه  
بارك الله فيك يا مصر داراً ليس فيك الغريب عن أوطانه  
وطنٌ - كله هدى فسلام جرس ناقوسه وصوت أذانه



## من أقامك ملكاً ؟

أو سرّ مقام البترول العالمي

\*\*\*\*\*

الحضارة الحديثة قائمة على الصناعة الآلية. ولا بدّ للصناعة الآلية من الوقود وهذا سرّ مقام البترول العالمي . ذلك ان البترول يفوق كلّ اصناف الوقود التي استعملت في الصناعة حتى الآن فاستنباطه سهل كلّ السهولة كما قدمنا في الرسالة السابقة . ونقله أسهل . فما على الشركة التي تملك منابع بترولية الاّ ان تمدّ الانابيب من منطقة المنابع الى معامل التقطير او الى اقرب المرفأ فينقل منها في سفن صنعت خاصة لنقله . وهكذا تقلّ نفقات العمال الذين يتولون استنباطه وتصفيته ونقله الى ادنى حدّ ممكن وخصوصاً اذا قابلنا بينه وبين الفحم الذي حلّ البترول محله . ومع ذلك فالحرارة التي يولدها مقدار معين منه ضعف الحرارة التي يولدها مثل ذلك المقدار من انحر انواع الفحم . وهذا يضمن له سعراً ارخص من سعر الفحم ويجعل صناعته بمعزل عن القلاقل الصناعية التي تستولي على المعدنين وغيرهم من طوائف العمال . ولذلك نرى استعمال هذا الوقود السائل ، يتسع نطاقه رويداً رويداً ، في السفن الحربية والتجارية ، وسكك الحديد ، والصناعات على اختلافها . ففي الولايات المتحدة ، التي بلغت ارقى مستوى من التقدم الصناعي ، يستعمل البترول في معظم مصانعها . وشركات السكك الحديدية في اميركا وروسيا ورومانيا تستعمله في قاطراتها مؤثرة اياه على الفحم . على ان فوائده تتجلى في السفن الحربية والتجارية ، التي تستعمل « المازوت » في الغالب

واليك المثل . لنفرض اننا نريد الموازنة بين سفينتين متماثلتين ، احدهما بخارية ، يسيّرهما الفحم ، والاخرى يسيّرهما البترول . وان قوة كل منهما ٢١ الف حصان . فالآلة البخارية التي تولد ٢١ الف حصان يجب ان يكون وزنها نحو ٣٤٠٠ طن واما الآلة البترولية التي تولد القوة نفسها فوزنها الف طن فقط . كذلك تستهلك الاولى نحو ٣٦٠ طناً من الفحم كل يوم واما الثانية فتستهلك مائة طن من البترول لتوليد القوة نفسها . فاذا استعدت السفينتان لرحلة طولها خمسة عشر يوماً ، وجب على الاولى ان تتمون ٥٤٠٠ طن من الفحم تملأ ٧٠٠٠ متر مكعب واما الثانية فتكتفي بـ ١٥٠٠ طن من البترول ، تملأ ١٧٠٠ متر مكعب

فينجم عن ذلك ، ان الباخرة ( اي السفينة التي تسيّر بالبخار مولداً من حرارة الفحم ) لا تستطيع بما تتمونهُ من الوقود ان تسيّر اكثر من خمسة عشر يوماً من دون الدخول في مرفأ لتجديد قواينها . مع انها لو استعملت مخازن الفحم فيها لخزن البترول ، وأبدلت آلتها



البخارية بآلة بترولية لتمكن من السير ٥٧ يوماً من دون ان تضطر الى دخول مرفأ ما  
اما السفن الحربية فتفوق البترول على الفحم فيها اجلي منه في السفن التجارية . فداخن  
السفن الحربية المسيرة بالفحم ، والدخان المنطلق منها ينم على السفن نفسها من بُعد عشرة  
كيلومترات . لكن السفن التي تسير بالبترول ، لا ينطلق منها دخان ، ولا حاجة بها الى المداخن ،  
فلا تبدو السفينة في منظار العدو ، الا خطأ رمادياً دقيقاً عند الافق  
ثم ان الاسطول الذي يسير بالبترول ليس مضطراً ، الى دخول المرافئ لتموين الوقود  
اضطرار الاسطول المسير بالفحم . وهو الى ذلك ، اخف وزناً ، وأعظم سرعة . فاذا قل  
ما يحمله من الوقود ، لتوليد قوة معينة في آلاته ، تمكن صانعه من استعمال فرق الوزن  
في زيادة كثافة دروعه وضخامة مدافعه . وهذا هو الغرض الذي ينشده المهندسون  
البحريون الحريون في كل الامم — وهو الجمع بين قوة الدروع والمدافع وخفة الوزن .  
ثم ان زوال المداخن يجعل السفينة الحربية هدفاً ابعد منالاً على مدافع العدو  
ومما يمتاز به الاسطول المسير بالبترول ، سرعة حركته . فاشعال النار في الفحم ، وتوليد  
الضغط الكافي في المراحل حتى يتمكن البخار من تسير الآلات ، يستغرق ساعات طويلة .  
اما اذا استعمل البترول ، فلا يمضي نصف ساعة على تلقي الامر ، حتى تكون السفينة مستعدة  
للقيام . ثم لا تمضي ٣٥ دقيقة على ذلك حتى تكون قد بلغت سرعتها العادية ثم في ست دقائق  
اخرى تنتقل من سرعتها العادية الى اقصى سرعتها المستطاعة . يضاف الى ذلك ان الاضطرار  
الى مواصلة السير ، لا ينهك الرجال الذين في يدهم ادارة الآلات بل ان السفينة الحربية البترولية  
تستطيع ان تمضي في سيرها الى ان ينفد بترولها من دون ان ترهق عمال آلاتها ، مع ان هؤلاء العمال لا  
يزيدون على اصابع اليدين عدداً . اما في السفن الحربية الفحمية فعدد العمال الذين يلقمون الفحم في  
الاتاتين كبيراً جداً ، ومواصلة السير ترهقهم لان يعملون في احوال يضيق الجسم الانساني بها ذرعاً .  
وعلاو على ذلك ان تموين السفن البترولية بوقودها ، يتم بسرعة ومن دون ضوضاء . فاذا اخذنا  
«الاولمبك» مثلاً عرفنا ان تموينها بالفحم يستغرق خمسة ايام ويقتضي عمل خمسمائة رجل . واما تموينها  
بترولاً فلا يستغرق اكثر من ١٢ ساعة ولا يقتضي اكثر من عمل ١٢ رجلاً . ثم ان تموين  
السفن بالبترول يمكن ان يتم في عرض البحر ، ولو كان البحر مضطرباً ، بواسطة نقالات البترول ،  
والسفينة منها حوض كبير قائم في هيكل سفينة ، وهذا متعذر اذا اريد تموينها فخماً  
هذه الاعتبارات ، حملت انكلترا واميركا سنة ١٩١٢ على استعمال البترول في معظم سفن  
اسطوليها ، والمانيا في ٢٩ طراداً من طراداتها وروسيا في جميع سفنها الحربية في بحر بلطيق .  
اما فرنسا ، فكانت متأخرة ، عن مزاحمتها ، عند نشوب الحرب الكبرى ، فلم تكن تملك في  
اسطولها الحربي ، سفينة واحدة من السفن الكبيرة ، تسير بالبترول . ولكنها اصلحت



هذا الخطأ بعد الحرب ، اذ وضعت خططها البحرية الجديدة . فقد جاء في تقرير المسيو فلانندان سنة ١٩٢٨ قوله « في المستقبل القريب يعفو أثر الفحم كوسيلة من وسائل الوقود في سفننا الحربية ، وكل سفننا الجديدة سوف تسيّر بالبترول » . ويصح القول الآن بان كل الاساطيل الحربية التي لها شأن دولي ما ، قد عمدت الى استعمال البترول في وحداتها الجديدة . وقد لانمضي بضع سنوات حتى نودّع آخر السفن البخارية ، بنفس البسمة الساخرة ، التي ودع بها اسلافنا من قبل ، السفن الحربية الشراعية التي حاربت في طرف الغار وناقارين

ومن الغريب ان تتأخر فرنسا عن غيرها في الاخذ بوسيلة الوقود الجديدة ، مع ان فرنسيًا ابدع اولاً فكرة استعمال البترول في الملاحة ، وبنى اول سفينة تحرق البترول بدلاً من الفحم . هذا الفرنسي هو الملازم « فارسي » Farcy ، في عصر الامبراطورية الثانية . فانه ادرك بذكائه الفوائد العظيمة التي تجني من استعمال البترول في السفن التجارية والحربية ، وبنى على حسابه الخاص سفينة دعاها « الپوبلا » Puebla فاصابت نجاحاً كبيراً وعني بها الامبراطور نفسه واحب ان يشجع صاحبها بمنحه هبة من اموال الدولة . ولكن اصحاب مناجم الفحم ، اقدموا وهم في عز سطوتهم ، على مناوأة فارسي فبدلوا المساعي — والاموال — في كل ناحية تملك الحكم في الموضوع ، فاسفرت مساعيهم عن خنق وليد « فارسي » في مهده . ولو لم تكن انكلترا واميركا من حلفاء فرنسا في الحرب العالمية ، لكان هذا الخذلان الذي اصابه « فارسي » سبباً في خذلان فرنسا وهزيمتها

لذلك صرّح السر اليست الفز ( Alves ) مدير احدى شركات البترول البريطانية الكبيرة : « ان الامة التي تسيطر على البترول تتقلد زمام التجارة العالمية . فلا الجيوش ولا الاساطيل ولا المال ولا كثرة السكان نفسها ، تغني عن البترول فتيلاً »

وقال المسيو هنري برنجه المفوض السامي « للبترول » في وزارة كلمانصو سنة ١٩١٩ ما رجته : « من يحز البترول يحز المُلْك — ملك البحر بالبترول الكثيف ، وملك الجو بالبترول الصني ، ومُلْك اليابسة بالبنزين والغازولين ، ومُلْك العالم بالقوة المالية المرتبطة بمادة هي اثنان واقوى واتم سيطرة على الارض من الذهب نفسه

« ان الامة التي تصبح سيّدة لتموين البترول ، تشهد تيارات الملايين من اموال الناس متدفقة نحوها تنفق عندها ثمناً له . ان سفن الامم الاخرى لا تستطيع ان تسافر الا اذا دخلت مرافئها وتموّنت من احواضها . لتبني اسطولاً تجارياً قوياً وليس ثمة ما يحول دون سيطرتها الكاملة على تجارة العالم البحرية . ثم لا تلبث الصناعات ان تنشأ وتترعرع حول مرافئها هذه ، فتصبح بنوكها اسواق العالم ، وفي يد مديريها السيطرة التامة على الاعتمادات المالية الدولية ، فتسيطر كذلك على الصناعة والتجارة ، حتى وعلى السياسة نفسها ! »





# تقاليد الزواج و اصولها النفسية

لصمد عطية الله

— ٣ —

زواج الاغتصاب — اثاره الراهنة في مصر والعالم — الاساس النفسي لذلك — اغتصاب الزوج —  
زواج المساومة — زواج الموافقة — حقوق العائلة — الاختيار الفردي —



على اية قاعدة تؤسس علاقة الزواج ؟ او بالاحرى كيف يختار الرجل رفيقته ؟ ايرضاها  
الشخصي ام بعد موافقة ذويها او من يدهم امرها ؟ ان هذا على صحته ليس الا نصف  
الحقيقة . فثمة زواج بالموافقة ، وزواج بعدم الموافقة او زواج بالاغتصاب ، وهو زواج  
لا يتطلب الزوج فيه موافقة من الفتاة ولا من ابويها . وهذا بالطبع نجده اكثر شيوعاً بين  
الشعوب الفطرية ، او المنزوية عن الاختلاط العالمي ، كما هي الحال في اواسط آسيا او شرق  
اوربا او بين سكان استراليا الاصليين وفي جزائر المحيط الجنوبي

ليس الزواج بالاغتصاب في تلك الانحاء حالات شاذة ، بل هو معتبر بين سكانها وسيلة  
طبيعية للزواج . ومع ذلك يجب الا يتطرق الى الذهن بأن زواج الاغتصاب هو العرف السائد  
الذي لا يحصى منه في تلك البقاع ، لانه وان كانت هنالك بواعث تدفع الى الاخذ به كما ساورد  
بعضها بعد ، إلا ان هذه لا يمكن ان تحطم الأسس الطبيعية التي يجب ان تقوم اركان الزواج عليها  
فسكان استراليا الاصليون يكونون شبه عصابات تغير على غيرها من القبائل الاخرى  
لاغتصاب فتاة او اكثر للزواج . وقد تنقلب هذه الغارات الى حروب تسيل فيها الدماء ،  
حتى ان الفتاة اذا امتنعت عن اطاعة المغير لا تنجو من عقاب بدني . وكان زواج الاغتصاب  
معروفاً في بلاد الاغريق ، وظل الى القرن الماضي منتشراً بين الامم الصقلية ، بل ولا يزال  
باقياً الى اليوم في بعض مناطق البانيا الجبلية . وقد تكون هذه الغارات نتيجة لضرورة طارئة  
اذا كانت الفتيات في احدى القبائل اقل من الفتيان الذين في دور الزواج . كما انه يحدث غالباً  
ان هذه الغارات العنيفة تنتهي بتعاقد في جو من الرضاء والموافقة الصحيحة . وقد اندثرت  
هذه الطريقة ولا سيما في الشعوب المتحضرة الا ان هنالك بعض تقاليد تقام في خلال الزواج ،  
هي بمثابة آثار لزواج الاغتصاب الذي اصبح لا يتفق مع روح العصور الحديثة

فعند كثير من الشعوب الحاضرة ينشب قتال تمثيلي بين اسرة الزوج واسرة العروس ،  
فتهاجم الاولى دار العروس محاولة اغتصاب الزوجة



في بعض الجهات في مصر ، يقام مثل هذا في حفلة الزفاف ، فيمتطي الزوج في جمع من أسرته ظهور الخيل او الجمال ويهاجمون اسرة الفتاة التي تقابلهم وتمنعهم من الاقتراب من دار العروس ، فتتشب بين الجمعين معركة صورية تطلق فيها بعض المقدوفات النارية ، او تستل العصى والاسواط . او يحدث ان تركب الفتاة مع احد اقاربها الشبان فرساً ويهربان الى جهة نائية فتتبعها قافلة من اسرة الزوج لاغتصاب العروس . وقد لا ينتهي هذا القتال التمثيلي على هذا النحو بل قد ينقلب عنيفاً يتبادل فيه الفريقان الضربات كما يحدث في بعض جهات الهند وفي مرا كش يرجع الزوج بصوب من الاحجار من اسرة الزوجة اذا جاء في طلبها وقد تكون آثار زواج الاغتصاب اقل وضوحاً في بعض الحالات كما في انكلترا ، الا أن هذه التقاليد التي يراعونها بدقة تدل على ان الاساس الذي بُنِيَتْ عليه هذه التقاليد معروف الى حد ما . فقد يحدث ان الزوج حين قدومه لاخذ زوجته ، تقف في سبيله جماعة من اسرة العروس في الطريق وتسده بأكوام من الاحجار او الخشب لمنع عربته من التقدم ، الا بعد مفاوضات صورية بين الفريقين تنتهي بعد ان يدفع الزوج ضريبة خاصة ولعل دفع الضريبة معروف في مصر ولكن بصورة اخرى وهو ان الفتاة ليلة الزفاف تمتنع عن مخاطبة رفيقها الجديد عند تقديمه اليها الا بعد دفع ضريبة مالية او هدية ذات قيمة ! وهناك مظاهر اخرى قد ترجعها الى هذا الاساس مثال ذلك قضاء شهر العسل بعيداً عن بلد الاسرة فهذا يمثل فكرة هرب الزوج بعروسه في زواج الاغتصاب

\*\*\*

وهنا يجدر بنا ان نتساءل عن الاساس السيكولوجي لذلك ثم عن غيره من الاسس. وقد يكون تمنع الفتاة او العائلة مظهراً للطبيعة النسوية القوية التي نعرفها « بالدلال » او « التمتع » لان موقف الانثى في العلاقات الجنسية سلبى دائماً ، بمعنى انه ليس عليها ان تبحث عن الرفيق مها كانت احوالها الخاصة ، بل يكفي ان تهىء الظروف المناسبة للبحث والطلب . وهذا ما نراه في المملكة الحيوانية . ولا ينقلب هذا الموقف السلبى عند المرأة الى ضدّه ( كما يقرر علماء النفس ) الا في حالي الانحطاط أو الشذوذ العقلي ، ومع ذلك فاننا نجد ان روح التمتع أو الدلال تبدو كذلك حتى في البغايا (١)

والتمتع من جانب العروس قد تتخذه الفتاة أو أسرته دليلاً على عفها وطهارتها ، لان هنالك شعور بشيء من التقزز الى العلاقة الجنسية لكثرة ما أحيطت به من الاسرار والنظم التقليدية . اذ قد يحدث عن بعض الشعوب ، ان يحضر الزوج الجديد الى دار الفتاة



طالباً إياها فترفض أو تهرب إلى بعض نواحي البيت فيبحث عنها ، حتى إذا وجدها أخذها من شعرها وجرها قسراً إلى داره على مرأى من أهلها الذين يفرض عليهم بحكم التقاليد عدم التداخل في امر لا يخصهم

وهناك ظاهرة أخرى توضح هذه الطبيعة النسوية ، طبيعة التمتع ، وهي بكاء العروس ليلة الزفاف . وبعض الجماعات تعلق شأنًا كبير بهذا البكاء . فكلما كان نحيب العروس شديداً ، دل ذلك على عفافها ، وعلى اخلاصها وحبها لعائلتها . ولكنني اعتقد أيضاً ان البكاء دليل الخوف ، خوف الفتاة وفزعها من الحياة الجديدة التي يحوطها في نظرها ، شيء من الغموض ، فهي مع شوقها السابق لان تكون زوجة وان تكون أمّاً ، تشعر حينما تخطو آخر خطوة لتوديع حياتها السابقة ، بالرهبة والقلق فلا تمالك عن البكاء . ويعتقد بعضهم ان شدة بكاء الفتاة في ليلة زفافها مقياس لسعادتها في حياتها الزوجية

وهناك اسباب أخرى لا تأخذ الاغتصاب وسيله للزواج وهو ان العروس وعائلتها تتعرف بهذه الطريقة مبلغ شجاعة الزوج وقوة عائلته . وقد يحدث أيضاً ان والد العروس يهرب في كثير من الاحيان يوم زفاف ابنته ، وقد رأيت بنفسي بعض هؤلاء الآباء الهارين محتبين في زوايا غير مطروقة بضعة ايام ممتنعين فيها عن رؤية احد من اهليهم أو معارفهم

\*\*\*

وثمة زواج باغتصاب الزوج على مثال الزواج باغتصاب الزوجة وان كان هذا نادراً . ففي أسام مثلاً يخرج جماعة من اقارب العروس الى بيت الزوج طالبين إياه ولكنه يتمنع ويهرب الى احد زوايا المنزل حيث يتبعونه فيجدُّ في الهرب الى الغابة أو إلى الجبال حتى يعييه التعب ، محاولين أثناء ذلك اقناعه بالذهاب معهم واغراءه بالعود والهدايا فاذا امعن في الرفض ، اطبقوا عليه وأتوا به الى بركة ماء فيلقونه فيها مراراً حتى يعلن موافقته فيأخذونه ظافرين الى بيت العروس

\*\*\*

وهنا نرجع الى الوسيلة الاخرى للزواج ونعني التعاقد بعد رضا الطرفين . وفي استعمال لفظة « الطرفين » نوع من الابهام ، فقد نقصد بذلك الرجل والفتاة الذين يرغبان في الزواج وقد نقصد بعض افراد اسرة كل منهما ، وكذلك لا ننسى ما لرضا المجتمع من الشأن في اتمام هذا العقد والزواج بالموافقة وهو السائد بيننا يتطلب موافقة كل هؤلاء او الجانب الاكبر منهم . فرضا الاب عن زواج ابنته يكاد يكون محتماً عند جميع الشعوب وان كان شأن هذا الرضا يختلف باختلاف هذه الشعوب ، ففي الهند حيث يتم هذا التعاقد والزوجان في طور الطفولة نجد الاب المسيطراً على هذا التعاقد ، فهو يختار لفتاته من يريد بلا منازع . وقد تكون سلطة الاب كبيرة حتى انه في بعض الشعوب يملك الحق في بيع ابنته



وقد حدثني صديق زار اعالي السودان بان الزواج هنالك بالمبادلة والمساومة المادية، فالزوج او الاب يقدر قيمة الفتاة التي يرغب في تزويجها، ويكون هذا الثمن عادة عدداً من الحراب او الادوات ذات الفائدة يقدمها الزوج لجميه . ومن المتفق عليه انه اذا ما توفيت الزوجة بعد ذلك فللزواج الحق في ان يسترجع هذا الثمن او بعضه من والد الفتاة

فالاساس في الزواج بين هذه الشعوب اقتصادي محض، ذلك ان الاب يفقد بالزواج فرداً من افراد أسرته وهو الفتاة التي قد تكون عوناً له في عمله بمشاطرتها الام في القيام بأعباء المنزل او غير ذلك فلا عجب ان يعوضه الزوج شيئاً في سبيل خسارته

وأخذ رأي الفتاة في الزواج قد يكون معروفاً عند الشعوب المنحطة اكثر منه بين الشعوب التي أخذت قسطاً ضئيلاً من الحضارة

أما الاساس النفسي الذي تبني عليه حقوق الاب، فهو واجب البنوة، الذي يثبت في نفس الصبي أو الفتاة بتكرار اطاعة رب الاسرة ومحبته وتقديره، والايمان بحسن سعيه

\*\*\*

ومجمل القول ان الفتاة تكون عادة تحت تصرف والدها حتى الزواج، عند كثير من الشعوب او الى سن محددة كما هي الحال في الوقت الحاضر، وهذه السن وهي سن الرشد تختلف باختلاف الشعوب، والقانون يحددها في جميع الحالات. فاذا تمّ تعاقدها بعد ذلك فالقانون او الشرع يميزانه، وان كان ينظر اليه في بعض الحالات نظرة مريبة من جانب الجماعة، فيتطلب حينئذ رضاء الاب ولو في الظاهر فقط. وعند بعض الطوائف المسيحية يمتنع رجال الدين عن اتمام العقد في الكنيسة اذا أصرّ الأب على المعارضة

إلا أنه بانتشار تعليم المرأة صار للرضاء الفردي بين الزوج والزوجة شأن اكبر تتلاشى عنده ارادة العائلة. ولا مغالطة في ذلك فالزواج نوع

من الصداقة. ومن الواجب ان يكون حق الاختيار لمكوّنَي هذه الرابطة. ولكن يجب ألا تتناسى ان احكام الشباب اقرب الى التهور لا سيما للذين لم تتح لهم فرصة الاختلاط. فالتقى قد يقع في هوى كل فتاة تصادفه بلا تدقيق مدفوعاً بغريزته الجنسية، التي تكون في بادئ الامر غامضة الغرض غير محددة. ولذلك قد لا يكون اختياره موقفاً سعيداً

احمد عطية الله

مدرس التربية بمعلمات حلوان

« للبحث بقية »

### محتويات المقال التالي

الزواج الفردي — الحب  
والزواج — تمدد الزوجات —  
الاسباب الداعية اليه — تمدد  
الازواج — الزواج الجمعي —  
زواج المبادلة — المهر وتطوره —  
حفلات الزفاف





# الحضارة الفينيقية

وتأثيرها في التمدن القديم

للشيخ بولس مسمر

## موقع فينيقية

يفهم بفينيقية عند فريق من علماء الجغرافية البقعة الخصيبة الممتدة على ساحل البحر المتوسط او بحر الروم من النهر الكبير «اليتروس» الفاصل بين جبال النصيرية وجبال لبنان في الشمال الى ما وراء جبل الكرمل في الجنوب ومن شاطئ البحر في الغرب الى قرية تل القاضي «لاليس او بالاييس او دان» في الشرق . وفي اعتبار فريق آخر منهم كانت فينيقية تبتدى في الشمال من نهر بلنياس «بالانيا» عند قلعة المرقب وتمتد طولاً الى جهة الجنوب من وراء الكرمل الى الطنطورة «دورا أو قلعة الغراء» في بلاد نابلس وعرضاً من شاطئ البحر على خط منحرف نحو الجنوب الشرقي من وراء جبل لبنان ودمشق الى بادية الشام . وكانت قسمين فينيقية البحرية وتشمل حيفا وعكا وصور وصيداء ويروت وجبيل والبترون وطرابلس وعمريت «ماراتوس» واللاذقية وقاعدة هذا القسم مدينة صور . وفينيقية اللبنانية او الجبلية وتشمل دمشق وبلبك وعرقه وبانياس «قيصرية فيلبس» وعكار . ومن المؤرخين من ذكر في جملة المدن الفينيقية اسبرتا وصرفت «صرفند» وارواد وجبله وزمره «سيميرا» وارتوسيا أو شمرون وطرطوس وقلسوس «القلمون» وجيفارتوس «انفه» وتريارس وبالي بيبلس «جبيل القديمة» وخذلوا «خلدة» ويورفيرون «الجية» وناذانا «قيصرية» وافانا أو عدلون وسرعة واوس «اسكندرونه» وكيكنا «ام العواميد» واكديبا «الزيب» . واقدم هذه المدن صيدون وهو مذهب هوميروس وسواه

## اسم فينيقية

اما اسم فينيقية ففي تفسيره اقوال واول من اطلقه على هذه البلاد اليونان واللاتين ويذهب مسيرو الى انه مأخوذ من لفظة فون أو بون المراد بها في الآثار المصرية بلاد العرب الشرقية وشاطئ خليج العجم موطن الكنعانيين الاصيل ثم الحق العرب بهذه اللفظة حرفي النسب فاصبحت «فونيقي» أو «بونيقي» . غير ان هنالك من العلماء من يرتاب في صحة هذا الرأي



### اصل الفينيقيين

والفينيقيون من الشعوب الكنعانية الاولى التي جاءت الى بلاد سام من جهة الجنوب واقامت فيها واختلطت بالآراميين ولهذا كانوا يعرفون ايضاً بالكنعانيين ومن ثم كانوا من اقرب النساب العبرانيين يتفاهمون بلغة واحدة

### هجرة الفينيقيين وانتشارهم

كان للفينيقيين نزعة فطرية الى الاعمال المثمرة وميل طبيعي الى المضي في اعمالهم الى اقصى حد مستطاع حتى ان جرائهم على اقتحام الاخطار في سبيل الكسب والاستعمار جرت مجرى الامثال عند الشعوب القديمة واتصل تأثيرها الى اعقابهم السوريين واللبنانيين فكانوا فدوة الامم الشرقية فيها. وكان من اخص مميزاتهم الحذق والاقدام والصبر والثبات والاعتدال على الاستنباط والمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم الوطنية والدينية والاستمسك بعروة الجامعة القومية ولا سيما في مستعمراتهم فكانوا في كل بقعة استوطنوها عصبه واحدة. وقد انصرفوا اولاً الى احرار الثروة عن طريق التجارة مسوقين اليها بما كانت عليه بلادهم من ضيق المساحة وقلة الخصب فلم يكن محصولها يفي بحاجتهم ولا سيما بعد استيلاء بني اسرائيل على ما صلح من ارضها للزراعة واكرامهم لهم على الازواء في المدن الساحلية وهضاب لبنان. ومما مهد لهم السبيل الى ذلك توسط بلادهم بين آسيا واوروبا من جهة وبين مصر وفلسطين وسورية وبلاد العرب من جهة اخرى فكان لهم من مركزهم هذا ما مكنهم من انشاء صلات تجارية وثيقة بهذه البلدان والتدفع بذلك الى التوسع في استثمار مواهبهم الفطرية فطمحت ابصارهم الى البلدان السحيقة جابوها واختلطوا بشعوبها وانشأوا فيها مستعمراتهم ونشروا الوية نفوذهم وتمتدحهم في اقصى الاقطار وكانوا صلة التعارف والقربى بين الشعوب الاسيوية والاوروبية والافريقية. وقد انشأوا على ساحل البحر المتوسط كثيراً من المستعمرات واموا قبرس ورودرس واكريت والجزر اليونانية وصقلية وايريكس ومالطة وكورفو ولاسيادوسا وكورسكا وماجوركا وترشيش في اسبانيا وقرطجنه وسواها. وجاوزوا البحر المتوسط الى ما وراء جبل طارق فخلوا في جزر بريطانيا وشمال فرنسا وبلجكا. ووجدوا بين سكان اميركا الاقدمين قوماً منهم. واتجروا مع البلاد المتاخمة للبحر الاحمر وكانت مدينة العريش محطة لقوافل بلاد العرب وبآر ولسائر واردات الخليج الفارسي والهند وما جاورها من ممالك الشرق الاقصى فتنقلها سفن الفينيقيين الى مختلف الاقطار. وعلى الجملة كانت تجارتهم منتشرة بين سورية ومصر وبلاد اليونان واماين النهرين وارمينيا وبلدان الكلدان والهند وافريقية واسبانيا وبريطانيا وغيرها من ممالك اوربا الشمالية ولا سيما في ابان سيادة صومر. واخص ما كانوا يتجرون به في تلك الممالك الحجارة الكريمة



والمعادن على أنواعها والآنية الزجاجية والاقمشة الثمينة والارجوان والآلات الدقيقة وغيرها ومع ان هجرة الفينيقيين الى خارج فلسطين وسورية كانت نتيجة طبيعية لما حل بالديار الشامية من الضيق وانتابها من الفتنة اثر الفتح الاسرائيلي فان ذلك لم يكن اول عهدهم بالمهاجرة فقد كانوا يرتادون منذ عهد الرعاة في مصر السواحل الافريقية والاوربية . وانقسموا في هجرتهم الاولى هذه إلى ثلاث نحل . فالنحلة الاولى كانت مؤلفة من الجرجسيين واليبوسيين وقد اجتازت فلسطين الى مصر السفلى ومنها الى ليبيا حيث تفرقت في انحاء افريقية الشمالية والغربية واستعمرت تونس وقرطجنة وكان للفينيقيين هناك من قبل ذلك مستعمرة تجارية خلل اولئك المهاجرون فيها واختلطوا على توالي الأيام بسكان البلاد الاصليين وأدمجهم فيهم فاتخذوا اسمهم كالأفريين واليبيين أو البانيين ولقنوم آدابهم ومدنيتهم وحكومتهم . وعقدوا مع الليبيين اليافثين خاصة عقود زواج نشأ منها الشعب الليبي الفينيقي وهو الذي بث الحضارة القديمة في تلك الاصقاع وانشأ المستعمرات على ما روى الحجري وغيره من العلماء وابتنى قرطجنة المشهورة في حروبها مع الرومان واتخذ البونية لغة له وهي فرع من اللغة الفينيقية . وقد وجدوا اخبار اولئك المهاجرين منقوشة في احجار هناك منها عمودان كتب عليهما بالقلم الفينيقي ما ترجمته :

« نحن اناس هاربون من امام ذلك اللص يشوع بن نون » وقد ذكر ذلك بروكوب وغيره من العلماء . وسكان افريقية القدماء كانوا يسمون أنفسهم كنعانيين . ويقول يوسفوس المؤرخ اليهودي الشير ان افريقية سميت باسمها هذا من أوفران الذي جاء إلى ليبيا مع قومه الفينيقيين واستولى عليها فنسبت اليه وما دخل على اسمها من التحريف إنما هو من قبيل ما يقع في أسماء البلدان من الابدال في حروفها الاصلية بحسب اللغات التي تكتب بها هذه الاسماء . وقال ابن خلدون ان تقليد شعوب افريقية الاسلامية ينبىء بأن هؤلاء القوم من نسل الهالقلة الذين جاءوا اليها من ارض كنعان

والنحلة الثانية سارت شمالاً وملأت بمستعمراتها وآثارها القسم الغربي من آسيا العليا وجنوب اوربا وأقامت في طريقها كثيراً من الابنية في سوريا العليا وآسيا الصغرى وانبثت في بلاد اليونان وايطاليا وعدة جزر منتشرة بين ثغورها وثغور آسيا مقتفية آثار شعوب آسيا الوسطى التي ملأت تلك الجهات باسم الاذيجيين أو بلاذج وشادوا هناك أقدم مدن أوربا وأحصنها وعرفوا بأسماء مختلفة فامتزج الفينيقيون المهاجرون بهؤلاء البلاذج في كثير من تلك الانحاء ونسبت اما كن كثيرة اليهم لانهم عمروها ونقلوا اليها حضارتهم القديمة

وأما النحلة الثالثة فركبت السفن الصيداوية إلى تاب في بلاد اليونان متبعة الشواطئ بقيادة قدم الذي يُظن أنه قدموس بن أجينور ملك فينيقية . وأنشأت في طريقها عدة مستعمرات كهنتوتية في جهات مختلفة نظير رودس وجزر سيكلاد وجزيرة سموتراس وعلى



سواحل بيوتسيا في بلاد المورة تجاه جزيرة اوبه حيث شيد قدم قلعة قدمية ومدينة تيبايس قاعدة اقليم بيوتسيا . والى قدم او قدموس هذا يعزى تعليم اهل المورة غرس الكرمة . واليه يعزى أيضاً وضع الحروف اليونانية في ما يقول بوكرت وبوصويت وسواهما من العلماء . وقيل ان اصل الاسم حتموس اي حثي وان هذا الزعيم ادخل الى اليونان الحروف الحثية وليس الفينيقية . غير ان الرأي المعول عليه هو ان الحروف التي تلقنها اليونان منه هي الحروف الفينيقية بعينها وانه لو كانت الخطوط الحثية اصلاً لحروف الهجاء عند اليونان ما تعذر حتى الآن حل رموزها . وقد تغلب قدموس على هاتيك الاصفاع وحكمها حقبة من الزمان وخلفه على ولايتها احد السبرتيين من ذوي قرباه ثم استرد الفينيقيون الولاية لهم فانبرى لهم السبرتيون الوطنيون واستمرت سلالتان احدهما كنعانية والاخرى اسبرتية تتنازعان ولاية تاب زهاء ثلاثة قرون . وذهب بعض العلماء الى ان قدموس ارتحل بقومه الكنعانيين أو الفينيقيين الى بلاد اليونان قبل غارة يشوع على فلسطين بعدة قرون . ومما لا ريب فيه انه كان للفينيقيين مستعمرات تجارية خارج فينيقية قبل مجيء بني اسرائيل الى ارض الميعاد بحقبة طويلة من الدهر . ومن الثابت في اعتبار العلماء ان هذه النحلة نشرت علوم الفينيقيين وحضارتهم وصناعاتهم في بلاد اليونان ونقلت اليها كثيراً من عبادات فينيقية وبلاد السريان . وتاريخ اليونان نفسه يقف عند هذا الحد فلا يرتقي الى اقدم منه . وفي هاتيك البلاد اثار كثيرة للفينيقيين تستجل على الخصوص في اسماء شعوبها ومدنها وابطالها القدماء ودينها ومبادئ فلسفتها وتمسكها ولا سيما في بلاد المورة

على ان الفينيقيين لم ينفردوا في تحضير اليونان بل انه كان للمصريين شأن خطير في ذلك وقد جاءوها قبل الميلاد لنحو الف سنة . امها اولاً انتيكوس بنحلة من مواطنيه وأنشأ مدينة ارغوس . وتلاه شيكروبوس المصري بنحلة اخرى وأنشأ هناك اثنتي عشرة دسكرة أو عشر دساكر على زعم بعضهم كانت اساساً لمدينة اثينا . وعلى هذا النحو يكون مرجع التمدن اليوناني الى النحل التي هاجرت الى بلاد اليونان من مصر ثم من فينيقية وادخلت اليها عادات بلادها وتمسكها واخلق اهلها وعبادتها

### مستعمراتهم وتجارتهم

ومن المستعمرات الفينيقية الاولى قبرس واول من استعمرها اهل جبيل ثم خضعت لصيدون واصبحت على توالي الايام بلداً فينيقياً . وقيل بل اول من افتتحها الحثيون والحماتيون وبنوا اثم مدنها نظير ثيتيوم وحماتونة « حماسيا نسبة الى حماة » ثم استحوذ عليها الصيدونيون في عهد ملكهم بالوس . ثم استعمر الفينيقيون رودس واموا كريت فشادوا فيها مدينة اثيانوس . واستعمرُوا جزيرة ثاره وقيشاره وأنشأوا لهم مستعمرات في اولياروس واتيبياروس



ويوس وسيروس او سيرا وسيغنوس وسيمولوس من جزر الارخبيل ثم جزيرة تاسوس. وقد بلغوا الدردنيل وبحر مرمرا والبوسفور والبحر الاسود ووصلوا الى جنوب جبل قاف وكانوا يأتون منه بالمعادن ولاسيما الذهب والقصدير والرصاص والفضة. وامو شواطئ الاير وهي البانيا الجنوبية ووصلوا الى ايتاليا وصقلية. وكان لهم في مصر وعلى شواطئ افريقية مستعمرات مهمة ولاسيما في مصر السفلى وعلى الخصوص في منف على عهد ملوك الرعاة السوري الاصل وكان نقل تجارة مصر الى الخارج محتكراً لهم ولكن لما طرد الرعاة من مصر تصدت الدولة الثامنة عشرة من دول الفراعنة للفينيقيين ووقفت حاجزاً منيعاً دون نموهم وتوسعهم في الاستعمار وسدت عليهم منافذ الكسب في افريقية. اما مستعمراتهم في جزر الارخبيل وما يليها وجاورها من الجزر والسواحل البحرية فظلت زاهرة الى ان انبري لهم البلاسج وضايقوهم ولاسيا الكفتوريون وهم الفلسطينيين ومحالفوهم فاضطروا من ثم الى التخلي عنها واهملها

وما يقال عن مستعمرات الفينيقيين في جزر البحر المتوسط وعلى شواطئه يقال مثله عن تجارتهم في يابسة آسيا حيث بلغت شأواً بعيداً. وكان لها في تلك القارة ثلاثة فروع رئيسية: فرع الجنوب وفرع الشمال وفرع الشرق

فرع الجنوب — كانت قوافل الفينيقيين تصل جنوباً الى اليمن والخليج الفارسي وحضرموت وعمان ومكة ويثرب وعدن فتأتي منها بالذهب والحجارة الكريمة والبخور والمر والعاج والاشباب العطرية والابنوس وريش النعام

فرع الشمال — وكانت هذه القوافل تصل شمالاً الى توبل وماشك وهي من الاقاليم المجاورة للبحر الاسود وبحر قزوين وتعرف ببلاد الكرج وارمينية وجبل قاف. وكانوا يجلبون منها الرقيق وآنية النحاس والحلي والبغال

فرع الشرق — وكانت تصل شرقاً الى بابل ونيينوى مارة ببلبنان وبعليك وحمص وحماة وحلب والرها ونصيبين حتى تبلغ بلاد اشور. ومنها قوافل كانت تحتاز بادية الشام الى تدمر ومنها الى تبك على الفرات وتأتي من هناك بالانسجة القطنية والصوفية الفاخرة والحلي والاثاث والعطور والحجارة الكريمة. وتأتي من بابل بحاصلات آسيا الداخلية المجلوبة اليها من بخارى وفي جملتها الحرير. وكان لهم في طريق هذه القوافل مستعمرات زاهرة اخصها في حماة وفي تبساك على الفرات وفي نصيبين بقرب منبع دجلة. وكانت سفنهم تراد خليج العرب والخليج العجمي والاقويانوس الهندي فتجلب الذهب والفضة وخشب الصندل والحجارة الكريمة والعاج والقردة والطواويس ونجوب شواطئ افريقية حتى قرطجنة. وقد بنوا هناك مدينة هيون ومدينة كهبا التي اقيمت مكانها فيما بعد قرطجنة. وكانوا يتبعون في الاتجار مع الامم البربرية المنحطة طريقة المقايضة وهي متبعة الى اليوم في كثير من انحاء افريقية.



وأما المثلون لهم في الحضارة فكانوا يتجرون معهم بالثمن كما هي الحال اليوم بين تجار العصر ذلك كان شأن المستعمرات الفينيقية في ابان سيادة صيداء . ولما سقطت صيداء وأفضت السيادة الى صور تقلص نفوذ فينيقية من الانحاء الاسيوية والافريقية ردها من الزمن . على أنه منذ ارتفع شأن صور بالتفاف المدن الفينيقية حولها طمحت الى الاستعمار والفتح السلمي وكانت افريقية مطمح ابصار الفينيقيين منذ القدم فاما قوم منهم في سنة ١١٥٨ ق.م. وبنوا هناك على شاطئ البحر في الشمال الغربي من قرطجة مدينة اوتيكا وجاءوا الى نوميدية المعروفة اليوم بمملكة فاس او المغرب وأنشأوا في انحاءها ثلاثمائة مدينة استولى عليها البربر في عهد الاشوريين . ثم اتصلوا الى اسبانيا وشيدوا فيها مدينة قادس وسما هذه البلاد ترشيش وبنوا عدة مدن منها ملاكا وساكس او مرتيل وابداز او بامارياني الجنوب الشرقي من مدريد. وأنشأوا مستعمرة كرتايا المعروفة اليوم بالجزيرة غرب جبل طارق . وبنوا مدناً اخرى في جهات مختلفة من تلك البلاد حتى بلغوا جبال البيرنيه الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا. ولم يمر قرن واحد على مجيئهم الى تلك البلاد حتى افضت اليهم ولاية باتيك في جنوب اسبانيا وهي الاندلس ونشروا هناك عاداتهم وآدابهم ولغتهم . ورسخت لغتهم في تلك الارحاء وظلت لغة الاهلين الى أيام الرومان ولا سيما في قادس وملاكا وساكس وابداز . واتخذ الفينيقيون جزيرة مالطة محطة متوسطة بين فينيقية ومستعمراتهم في اسبانيا وأفريقيا فأقامت جالية منهم هناك في آخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد واختلطت بأهلها الليبيين . ثم الحقوا بمالطة جزيرة كولوس ونزلوا جزيرة صقلية بعد خروجها من حلقة البلاسج والليبيين واستعمروها وظلوا فيها اصحاب الكلمة النافذة ثلاثة قرون الى ان جاءها اليونان. واستعمروا جزيرة قشورة « بياتلريا » بقرب صقلية وجعلوها مستودعاً للذخائر والمواد التجارية. وكذلك سردينيا وأنشأوا فيها مدينة كرايس « كلياري » ونورا . وأموا جزيرة كورسكا وشواطئ ايتاليا الجنوبية وتوسكانا فأنشأوا هناك مستعمرات زاهرة . وأوغلوا في فرنسا وألمانيا ووصلوا الى بحر البلطيك براً والى جزر بريطانيا بحراً . وفي القرن السادس قبل الميلاد انفذوا الى شواطئ افريقية الغربية ستين سفينة ففتحتها واستعمرتها . وعلى الجملة فان تجارة الفينيقيين بلغت في ابان سيادة صور ما بلغت في ولاية صيداء من الخطر والمكائنة العليا وربما فاقتها توسعاً وانتشاراً . على ان شهرة الفينيقيين في الاستعمار طوحت بهم الى التغافل عن بعض الاعتبارات الجوهرية فكان هذا التغافل من بواعث فشلهم في ما يلي من الزمن فان اهل صيداء وصور وبيروت وجبيل استقلوا في مستعمراتهم عن مواطنهم فلم يشاركون فيها احد من هؤلاء فانحط شأنهم ولا سيما صيداء فانها انفردت في شؤونها الداخلية والخارجية افراداً جعلها في عزلة تامة عن سائر المدن الفينيقية استثناءً بالمنفعة واستبداداً بالسيادة والنفوذ وهذا ما اخرج موقفها وعجل في انحطاطها وتقلص سلطانها

[ لها بقية ]

(٤٤)

مجلد ٨٠

جزء ٣





## « مكتبة فريدة »

« وصاحبها ايضاً فريد »

من اسابيع معدودة ارسل الاستاذ اسماعيل تيمور بك الامين بالسراي الملكية وشقيقة الاستاذ محمود تيمور بك الاديب والقصصي المعروف كتاباً الى وزير المعارف يذكر ان فيه لمعاليه ان والدهما فقيد الادب والعلم والحجا المغفور له احمد تيمور باشا لم يشأ ان يستأثر اهله وذووه من ورثته بمكتبته التي خلفها ضمن تركته انما شاء — شأن الاديب المخلص لادبه — ان ينتفع بها الادباء من اهل وطنه فأوصى بأن يخصص لها مكان في دار الكتب الملكية المصرية تنقل من مكانها اليه حتى يتدققوا ما تحويه بطون كتبها من علم وأدب . وزاد الاستاذ ان فطلبنا الى معالي الوزير ان يعاونهما في تنفيذ وصية ابيهما البار بمصر وبنيتها فيأمر بنقل المكتبة النفيسة الى دار الكتب ، فشكرهما الوزير عملهما الحميد وود لو يكون كل اديب مخلص للادب وأنصاره كأبيهما المبرور . ونحن نكتب هذه العجالة وتنفيذ الوصية في سبيلها المنشود . ولقد اذكرنا كتاب الشاين الاديبين بما كان للبasha الوالد من ادب جم وعلم غزير ، وعاد بنا الى ما نعرفه له من حرص على اللغة العربية ان تموت وتفسو العامة فتحتل المكان ، ولاخير في امة تضع لغتها الآباء والاجداد فتستبدل بها لغة كسيجة لا تقوى هي نفسها على السير فما بالك بأن تهض بسواها وهنا قد يدهشك ويثير عجبك ان ( ينحرف ) الابن عن ( جادة ) ابيه فيبنا يتعشق الاول لغة الضاد ويروج لها ويعمل على انتشارها ، اذ الابن يعزف عنها الى لغة العامة والبسطاء ويجهد نفسه في التدليل على استعمالها في الكتابة تشيئاً مع روح العصر الجديد

اما ذلك الابن فهو المرحوم محمد تيمور الكاتب المسرحي المشهور والروائي الذي ظهرت له روايات عدة على مسرحنا المصري الناشئ منها « عبد الستار افندي » و « الهاوية » و « العصفور في القفص » وغيرها ، فقد كان شديد الدأب على الدعوة للعامة مدلاً بأنها لغة الشعب فهي انفذ الى عقله وقلبه من العربية الفصحى ، فكتب رواياته كلها — وقد نجحت جميعاً — بالعامة ، ولكنه نسي — كما حدث زميل ظريف — ان يكتب كتابه « المسرح المصري » بها فألقه بالعربية الفصحى

اما حجة فقيد العربية تيمور باشا في الترويج للفصحى ، فهي انها لغة القرآن الشريف ، ولغة اجدادنا العرب ، فيجب صونها من العبث ، اذ في صيانتها صيانة للكرامة العربية القومية وللاثر العربي في الادب والعلم والاجتماع ، فاذا كان الشعب قد عود لسنه اللغة العامة





امام صفحة ٣٤٣

محمد تیمور

المغفور لها



احمد تیمور باشا

مقتطف مارس ١٩٣٢



فيجب على قادته واولي امره — وهم الابداء — ان لا ينزلوا الى مستواه بل على الضد حتم عليهم ان يرفعوه الى مستواهم فيزيدوا في تنقيفه وتهذيبه ويحيوا فيه العزة العربية ولسنا في مقام المفاضلة بين الرايين ، ولكننا نعرض هذا الحديث لنبين لك كيف كان تيمور الكبير يربي بنيه في مدى واسع من الحرية يختارون ما يشاؤون من الاساليب وما يستسيغونه من الوان الادب ، فمن عاف شيئاً لم يحمل على قبوله ، بل اقنعه بالحسن بالقبول مرة وثانية وثالثة ، فان اهتدى فنعمت والا تركه وشأنه والا يام كفيلة باقناعه

وأعتقد عن يقين ان محمداً تأثر في اخريات ايامه بحجة ابيه فلم يمنح الى العامة في تأليف « المسرح المصري » بل عطف منها الى العربية ، وسواء اكان هذا « نسياناً » منه كما قال زميل او يقيناً وحقاً الا انه — ولا شك — اثر مما كان يدور بينه وبين والده العظيم أما الاستاذ محمود تيمور بك فهو وسط بين اخيه وأبيه المرحومين ، فهو يكتب قصصه بأسلوب هومر يمج بين هذي وتلك ، فلم يغرق في العربية الفصحى الى عمق الخدلة فيها واختيار معميات الفاظها ، ولم يطف على وجه العامة مستحسناً منها المبتذل الممجوج . فان شئت القرب من الاب العربي ، فانشده في ولده الاستاذ اسماعيل تيمور بك ، ولئن كان لم ينزل الى ميدان الكتابة الا انه شديد الكلف بالكتب العربية القديمة ومصنفات آداب اللغة يستوعب ما فيها فلا بدع كلمة تشكل عليه الا بحث عن اصلها وفصلها حتى وقف على كل ما يشبع رغبته في البحث والدرس وهذه امور يرجع فيها الى البيئة التي ربي فيها الواحد منهم وعلى من تعلم ودرس ، فتيمور الكبير ، صاحب المكتبة الفريدة ، تعلم اول ما تعلم على اخته عائشة التيمورية في الوقت الذي كان يطلب العلم في مدرسة « مارسيل » الفرنسية وكان لا يدخلها الا اولاد الاعيان وفيها تخرج دولة عدلي يكن باشا . وعائشة هي من يعرفها كل متأدب في الشرق ، الادبية ، قومية اللسان ، فصيحة البيان ، الحريصة على لغة الابداء والاجداد

ثم درس على المرحومين المشايخ حسن الطويل ورضوان الخلالتي وابي خطوة علوم الاسلام وادب اللغة وفقها وكذلك شب احمد تيمور ، على حب اللغة العربية والانتصار لها والسعي في لم شعها ، وكان مجلسه لا يضم الا خيرة رجال الادب في مصر ايام شبابه كالمرحومين الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده واسماعيل صبري باشا ومحمود سامي البارودي باشا

ومما يجب الامناع اليه ان تيموراً درس على الاستاذ الشنقيطي المعلقة السبع فوقف على شروحه وغريب الفاظها وعقد اعرابها حتى اضحى الوحيد في القطر في هاته المعلقة ، اليه يرجع في درسها وتحصيلها . وكان اصنى الاصدقاء لديه الاستاذ الامام والشيخ حسن منصور رحمهما الله اما ولده محمد ومحمود فقد تعلموا تعليماً اورياً فاختر كل منهما ما خلله ولكن اسماعيل مع انه تعلم مثلها الا انه ورث حب العربية عن ابيه فلم يعد يحب الاسماعها والا يتحدث بها وقراءة كتبها النادرة



اعود الى حديث المكتبة فاقول انني اخترت لمقالي هذا العنوان السابق ، لا لانه من غفوَ خاطري، ولكن لانه كان شهادة طبية سامية من جلالة ملك البلاد قرأتها في مجلة «الزهراء» الغراء انقلها بحرفها هي : —

« كان فضيلة السيد محمد الببلاوي مرة بين يدي جلالة الملك يذكر له شيئاً عن خزائن الكتب المصرية ، فقال يصف الخزانة التيمورية ، وكان ذلك في حياة صاحبها رحمه الله : —  
— ان مكتبة تيمور باشا فريدة في مصر لا مثيل لها بعد دار الكتب المصرية —  
— فاجابه جلالته : —

— وصاحبها ايضاً فريد . اه

ما اجلها شهادة من ملك مصر المعظم . ووالله انه لخارق للعادة ان يؤلف رجل مكتبة تحوي نحو ثلاثة عشر الف مجلد نفيس يؤمن ملك فريد في الملوك على انها « فريدة » ويزيد على صاحبها بانه « فريد »  
فهل كان جمع الكتب دأبه وعمله في الحياة ؟ ؟

نعم دون عجب . فانه بعد ما رزىء بانتقال قرينته الى الرفيق الاعلى ازداد ميله الى الادب والعلم فبدأ يجمع الكتب ، لا ليتفرج عليها ويزهو بين الخلان والصحاب بان عنده مكتبة نادرة ولكن ليتزود بما فيها ، فلا يضع كتاباً جديداً يقع عليه في مكانه الذي يختاره له بين زملائه الا بعد ما يأتي على آخر حرف فيه ، ويلق على هوامش صحائفه بما يعن له ، وكان أمتع وقت عنده للاستفادة من الكتاب ، وقت الليل والناس نيام ، فاتخذ الكتاب قريناً وعزاء له في وحدته بعد زوجه فكان خير قرين . واما أحب الالوان اليه فكان اللغة والتاريخ والحديث الشريف . كان حجة لا يبارى واماماً لا يحارى في الغزارة والاطلاع والعرفان فيها جميعاً

واكثر كتب هذه المكتبة الفريدة مخطوط قديم لا يقدر بضمن لنفاسته وندرته ، يشترى الواحد منها بما يطلب صاحبه من دون مساومة ولا جدل ، ذلك لانه كان يقول : لا مساومة في الادب كما لا مساومة في الدين . وحبه للقديم دفع به الى ايثاره كتب طبع بولاق أو المطابع الاوربية القديمة ، وليس معنى هذا انه كان يكره الكتب الحديثة ولكنه كان لا يسمح لواحد منها ان ينال شرف الانتساب الى مكتبته الا اذا كان نفيساً مفيداً . وليست المكتبة مقتصرة على كتب اللغة والتاريخ والحديث لشغفه بها ، بل هي حافلة بكتب النحو والصرف وتاريخ الاسلام والعرب ، ولم يقتن من الكتب الفرنسية الا ما كان يبحث عنها في الاسلام أو العرب وهو وان كان غير ميال الى القصص — على ضد ابنه — الا انه كان يحوز منها القديم

المشهور كقصة « عنتر » وزميلتها « الف ليلة وليلة » وغيرها

ولعل من أكبر البواعث على اجلاله انه كان لا يعهد في ترتيب مكتبته إلا الى نفسه ،





اسماعيل تيمور بك

امام صفحه ٣٤٥



محمود تيمور بك

مقتطف مارس ١٩٣٢



فكان يسهر طويلاً في تبويبها ووضع الفهارس لمحتوياتها وتعليق اللوحات الصغيرة على كل فن من الفنون

ولما ضخمت المكتبة وعز شأنها ابنتى لها داراً خاصة بالزمالك حيث الهدوء والسكون واحاطها بروضة مزهرة ، ووقف عليها اطيافاً لرعايتها وصيانتها ، وجعلها من ثلاث غرف : الاولى للمطالعة ووضع بها مجموعة اللغة : آدابها وفقهها ونحوها وصرفها وزينها بجلود نفيسة كانت تستعمل قديماً للكتابة وجل جدرانها بمجموعة من الصور لمشهوري رجال العلم في مقدمتهم حكاهم مصر وابطل تاريخها الحديث والقديم . والثانية نضد فيها كتب تاريخ العرب والاسلام والحضارة الاسلامية وجغرافية بلدان العرب . والثالثة لمختلف العلوم والفنون ولم يرد الا ان يصون الكتب المخطوطة المذهبة والمصورة بآلة التصوير ، في خزانة جميلة صنعت خصيصاً لها

وطبيعي ان لا بد لاديب علامة هذا شأنه ان يكون قد ترك وراءه تراثاً ادبياً يثم على مبلغ ادبه وعلمه ، مؤلفات تنبئ بان تيموراً كان من الرجال الافذاذ الذين يعملون في صمت من دون جلبه ولا ضوضاء

واظهر مؤلفاته « معجم اللغة العامية » وضع فيه كل لفظ عامي يعرفه وسمعه وقرأه ورده الى اصله وبين مم اشتق ثم اتى له بمبرادف عربي ليدحض قول الذين يقولون ان هناك الفاظاً عامية لا توجد لها الفاظ تؤدي معناها بالعربية ثم « مفتاح الخزانة » وهو بمثابة فهرس لخزانة الادب التي صنفها البغدادي ، ليسهل على قارئها مراجعتها

ثم « ابو العلاء وعقيدته » وفيه يعتقد ان ابا العلاء المعري لم يكن من الملاحدة بل كان على الضد من ذلك مؤمناً طائعاً سليم العقيدة الدينية ثم « الآثار النبوية » وقد تناول فيه المؤلف الفقيه الآثار المنسوبة الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فحققها وابان مبلغ الحق فيها من الكذب ثم « تصحيح لسان العرب » وفي عنوانه ما يغني عن الشرح وكذلك « تصحيح القاموس المحيط » هذا بعض من كل ، ويغلبنا الاسف ان اكثر مؤلفاته النفيسة لم تطبع وما زالت محفوظة بالمكتبة الفريدة بخط يده

ومما يسر ويبهج ان الاستاذين اسماعيل بك ومحمود بك افضيا اليّ بانهما سوف ينشران ترجمة وافية لايهما متضمنة اعماله ومؤلفاته وكل ما قيل فيه امد الله في حياتيهما محمد علي رفاعي



## حياة الفنان

صَحَبْنَا ظِلَامَ اللَّيْلِ لَا هُوَ كَارُهُ  
وَمَنْ يَفْقِدُ الْآمَالَ يَلْقَى عِزَاءَهُ  
حَدِيثًا لَنَا ، أَوْ نَحْنُ نَنْتَظِرُ الْفَجْرَا  
لَدَى اللَّيْلِ أَنْ يُظْلِمَ ، وَأَنْ يَفْقِدَ الْبَدْرَا  
وَمَا هِيَ إِلَّا فِتْنَةٌ لَيْلَةُ السُّرَى  
تَصْبُّ لَنَا خَمْرًا ، وَقَدْ شَرِبْتَ مَرًّا  
وَتَكْتُمُ فِي الْقَلْبِ الْأَسَى ، وَعَذَابُهَا  
يَبِينُ كَخَافِي الْحُبِّ لَا يَعْرِفُ الْأَسْرَا

\*\*\*

كَأَنَّ النُّجُومَ السَّاهِرَاتِ حَيَاتَهَا  
فَلَا هِيَ فِي النَّوَامِ ، أَوْ هِيَ مِثْلُنَا  
تَحْنُ إِلَى نَوْمٍ ، وَقَدْ فَتَقَدْتَ صَبْرَا  
وَلَكِنَّهَا كَالطُّفْلِ قَدْ مَلَأَتْ ذَعْرَا  
فَأَخْفَتْ سَنَاهَا بَيْنَ اسْتَارِ قَبَةٍ  
تَسْتَرُّ فِيهَا مَا جَهَلْنَا لَهُ سِرًّا

\*\*\*

وَمَا نَحْنُ إِلَّا كَاللَّيَالِي لِقَوْمِنَا  
فَقَنْ بِشَعْرِي لِلْخَلِيلِينَ بَرَهَةً  
نَسَاقِيهِمْ خَمْرًا ، وَنَحْتَمِلُ الْمُرَا  
وَحَلَّ دُمُوعِي تَسْتَدِرُّ لَكَ الشُّعْرَا  
وَمَا رَنَةُ الْأَوْتَارِ إِلَّا حَدِيثُهَا  
وَقَلْبُكَ... لَوْ يَدْرِى الَّذِي جَهْلُ الْأَمْرَا!

حسن كامل الصيرفي



# بَابُ شُؤْنِ الْمَرْأَةِ

## وَسِرِّ الْمَنْزِلِ

قد فتحن هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفة من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والسكن والزينة وسير شهرات النساء ونهضتهن ونحو ذلك مما يمود بالنفع على كل عائلة

### المرأة الألمانية في ميدان السياسة

للكاتبة الاميركية جنيفيف باركرهست

استرعت المرأة الألمانية انتباهي أولاً في الاتحاد النسوي الاممي ، الذي عقد منذ بضع سنوات في السوربون بباريس . ففي آخر اجتماع عقده الاتحاد ، كانت النساء الألمانيات يمثلن فيه بلاداً قد نالت منها المسغبة والهزيمة شرمال ، وكن آتيات الى بلد لا يحمل لبلادهن سوى العداء ، الا انهن اقبلن على المؤتمر برؤوس مرفوعة ، ونفوس مشغلة عن العالم وما فيه ، بالغاية التي يسعين اليها مصمات على التعاون مع ممثلات ٥٦ امة اخرى حتى يظهرن للعالم مكانة المرأة في عالم السياسة حين يفسح لها المكان اللائق بها

ومنذ الدقيقة الاولى التي دخلت فيها المرأة الألمانية دار المؤتمر اثبتت تفوقها ، وبذت اختها الاميركية في كل شيء . فبينما كانت النائبات الاميركيات منتخبات كلهن من هيئة واحدة ، اذ النائبات الألمانيات كن يمثلن مختلف الهيئات النسوية في المانيا ، فكان منهن المتشرعة والاستاذة في علوم الاقتصاد او العلوم الاخرى ، والطبيبة ، والعاملة ، وغير ذلك ، وبالجملة فقد كن على خبرة تامة بجميع نواحي المشكلات التي اتين الى المؤتمر لمعالجتها ، وقد تناولن مواضيعهن بما تستحق من العناية الخاصة من الوجهة الألمانية ، والعامية من الوجهة العالمية ، في حين ان الممثلات الاميركيات كن ينقصن عن اخواتهن الألمانيات خبرة وحصافة ولما اتى دور النائبات الألمانيات للكلام ، وقفت الواحدة بعد الاخرى ، تخاطب جمهور المستمعين بلغة افرنسية صحيحة ، وتكشف في سياق حديثها عن استيعاب تام لنواحي الموضوعات التي تتناولها في كلامها ، وأخيراً وقفت « فرو سرتود » النائبة في الرخستاغ ، وكانت ردهة السوربون مزدحمة بالمستمعين ، فقابلها الجمهور بتصفيق خافت متقطع ، اما تلك



السيدة ذات العينين السوداوين ، والملبس الانيق ، فأدارت نظرها في الحضور ثم انحنت لهم وشرعت تتكلم بلغة افرنسية عذبة اشد العذوبة وقبلما اتمت الجملة الاولى من خطابها ، انبعث سحر كلامها في الكتلة المستمعة فوقف الجمهور متأثراً اشد التأثر ، وصفق صائحاً مهلاً مهليلاً الطرب والاستحسان ، واندفعت الخطيبة تكشف عن آرائها باجلى بيان ، وافصح لغة ، حتى اذا انتهت من كلامها ، كان الجمهور قد اخذ بهزة عميقة الأثر من ثورة العاطفة وفيضانها ، فالرجال الفرنسيون بعضهم على بعض يتعانقون لشدة ما نالهم من أثر الانفعال ، وسالت دموع السيدات غزيرة ، ودامت تلك الهزة العنيفة نحو عشر دقائق اختل في اثنائها نظام الاجتماع . وكانت خطبتها موضع عناية كبيرة من الصحف الفرنسية

\*\*\*

وقد وقفت عقب « فرو سرتود » نائبة امريكا فقابلها الجمهور بعاصفة من التصفيق وحسبك بمن تمثل المرأة الامريكية في مجتمع مثل ذلك . فلما همت بالكلام توترت الاعصاب ، وشخصت الاعين ، وارهفت الاذان لتتلقى الدرر . . . حين تنتثر من بين تينك الشفتين . . . واخيراً تكلمت الخطيبة المحترمة باضطراب ملحوظ وارتباك بيّن باللغة . . . الانجليزية في حين ان جميع النائبات الاخريات حتى اولئك الآتيات من الصين . . . وايسلندا . . . تكلمن بالفرنسية . . . وليتها بعد هذا كله قالت شيئاً . . . فلقد اكتفت بان تلاحظ بانها لا تقول شيئاً . . . لانه ليس عندها ما تقول . . .

وقد سمعت بعض الامريكيات الجالسات خلفي ، يقلن بعد ان جلست الخطيبة المحترمة : « واذاً فهذا هوكل ما استطعنا نحن الامريكيات ان نعمله في مؤتمر كان ينتظر العالم كله ان نكون نحن فيه القدوة الحسنة والمثل الاعلى للمرأة . . . »

\*\*\*

ولما زرت المانيا لكي ادرس مكان المرأة السياسي هناك ، كنت على شيء من الخبرة بهمة المرأة الالمانية — والحق ان هذا الذي فعلته المرأة هناك قد حقق جميع الآمال التي كانت معقودة على المرأة حين ينفصح لها مكان في عالم السياسة

ولقد كانت المرأة الالمانية تمتاز قبل الحرب بالخضوع الكلي لسلطان الرجل ، فلم تكن تعمل خارج بيتها الا اذا كانت ارملة ، او كانت من طبقة المزارعين او العاملات الا أنه وجد في ذلك الوقت القليلات ممن اسعدتهن الاحوال بالالتحاق بالجامعات والتخرج منها في مختلف فروع العلوم والآداب والفلسفة ، على انهن لم يتعدين دائرة العمل تحت اشراف الرجل ، ولم تسنح لهن الفرص للاستقلال بالعمل واظهار مواهبهن في



سعة من الحرية فلما نشبت الحرب العظمى اشتركن في اعمال الرجال كما اشترك غيرهن من نساء الدول المتحاربة ، فكن في اعمالهن مثلاً للتضحية والجلد ، فلما سرت روح الثورة في الامة الالمانية كانت اصوات نساءها تختلط مع اصوات الرجال فيها ، فلما انتهت تلك المأساة بالهزيمة ، بعثت في المانيا امرأة جديدة تطلب حق التصويت والنيابة والمساواة مع الرجل في كل شيء ، وقد نالت المرأة هناك كل مطالبها في المجتمع الوطني الذي عقد في « فيمر » لوضع دستور الجمهورية ، ومنذ ذلك الحين لم تتوان المرأة الالمانية عن العمل للمصلحة العامة

تقدمت النساء الالمانيات الى ميادين السياسة والشؤون العامة بعد حرمان طويل ، الا انهن لم يؤلفن هيئات نسائية لمقاومة الرجال والتصادم معهم ، وانما انتمت كل امرأة الى الحزب الذي مالت اليه ، وعملت معه في سبيل المانيا والمصلحة العامة ، لا في سبيل المصلحة الشخصية والمطامع الحزبية . ولما انجلت غمرة الفوضى الاولى عقب الحرب واستقر الامر للحكم الجمهوري ، كانت غاية النساء ان تحتفظ المانيا بثباتها الاقتصادي ، وان تبعد عن كل ما من شأنه ان يؤدي الى انقسام البلاد الى احزاب متطاحنة ، ولقد زاد عدد النساء في الاحزاب السياسية زيادة اضطرت الرجال ان ينتخبوا منهن عدداً كبيراً لمجلس الرخستاغ ، وقد اضطلعن بالشؤون العامة والنيابة احسن اضطلاع ، وهن حازات على اوفر قسط من الثقافة والخبرة والعلم الصحيح ، مما يجعلهن اهلاً للتبعات الملقاة عليهن

\*\*\*

وحين قيل لي ان المرأة الالمانية هي التي انتخبت هندنبرج لرئاسة الجمهورية لم اكد اصدق الخبر ، واخيراً اثبت بحجي صحة هذا القول

ففي تلك الفترة التي سادت فيها الفوضى في البلاد الالمانية وخيف عليها من تسرب سموم البولشفية اليها ، خشيت المرأة سوء العاقبة وأدركت شدة الحاجة الى قائد حاكم شديد الارادة يتولى شؤونها في تلك الفترة الحرجة ، فاجتمعت مندوبات من مختلف الهيئات النسائية واتفقن على الترويج لهندنبرج ، نظراً لمواقفه الشريفة والجريئة ، ولعمله الصامت في سبيل مصلحة البلاد ، وقد سعت النساء لهذه الغاية بهمة حتى نجحن في ذلك . ومع ان عدد النساء اللواتي اعطين اصواتهن لهندنبرج لا يزيد على عدد اصوات الرجال ، الا أنه قد ثبت ان آلافاً من المنتخبات اقترعن لهندنبرج بالرغم من انهن تابعات لاحزاب اخرى مضادة له

\*\*\*

ولما زادت خبرتي بالمرأة الالمانية ادركت ان مرجع نجاحها هو ذلك العزم الذي تبديه في كل ما تضطلع به من الاعمال واليك المثل



كانت « فرو مند » المرأة الوحيدة بين اعضاء مجتمع « فيمر » سنة ١٩١٩، وهي التي ساعدت سترزمان على انشاء حزب الشعب عقب الثورة . وكان بين اولئك الاعضاء رجل له ماضٍ حافل في خدمة الحكومة الملكية ، وكان من خصوم المرأة ، فقال « لفرو مند » في احدي جلسات المجتمع . « انا لا استطيع ان ارى ما الفائدة من وجود امرأة في مجلس تشريعي ؟ » فردت عليه « فرو مند » بقولها : —  
« وأنا لا استطيع ان ارى ما فائدة وجود وزير من طراز الماضي ... في مثل هذا المجلس ...  
وعليك ان تنتظر حتى ترى ... »

والواقع انه لم يحتاج الى طويل انتظار حتى يرى ... ذلك انه حين رشح « ايرت » للرئاسة، اجتمع مجلس حزب الشعب وحزب الوطنيين للبحث في هذا الترشيح ، اذ كان كلا الحزبين خصوماً لا ييرت هذا ، وكان الحزبان يريدان ترشيح رجل آخر إلا ان « فرو مند » لاحظت على ذلك بأن مرشح الحزبين سوف لا ينال من الاصوات ما يكفل له النجاح ، فارتأت اعطاء كافة الاصوات « لا ييرت » حتى يفوز اذ كان الرجل ، بالرغم من الخصومة السياسية ، معترفاً له بالفضل والمقدرة . ولقد قابل رئيس المجلس اقتراح المرأة ... بشيء من التهمك : — كيف يصح لامرأة ان تؤخر قراراً نهائياً من قرارات الحزب ... الا ان « فرو مند » انتظرت حتى جلسة بعد الظهر فلما حضر اثنان من كبار انصارها طرحت اقتراحها وعزته وفازت بالتأييد وانتخبت « ايرت » . ثم ذهبت الى ذلك الرجل وقالت له « هل طال بك انتظارك ؟ وهل رأيت فائدة المرأة في المجالس التشريعية ؟ »

\*\*\*

واسم الدكتورة ماري اليصابات ملء الاسماع في المانيا ، فلقد ادخلت على تشريع البلاد من القوانين اكثر مما ادخله اي رجل في الرخستاغ وهي التي دافعت عن حقوق النساء المتزوجات في خدمة الحكومة لما اقترح الاستغناء عنهن بحجة زيادة عدد الرجال العاطلين ، مستندة في دفاعها الى مبدأ التساوي التام بين المرأة والرجل في المانيا . وقد كادت ماري ان تنجح في مشروع قانونها لولا انه رؤي اخيراً ضرورة افساح المجال للرجال بطريقة لا تؤذي النساء المستخدمات في تلك الحكومة ، فاقترحت ماري ضمان تقاعد لكل من يستغنى عنها حتى تجد عملاً أو باباً آخر للرزق ، وقد اثار هذا الاقتراح الاخير زوبعة في الرخستاغ ، فاختلف وزير المالية بصاحبة الاقتراح وقال لها انه سوف يستغنى من منصبه اذا هي لم تسحب اقتراحها أو ان هو قبيل في المجلس ، فاجابته ماري : —  
يسؤني استغفائك ولكن هذا لا ينفي انه يوجد كثيرون غيرك يستطيعون القيام بما تقوم به انت به في منصبك ...



وقد طرح اقترح ماري امام المجلس وقبل . . . واستغنى وزير المالية وحل غيره محله  
ومن ضمن القوانين الاخرى التي ادخلتها هذه النائبة ، قانون يختص بتعديل الجزاء  
النصوص عليه في حوادث منع الحمل ، وبالرغم من صرامة هذا القانون الذي ايدها فيه جميع  
الهيئات النسوية ، فقد قبل في المجلس بشيء من التعديل

وهي مقترحة قانون « لبن الامهات » . فلقد ارتفعت نسبة الوفيات بين الاطفال في المانيا  
بعد الحرب ارتفاعاً ملحوظاً بسبب الحاجة الى الغذاء ، فوضع هذا القانون لمنح الامهات الفقيرات  
حق تناول اعانة لشراء اللبن الكافي لاطفالهن ، وبهذا العمل النبل والخطوة الفاضلة ، نقصت  
نسبة الوفيات بين الاطفال هناك نقصاً ملحوظاً وتحسنت صحتهم ايما تحسن

وهناك « فرو الديكا شيدل » وهي تمثل قدرة المرأة الالمانية على الاعمال الشاقة . . . فهي  
ناقة بالرخستاغ ورئيسة مدرسة مالية من مدارس البنات ، وقد كانت الاولى بين نساء المانيا  
من حزن مثل هذا المنصب الخطير

وفي فصل انعقاد الرخستاغ ، نهضت من فراشها الساعة ٦ صباحاً وتشريع ترسم برنامج  
اليوم ، ثم تقرأ رسائل البريد وترد عليها ، وتباحث مع موظفيها ، ثم تدرس درسين في  
العلوم الرياضية العالية ، وتذهب لحضور جلسات لجان الرخستاغ الساعة ١٠ صباحاً ، وعند  
الظهر تسرع لتناول طعاماً ثم تذهب لاعطاء درس آخر في الرياضيات العالية ، واخيراً تعود  
الى جلسات الرخستاغ المسائية الساعة ٧ مساءً

وهي في الحقيقة امرأة عظيمة

وهي في الجملة أن المرأة الالمانية قد اثبتت مقدرتها ، وبرهنت على جدارة تلعة لنيل جميع حقوقها  
التي فازت بها والتي وضعها مع الرجل في مستوى واحد . وليس من ينكر عليها ذلك غير جماعة  
الرجعية . وقد ذكر لي احد اولئك الرجعيين ان المرأة الالمانية كانت تستطيع القيام بنصيبها  
من الشؤون السياسية العامة وهي في منزلها دون حاجة الى هذا التبذل الملحوظ عليها اليوم . . .  
ولاحظ ان المرأة الاسبانية الحكيمة . . . تؤثري في سياسة بلادها وهي في منزلها عن طريق  
على ما لها من المكانة عند رجلها . . . اكثر من اية امرأة اخرى . . .

فقلت له ان صح هذا الذي تقول فن واجب الالمان ان يحمدا الله على عدم حكمة . . .  
لسألم وما جلبت من خير على بلادهم اذا هي قيست بحكمة . . . نساء اسبانيا وما جلبت على  
بلادهم من فوضى واضطراب . . .

والله اعلم بالصواب



## كيف نعيش في صحة جيدة

للدكتور ليب شحاته

— ٢ —

الراحة والنوم

يتكون في العضلات حامض يدعى الحامض البنيك وافرازات اخرى نتيجة عمل الخلايا وهذه تتجمع في اثناء العمل وتقرز تدريجياً ولكن مع المجهود اليومي لا يمكن للجسم افرازها بمجرد تكوينها طول اليوم فتتجمع بين الخلايا وفي الدم فاذا جاء نهاية اليوم شعر الشخص بميل الى الراحة والنوم نتيجة وجود هذه الافرازات. وما التثاؤب الا محاولة من الجسم لاختمقدار كبير من الهواء (ومعه الاوكسجين) لكي يساعد على احتراق هذه الفضلات والتخلص منها. وفي جميع الامراض الراحة اهم وأول ما يصفه الطبيب واذا ضمنت للمريض النوم الهادى فقد ضمنت له نصف الشفاء. فالنوم ضروري للجسم لاعادة نشاطه. والنوم غريزة طبيعية في الانسان ورثها عن اجداده الذين كانوا يسعون طول اليوم للحصول على غذائهم فاذا جاء الليل كنوا في كهوفهم اتقاء الحيوانات المفترسة ولما لم يكن عندهم عمل يشغلون به ذلك الوقت اضطروا الى النوم. ويوجد اصناف كثيرة من الناس والحيوانات تختلف عاداتهم في النوم اختلافاً كثيراً فبعضها ينام طول اليوم ويسعى في الليل وبعضها لا ينام تقريباً مدة فصل الصيف وينام طول مدة الشتاء. وتختلف حاجة الانسان الى النوم باختلاف سنه وعمله وحرارة الجو الذي يعيش فيه فالطفل من ٤ - ٦ سنوات ينام ١٢ ساعة في الليل وساعة في النهار ومن ١٢ - ١٤ سنة ينام ١٠ ساعات تقريباً بالليل ولا ينام نهاراً ومن ١٤ الى ١٨ سنة يكفيه نوم ٩ او ١٠ ساعات من الساعة العاشرة الى السابعة صباحاً وليس بين الساعة الواحدة صباحاً والحادية عشرة وفي سن الثامنة عشر يكفيه ثماني ساعات للنوم ولكن بعض الناس يكتفي بأقل من ذلك بكثير. ويقال ان جلادستون لم ينام اكثر من اربع ساعات مدة سنوات ويوجد مثل قديم يقول ٦ ساعات للرجل وسبعة للمرأة وثمانية للابله. والشخص النشط عادة لا يقضي وقتاً كبيراً في النوم ولكن من الغلط تطبيق هذه القاعدة على الاطفال وهم في سن النمو فكثرة السهر وقلة ساعات النوم أو النوم المضطرب لا يدل على اجتهادهم وكثيراً ما يكون سبباً في سقوطهم وتأخرهم في الدراسة. ويختلف الناس كثيراً في نومهم فالبعض ينام نوماً هادئاً بمجرد اضطجاعه والبعض يأرق كثيراً وينام نوماً مضطرباً ويرجع اضطراب النوم غالباً الى شدة التعب اثناء النهار وخصوصاً قبل النوم فيحسن جداً تعويد الطفل النوم في ساعة خاصة فيمكنه اذا جاء وقت راحته ان ينام نوماً هادئاً ويجب ان تكون الغرفة حسنة التهوية وان يكون الفراش مريحاً وبعيداً عن الضوضاء



والارق ثلاثة أنواع (١) يقضي فيه الشخص مدة طويلة في الفراش حتى يغلب عليه النوم (٢) يكون النوم فيه مضطرباً تكثر الأحلام المزعجة (٣) ونوع يبتدىء فيه النوم هادئاً ولكنه لا يستمر ويصحو الشخص مبكراً جداً ولا يمكنه النوم ثانياً. والارق غالباً نتيجة عوامل مرضية او نفسية فبين العوامل المرضية التي تسبب الارق والالم وضيق التنفس والسعال والحكة نتيجة احدى الامراض الجلدية او بسبب لدغ حشرات او ارتفاع في درجة الحرارة او عسر الهضم او تغيير في الدورة الدموية . ومن العوامل النفسية شدة التعب او التخيلات العقلية او الجنون او الهم او الخوف او الحزن . ولكن شدة التعب لا تسبب بمفردها الارق غالباً ولكن دائماً يتبعها الهم وشدة الانتباه التي تسبب الارق . وفلة النوم مع التعب تجعل الشخص في حالة عصبية سيئة وقد عملت بعض محارب على حيوانات في احدى جامعات اميركا لمعرفة تأثير عدم النوم عليها فوجد انها بعد مدة تختلف باختلاف الحيوان يحدث لها اعياء ينتهي بالموت وقد وجد ان اقل مدة سبعة ايام وأقصاها ٣١ يوماً وقبل حدوث الاعياء تنزل درجة الحرارة ويرتفع جفاة عدد النبض ثم يهبط جفاة ايضاً وتقل حركة التنفس وتنتهي الحالة بالموت وقد وجدت ايضاً تغيرات بينة في خلايا الجهاز العصبي ولتضمن نوماً هادئاً مريحاً (١) حول وجهك دائماً عن النور (٢) واجعل هواء الغرفة بارداً واذا كان بالغرفة جهاز للتدفئة انقله قبل النوم واطرها مفتوحة مدة حتى يتحدد هوائها ولا تجعل سريرك ملاصقاً للحائط أو في احد زوايا الغرفة (٣) ولاحظ دائماً ان يكون عليك غطاء كاف - فالدفء ضروري للنوم واذا كانت قدمك باردين فاغمرها بماء ساخن قبل النوم أو ضع في فراشك زجاجة ماء ساخن فهذه الطريقة يتجمع مقدار كبير من الدم في الرجلين والاقدام فيقل مقداره من الرأس فتشعر بميل الى النوم (٤) نم دائماً في ميعاد ثابت وقم في ميعاد ثابت ايضاً ومن الخطأ ان تنم بعد ميعادك حتى في ايام راحتك وأحسن بكثير ان تقوم في ميعادك وبعد الفطور نم ثانياً اذا اردت (٥) اجعل فراشك مسطحاً فان الفراش المقوس لا يريح الجسم من تعب النهار (٦) القراءة أو المطالعة في الفراش عادة سيئة فانها تعب عضلات العين ويجب ان لا تعمل شيئاً قبل النوم مباشرة خصوصاً اذا كان عملاً عقلياً فبذلك يقل الدم الموجود بالمخ وتقل الاحلام التي تزعج نومك . والراحة الزائدة خصوصاً في احوال الاشخاص المتقدمي السن خطرة وقد تعجل مواسم فرج الاعمال اذا تقدم في السن واضطرت له الى ترك عمله والاستكانة والمعيشة عيشة البذخ والراحة يذبل سريعاً كما في احوال الاشخاص الذين يحالون على المعاش فكل الم او مرض بسيط يصيبه يسبب انتباهه الشديد اليه ويثير همه وخوفه فحالة نفسه دائماً في توتر شديد تزيد ما به من مرض ولو كان بسيطاً



# مكتبة المقتطف

رسالة باريس

بشير فارسى

## تأليف المستشرقين

في الفن الاسلامي

Manuel d'Art Musulman — Editions Picard

اني حدثتك لخسة اشهر خلّون عن البنيات في الفن الاسلامي وبسطت لك ما انتهى اليه واحد من المستشرقين في فحسه عنها، ودعني اليوم احدثك عن جانب آخر من الفن الاسلامي ان المسيو ميجون Migeon مدير المتاحف الوطنية في فرنسا ألف كتاباً بحث فيه عن التصوير الزيّني في الاسلام وعن النحت والحفر وضرب السكك وصناعة السلاح والصفاية وصناعة النحاس والزجاج والعاج والفسيفساء والفخار ونسج الحرير وتطريزه وحياته الطنافس والسجادات . وقد بسط الرجل اطراف بحثه على جميع الاقطار الاسلامية منذ الهجرة حتى القرن التاسع عشر . فعمل كتاباً جامعاً غزير المادة . ولقد قرّب مناله بصور زيّنة بها تبرز الفن الاسلامي رافلاً في حلله فن رسوم دقيقة (Miniatures) تمثل احداها مقامة من مقامات الحريري واخرى مشهداً من مشاهد شاه نامي وغيرها فصلاً من سيرة النبي ، ومن صور تدل على صناعة النحت في مختلف اشكالها فهنا محراب جامع قرطبة وهناك باب جامع بروجوان في القاهرة ، ومن ادوات مصنوعة من العاج مثل أسفاط ومقابض سيوف ، ومن تماثيل برز وحديد ، ومن دراهم ودنانير من فضة وذهب ، ومن انواع السلاح بين صوامر اندلسية وخوذات تركية الى غير ذلك من رسوم ما لحسنها غاية

ثم اني لا أعجز ان اسوق لك كل ما يضمه الكتاب بين دفّتيه الا اني ارجو في ان اقلبك على باب من ابوابه موضوعه تأثير الفن الاسلامي في مناحي فن الغرب واليك خلاصته ظل هم الافرنج في العصور المتوسطة اقتباس فن التزيين (l'art décoratif) عن العرب فأول ما اقتبسوا منهم صوروا تلك الشجرة التي مثلها العجم والكلدان يون غير موقوف جفولها رمزاً للمعرفة والحق قديماً حتى اخذها عنهم المسلمون ورأوا فيها شجرة الجنة . ثم اقتبس



الافرنج هيئات الحيوانات فصوروا الفيل على دعائم يسعهم وعلى جذرانها صوروا الطير ذات الرأس النسائية وعلى ابوابها مثلوا الباز ذا الجانحين المبسوطين والباز ذا الرأسين . ثم اقتبسوا الوردة المنمقة ( la fleur stylisée ) . ثم قلدوا المسلمين في كتابتهم فعملوا الجدران والابواب بخطوط كوفية مشوهة . وكان الافرنج لا يقبلون على اساليب الفن الاسلامي لمجالها بل لعجزهم عن ان يمثّلوا الطبيعة فاستسهلوا الاقتباس والتقليد . واما نقل زجاجات الكنائس الغربية عن الاسلام فمن الراجح في الرأي أن موضوعاتها اخذت عن اشكال السجادات وعن قطع الحرير المطرزة

ولم يكن تأثير الفن الاسلامي في الفن الغربي مقتصرأ على العصور المتوسطة فانه تجاوزها حتى ايام النهضة ولا سيما في ايطاليا الجنوبية فان في بيعها منابر ومراقي قريية من فن المحارب المصرية وفي مدافنها قبباً تشاكل التراب المراكشية . وبالمجمل ان الافرنج دسّوا في فنهم وهم قوم تأمل حينذاك ما بين اطواء الفن الاسلامي من اسرار واحلام ومخيلات ممثلة في براعة وحذق

### كتاب في آداب الحسبة لابن السقطي

Un Manuel hispanique de Hisba — Editions Ernest Leroux.

كانت الحسبة أول الأمر وضعاً دينياً . وكان المحتسب يراقب الاخلاق العامة وكان فقيهاً في الدين عالي الهمة عدلاً . ولما انتقلت الجمعية الاسلامية من دور البساطة الى دور التعقيد نشأت النظام الاجتماعي وهيأت له منازل ومراتب فالتسع لطاق حياتها وانفسحت رقعة اعمالها فاحتاجت الى ما لم تكن في حاجة اليه من قبل ففرقت بين الكبار الدينية والجنائيات المدنية والجنح التجارية فاتفق للحسبة على هذه الحال أن تنصرف الى الحياة العملية ومن يرجع الى بعض تأليف العرب في الحسبة مثل الاحكام السلطانية للماوردي ومقدمة ابن خلدون يز ان الحسبة على قسمين احدهما ديني والاخر عملي . واما القسم الديني فقام على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واما القسم العملي فموقوف على مراقبة الباعة ومنعهم من الغش في الكيل والميزان وردهم عن مخادعة الناس في معاملتهم ، وعلى مقاومة النقابات واضعاف شأنها وتثبيط امنائها عن عزهم ، وعلى تفقد شؤون الصناعات وزجرهم عن ممانعة الناس في حوائجهم

والكتاب الذي بين يدينا الآن يتبسط في القسم العملي واليك ابوابه منقولة من غير تحريف : « في الكيل والكيالين . في الوزانين والموازن . في عملة الدقيق والخبز وباعتهما . في ذابحي الجزور وبأعي اللحم والحوث وانواع المطبوعات . في العطارين والصيدالة . في باعة العبيد والخدم . في الجلاسين . في الصناعات وصنائعهم »



على أن هذا الكتاب غزير المادة مع صغر حجمه يخبرنا عن الحال الاقتصادية في الاندلس ويطلعنا على شيء من تاريخها فيضيف الى غرر التمدن الاسلامي غرة أخرى . وصاحب هذا الكتاب يدعى ابا عبد الله محمد بن ابي محمد السقطي المالقي وكان محتسباً في مدينة مالقة في زوال القرن الحادي عشر

ولا بد لنا ان نخبرك بان معلمين فرنسيين عنيا بنشر هذا الكتاب فأحكما ابراهه وتعهدا بالتبصر والاستقصاء ثم اضافا الى النص العربي بحثاً مسهباً عن لغة الكتاب فبسطا كيف حرف ابن السقطي كلمات فصيحة اذ يمر حرفاً من حروفها ( مثل طيحال بدلاً من طحال ) ويقصر آخر ( مفاتيح بدلاً من مفاتيح ) وكيف يشتق كلمات على اوزان مختلفة ( مثل طنزية بمعنى المزاح وخدامه بمعنى خدامين ) وكيف يؤنث المذكر ( السقيف التي . . . ) ويذكر المؤنث ( الفخذ الثاني ) وكيف يخلط بين حروف الجر وكيف يعرب كلمات رومانية ( مثل بلاجه واقليلال ) وبربرية ( مثل مليلس )

ولما فرغ المعلمان ( Colin et Lévi-Provençal ) من فقه اللغة عمداً إلى شرح الكلمات والعبارات التي استعملها ابن السقطي على غير وجهها وفي النهاية لا يسعنا إلا أن نشكر للمعلمين ههما وان نرغب اليهما في نقل الكتاب الى الفرنسية حتى يقف عليه اصحاب علم الاقتصاد فيفسحوا في بحوثهم مكاناً للحضارة العربية

مرا كبي النيل

Le batalier du Nil — Editions Grasset, Paris.

إن الاستاذ ( اليان فينير ) Elian J. Finbert اسكندري المنشأ ذائع الصيت في الاندية الادبية بمصر . على أنه في مقدمة الكتاب الفرنسيين ولتا كيفه مكان عظيم عند القراء هنا . وله قصتان مصريتان احدهما عنوانها حسين والاخرى عنوانها مرا كبي النيل . وقد تقدمت الاولى في مجلتنا هذه لسنة مضت . واما الثانية فاني عازم على نقدها لساعتي :

اني والله لم اقرأ قصة مصرية باللغة الفرنسية تذهب الى ذلك التحليل الدقيق ففيها من التتبع للعادات ومن البحث عن الاخلاق ما يسحر العقول . ثم فيها من الوصف للطبيعة المصرية بين مدن وقرى وعزب ما يقف الانظار ساعات

ثم انه يزين هذه القصة تلاؤم اطرافها وحسن انسجامها واما عباراتها فجزلة واما الفاظها خفيفة المحمل على السمع . ولا شك عندي ان الفقرة الاخيرة من القصة عنوان البيان وحقيق بصاحبها ان يعدّه الناس من نخبة القصاصين في فرنسا

غير اني وددت لو أمعن الاستاذ ( فينير ) في البحث احياناً فينما الاوربي يظن انه ذهب



في التحليل الى الغاية اذ المصري يفتن لنقص فيه . واليك مثلاً : ان الاستاذ فنبير يصف لنا مجلس حشاشين . فانه وان حدثنا عن « الجوزة » وعن « الصطلة » وعن « الأفيثه » ليعجز عن ان يمثل لنا « غرزة » مصرية ماثلة الاغراض كاملتها لانه لم يتعرف تأثير الحشيش في أصحابه « من الداخل » على قول الفلاسفة . ثم ان في تلك القصة موضعاً آخر للنكير ذلك ان الاستاذ فنبير ينطق المصريين ما لا يدور على ألسنتهم كمثل « ان شا الله فليفل الحسد بحرقك » او كنت تحتشي « زي تلميذ » وهذه العبارة الاخيرة فرنسية ونحن نقول في مصر « فلان تحتشي زي البنت »

## كتب في الادب الفرنسي

انتصار الطب

Knock — Editions du Sagittaire, Paris.

هذه قصة تمثيلية اتيح لي ان اشاهدها قبل ان اقرأها وهي على جنبات المسرح خير منها في صفحات كتاب لان مؤلفها عول على هيئات اشخاصها ليخلب الباب المشاهدين وموضوع القصة ان طبيباً شيخاً استخلف في قرية يزاول فيها صناعته طبيباً شاباً . وكان اهل القرية من اشد الناس بغضاً للطب ومن اقلهم اقبالاً عليه . فلما استقرّ الطبيب الشاب في القرية اخذ يجلب أهلها اليه بالرغم منهم اذ جعل في كل اسبوع يوماً يستطبه المرضى فيه مجاناً . فكان يأتيه الاصحاء ويشكون ادواء ليست بهم . فكان الطبيب يهولها عندهم دهاء . فأسمى الناس كلهم مرضى وهما . والذي زاد في وهمهم ان الطبيب عهد الى بعضهم أن يحدهم في مجتمعات عامة عن الميكروبات واهواها فنال الناس من ذلك روعة شديدة وقام في انفسهم ان الميكروبات جميعها أو بعضها بين جوانبهم وما زالوا كذلك حتى اصبحوا من اكثر الناس استسلاماً الى الطب ومن اسبقهم اليه . ثم انه اتفق أن عاد الطبيب الشيخ الى القرية فعجب مما رأى فيها وانكر اهليها فلقى الطبيب الشاب وبسط له كيف ردّ الناس مرضى ليعالجهم في سبيل نشر الطب ونصره ولم يكتمه أنه ربح في ذلك كثيراً . فاستطير الشيخ غضباً وآتهم الطبيب بالسرقة فسخر منه الطبيب وقال له ليس في الناس صحيح وما زال به حتى اوهمه أن به داءً فركن اليه الشيخ واستوصفه لدائه فوعده الطبيب بتمريضه والقيام عليه

ذلك مجمل القصة وانك لترى انها ليس فيها مرمى فلسفي ولا مرمى ادبي وأن قيامها على اسط اساليب الدجل « أو البلف والتهويش » في الطب ومن اجل ذلك لا يسع الذي



يشاهدها إلا أن يضحك ولا سيما أن المؤلف يبرز اشخاصاً يهزأ بهم حين يطلعون على المشاهدين  
 فمن فلاح عريض القفا بطيء الحس ، ومن عجوز شريفة ذاهبة بنفسها قابضة بيدها ، ومن  
 أشخاص آخرين من الميسور أن يلتمسهم كاتب في بيئة قروية  
 وختاماً انا نرى نكتة القصة فيما ذهب اليه المؤلف من التعريض بفن الأطباء والتصرّح  
 بكرم بالخلق

### قصص لافونتين

Contes de la Fontaine — La Princesse de Clèves  
 Editions le Trianon, Paris.

اشتهر ( لافونتين ) بأشعار جعلها على السنة الحيوانات ومثله فيها مثل ابن المقفع في كيلة  
 ودمنة . إلا أن للافونتين قصصاً منظومة بعيدة عن تلك الاشعار التي اذاعت اسمه . وموضوع  
 قصصه هذه المجون والفجور . وكأن الرجل اراد ان يتهم بالرجال فكاد ان يقف تأليفه على  
 هو النساء وخياتهم بعولتهن فأخذ يعرض كيف يتحولن عن الحلال ابتغاء الحرام وكيف  
 يخادعن ويداجين وكيف يخفين امرهن على ازواجهن

على ان تلك القصص وان كانت على فسق عظيم هي من درر الشعر الفرنسي ذلك ان عليها  
 ميسم الفصاحة مع سذاجة في اسلوبها ولين وبعد عن التكلف والتأنق . ثم ان ( لافونتين )  
 يقص في حذق بمخلطه اسلوب الرواية بأسلوب النقد فتارة يجعل ابطال قصصه يتحدثون  
 ويعملون وطوراً يتأملهم فيضحك منهم لاهياً او ساخراً . على ان ( لافونتين ) ذهب في مبنى  
 قصصه الى مذهبين اختص بهما : فأما المذهب الاول فنظم القصة الواحدة من محور من  
 الشعر شتى والغرض من ذلك ان يخرج القارئ من وزن الى وزن فلا تمل أذنه . وأما المذهب  
 الثاني فاستعمال عبارات مهجورة وألفاظ مماته ابتغاء تزيين القصة وتنميقها

ثم انه ليعارض مثل هذا الابتداع في المبنى ابتداع آخر في المعنى جاءت به كاتبة بارعة  
 معاصرة للافونتين ( اي القرن السابع عشر ) يقال لها ( لافاييت ) Madame de la Fayette .  
 وقد الفت المرأة قصة عنوانها ( اميرة كليف ) La Princesse de Clèves اقامتها على البحث  
 النفساني الذي عمد اليه جل القصاصين الفرنسيين من بعد . ولقد والله اصاب في فخصا عن  
 الشعور الدقيق والاحساسات الخفية في اسلوب لطيف المداخل والمخارج صحيح الديباجة .  
 والغريب في امر تلك الكاتبة انها لم تقتبس قليلاً ولا كثيراً ممن سبقها ولم تعول على احد  
 قط ، ولكن وحيّاً نزل عليها بعثها على الاستحداث في فن القصة . وما هذا الوحي الا العبقريّة  
 نفسها ومن اجل ذلك يجعلها النقاد بمنزلة خول الادب الفرنسي مثل ( راسين وموليير ولافونتين )  
 وان كانت دونهم في بعد المعاني واحكام السبك



## مجلة الدجاج

بعد مجلة « مملكة النحل »

أصدر العالم الفاضل الدكتور احمد زكي ابي شادي مجلة جديدة باسم « الدجاج » وقفها على خدمة صناعة زراعية هي صناعة تربية الدجاج . وأنشأ لهذا الغرض اتحاداً دعاه « الاتحاد المصري لتربية الدجاج » ووضع له دستوراً نشر في العدد الاول من المجلة . وفي هذا العدد علاوة على ذلك فصول تقيسة عن هذه الصناعة

ولا يخفى ان صناعة تربية الدجاج اذا وجدت نظاماً وعناية فانها تصبح من أعظم موارد الربح للفلاحين ولغيرهم ممن يشتغلون بها وهي لا تحتاج الى رؤوس أموال كبيرة ولا الى جهود فوق الطاقة بل ان اقل الجهود والاموال مع النظام والعناية يكفلان رزقاً حسناً لمشتغل بها ويتفرع على تربية الدجاج تجارة اصدار البيض الى الخارج بعد تحسين نوعه وهناك الوف من الناس يعيشون من هذه التجارة فاذا نظمت وروعي فيها الصدق والامانة اتسع نطاقها وكثر الصادر من البيض وتضاعف مصدر من مصادر الثروة العامة

هذه هي الخدمة الجديدة التي قصد الدكتور ابو شادي أن يؤديها لبلاده أو بالحري هذا هو الباب الجديد الذي فتحه من أبواب الانتاج بعد ما وقف همته وعلمه وغيرته على البحث عن كنوز الانتاج التي لم يكشف النقاب عنها بعد

والقراء يعرفون ان الدكتور أبا شادي هو صاحب الجهود الناجحة في ترقية صناعة النحلة فهو الذي وجه الانظار اليها وحرك اهتمام الكثيرين بها وأنشأ رابطة مملكة النحل ومجلة « مملكة النحل » باللغتين العربية والانكليزية وعقد مؤتمر النحل الاخير في القاهرة وهي جهود كلت كلها بالتوفيق ومع ان الدكتور أبا شادي تخرج طبيباً يعالج امراض الاجسام فقد رأى ان مصر بحاجة الى علمه وذكائه في ميدان الاقتصاد ، وبرهن على انه طبيب ماهر ونظامي حاذق ليس في الامراض البدنية فقط بل في الامراض الاقتصادية ايضاً وكما انه نجح نجاحاً باهراً في دعوته الى ترقية النحلة وانهاضها فانه لا شك ناجح في الدعوة الى تربية الدجاج وتحسين نوعه وسيجد له أنصار كثيرين يعاونونه في خدمته هذه كما وجد في خدمته الاولى فيصبح اسم الدكتور ابي شادي مقترناً بهيضة موفقة في توسيع نطاق الانتاج وحياء الصناعات الزراعية وابلاغها الى ذروة الاجادة لتكون من الموارد التي تعتمد عليها البلاد في تحسين حالتها الاقتصادية وتوفير أسباب الثروة واليسر لالوف من أهلها

ولا ننهي على الدكتور أبي شادي الأ باعماله ونتائجها التي تبعث على الاغتراب والسرور فاعماله هي التي تمدحه وتثني على فضله واجتهاده وتعلن عن اهتمامه بشؤون البلاد الزراعية وهناك فلاحها كافأه الله على خدماته الجليلة بما هو اهله



## في الحياة والحب

قصص احداها موضوعة والباقية ملخصة عن الفرنسية — بقلم احمد الصاوي محمد — طبعت بمطبعة سكر صفحاتها ٢٢٢ قطع وسط

احمد الصاوي محمد مزيج طيب من الصحافة الراقية والادب الصحيح تعلوه مسحة من الشعر . اما الصحافة فلعلهُ الوحيد بين الصحفيين المصريين العاملين ، الذي تعلم اصول الصحافة في مدرسة . وأما مزج الصحافة بالادب فدلّيك عليه خروجهُ من الطريق المعبّد مثلاً في وصف الحفلات العادية بألفاظ اصبحنا نخل رؤيتها لكثرة ترديدها في كل مقام ، الى نوع من الوصف تختلط فيه الحقيقة بالخيال ، في قلب أخذ من الرواء يستدرجك ويقسرك على الاطلاع على الحوادث العادية المملولة — كحفلات التكريم مثلاً ! ولو ان في مصر جائزة صحفية تمنح للمتفوق من المقالات التي تنشرها الصحف في وصف الحفلات العامة — كاحدى جوائز بلنزر الاميركية — لنالت مقالة الصاوي التي كتبها في وصف الحفلة التي اقامها الدكتور محمد شرف بك في يناير سنة ١٩٣١ — لتكريم الدكتور علي باشا ابراهيم باسم المجمع المصري للثقافة العالمية — هذه الجائزة . ولا ريب عندي انها لا تقل عن أية مقالة من نوعها في صحف الغرب

اما الشعر فن ادل دلائله الكآبة التي تلمسها في حديثه وتبينها في كل سطر من سطور القصة « عائدة » التي افتتح بها هذا الكتاب بل ان جوّ القصة من اولها الى آخرها هو جوّ شعري : « احببتها لذلك الحزن العظيم ... نعم . هو حزنها الذي ربطني بها . هو ذلك البكاء بلا دموع الذي كان ينسكب من جفونها قد جعلني اتعلقها . هو ذلك النقاب الشفاف من الالم الذي كانت تطالع الناس به فلا تفهمه الا النفوس المعذبة والارواح الخائرة .. كان ألمها الإخرس يناديني » وقوله : « ثم تعانقنا عناقاً لذيذاً كنوم السحر ، هنيئاً كالحم بالمجد والغنى شديداً لأن فيه من السخر ومن الغل والشماتة بالحياة .. وفيه من الانتقام لوحشة سابقة وفرقة لاحقة .... وسقطت عائدة بعدها على البساط وراحت في انحاء .. وكشف ذيل قميصها عن لحمها الوردي العطري وأقبلت الشياطين فجلسن في دائرة حولي تحرق البخور وتضرب الناي . وأشاحت الملائكة بوجوهها وولت الادبار جزعاً ... » ولكن الضمير الوازع عصاه وقام كالحائط امامهُ فنادها ان انهضي فقامت « كالغصن المنكسر » ... وخرج « وكانت جنّتي وخرجت منها . . . » . اما بقية قصص الكتاب فيقول فيها خليل مطران في المقدمة « في حسن اختيارها ، وبراعة تلخيصها وقوة التدبر لا نزاع للباب منها ، ولطف الاسلوب في الاداء ، ومحاكاة المؤلف حتى في طريقته البليانية ما يجيز لي القول بلا خشية المغالاة . ان « الصاوي » بعد ان اهدي الى اللغة العربية تحفة بأقصوصته الموضوعة اهدى اليها تحفاً من الكتب الملخصة . ومما يسر ان مطبعة سكر قد تعاقدت مع الاستاذ الصاوي على ان يقدم لها اربعة كتب كل سنة . فنتمنى لهذه المكتبة الناشئة النجاح ، لعل نجاحها يكون مقدمة لصناعة النشر كما تفهم في اوربا وأميركا



## منابت الصهيونية

تأليف توفيق قربان — ويلها قصص اجتماعية منقولة — صفحاتها ٩٨ قطع وسط طبعت في البرازيل  
والثمن ١٠٠٠ برازيلي او دولار في الخارج

القصة الاولى التي عنوانها « منابت الصهيونية » قصة تاريخية مقتبسة من التوراة  
« لتحليل الغريزة الصهيونية الموروثة من اقدم العصور » كما يقول المؤلف. وهي في الغالب  
فصة خروج بني اسرائيل من مصر، كما يفهمها مؤلف عصري وعي اغراض الصهيونيين  
واساليبها ولم يسغها. وفي القصة قطع من التهمك اللاذع والوصف البليغ والملاحظة الدقيقة : خذ  
مثلاً قوله صفحة ٢٠. « سرقة ؟ كلاً يا اخي فعليك ان تميز بين اخذ مال ابن جنسك واخذ  
مال الغريب. فاخذك المال العبراني سرقة ولكن اخذك المال المصري حلال. هذا اسمه سياسة. ولا  
اعني مال المصري وانتهينا بل مال كل غير اسرائيلي ». وهو تهكم لا ذع على حرص الاسرائيليين  
في جمع المال وسخرية من لفظ « سياسة ». اوخذ قول هرون لبني اسرائيل مثلاً على الثاني :  
« ان قرون الاستعباد اخذت جذوة الحرية فيكم والخنوع الدائم جعل طلوع شمس الحرية جريمة  
في عيونكم . حتى لو انكم احببتم ان تحملوا بالحرية ما كانت لكم من دمكم قوة تساعدكم على التمتع  
بالحلم اللذيذ ... اما نار الاستقلال التي كانت تتأجج في صدر كبارنا وهم في البادية لا تزال  
في صدوركم بقية لا تحسونها لان رماد العصور يغطيها . على انكم متى عدتم الى البادية ، متى  
تنشقتم هواء الحرية، متى ذقتم ثمارها، متى استراحت اذانكم من تلقي الاوامر من غريب الجنس،  
عندئذ يعود الدم الحر الى الدوران في عروقكم وتصبح شرارة الحرية ناراً ذات ضرام .... »  
ولكن المؤلف جعل من موسى في قصته هذه رجلاً لا يتفق وصورته التي رسمت في  
التوراة . فانه اسند معظم أعماله الى بواعث دينية ، فهو يريد ان يجعل السيطرة للاويين سبطه  
الخاص ، وان يجمع ذهب الاسرائيليين له ولذويه باساليب من الشعوذة والدجل ، تفلح في  
شعب ساذج، ولكنها لا تتفق مع روح الرجل الذي يطمح الى ان يحرر قوماً باسره. ثم ان المؤلف  
يذكر « الغريزة الصهيونية الموروثة » ونحن نظن انه لا يجد عالماً يقره على ان ثمة « غريزة  
صهيونية موروثة » بالمعنى البيولوجي ، اي ان عواملها مستقرة في كروموسومات اليهود دون  
غيرهم. وانما لاجدال في ان هذا الذي يدعوه المؤلف غريزة صهيونية هو بمثابة تقليد اجتماعي ينقل  
من جيل الى جيل بالاقتباس والتلقين وغيرها من عوامل الوراثة الاجتماعية . يضاف الى ذلك ان  
العبارة الاخيرة في القصة شوهدت محاسنها الفنية ، فانها اخرجت القصة من كونها قطعة فنية كاملة  
بذاتها الى دعاية صريحة ضد الصهيونية . وهذا مالا يميزه اصول الفن القصصي

وقد اجتهد المؤلف في وضع الفاظ جديدة نعرضها من غير ابداء رأي فيها على جمهور  
القراء والادباء . فقد استعمل « الاستصمام » لـ Concentration والوفادة لـ Diplomacy

والنشرة لـ Propoganda والانهياء لـ Genii أو Genios



# بَابُ الْخَبَرِ الْعَلِيِّ

## ما يجب ان تعرفه عن

مؤتمر نزع السلاح بجنيف

### جو المؤتمر

من مفارقات الحياة ان تحمل الينا البرقيات في آن واحد انباء الحرب في الشرق الاقصى واعمال مؤتمر نزع السلاح الملتئم في جنيف. اما بواعث الحرب في الشرق الاقصى فعديدة معقدة ، اشرنا الى طرف منها في المقال المنشور في هذا العدد نقلاً عن الفيلسوف برتراند رسل وسوف نوفي الباقي حقّه في اعداد تالية

اما مؤتمر جنيف فالبواعث عليه بيّنة جليلة . لقد اصبح التزاحم في التسلح بين الدول عملاً كبير النفقات وينطوي على اخطار تهدد العمران . فجيوش الامم العاملة الآن تبلغ نحو اربعة ملايين ونصف مليون جندي يضاف اليها نحو مليوني جندي خاضعة لقواد الصين وحكوماتها . والطائرات الحربية التي تملكها الدول العشر الكبيرة ١٢٠٠٠ طائرة او تزيد . والبوارج الحربية اربعة آلاف بارجة مجموع محمولها نحو ٥٣٠٠٠٠ طن . ويقدر ما ينفق على الاسلحة الحربية والجيوش المختلفة بثمانئة مليون جنيه يقابلها ٥٠٠ مليون جنيه

### قبيل نشوب الحرب الكبرى

وقد اجتمع في جنيف مندوبو ستين امة ليحاولوا الوصول الى اتفاق على تحديد قوى الجيوش والاساطيل البحرية والجوية . اجتمعوا في ازمة مالية آخذة بخناق العالم ، لا يخفف وقعها الا العمل الدولي المشترك . لقد انهيار نظام التعويضات — انهياراً وقتياً على الاقل — واشتدت سواعد هتار وانصاره في المانيا اشتداداً اقلق فرنسا ، وتطايّر شرر الحرب من الشرق الاقصى لوقوع الواقعة بين الصين واليابان

ما اثر كل هذه العوامل في مؤتمر جنيف ؟ هل تحمل الضائقة المالية حكومات الدول المختلفة على الاقبال على الاقتصاد بنقص اسلحتها البرية والبحرية والجوية ، او يحملها اضطراب الاحوال السياسية في اوربا الوسطى والشرق الاقصى على التظاهر والمساومة وهي لا تنوي فعلاً اي نقص او اي تحديد ؟ هل تؤخذ مجازفة اليابان في منشوريا والصين دليلاً على انه لا بد من عقد معاهدات جديدة



١٢ سنة فصرحت ان نقص السلاح لا يستطاع إلا اذا زادت ضمانات « السلامة ». ولما كان هذا هو المبدأ الذي تجري عليه معظم دول أوروبا ، فمن الواضح ان مؤتمر جنيف ، لا يستطيع ان ينظر في وسائل نقص السلاح إلا اذا اتفقت اعضاؤه على ان هذا النقص ممكن أولاً . فاصحة مسألة « السلامة » التي يصر الفرنسيون على جعلها اساساً لكل نقص في التسلح ؟ وما الوسائل التي اقترحت لحلها ؟ وما المسائل الثانوية التي سوف يواجهها المؤتمر في اثناء انعقاده ؟

مسألة « السلامة »

ترى الحكومة الفرنسية انه لا بد من « تنظيم السلام » على اساس راسخ توطئة لاي بحث مجد في نقص السلاح . وقد حاول بعض المشتغلين بالشؤون العامة مراراً « تنظيم السلام » على هذا الاساس في السنوات التي تلت الحرب الكبرى ومعاهدة فرساي . فذكرها وذكر الاعتراضات التي وجهتها اليها حكومة فرنسا يكفيان لبيان ما تقصده فرنسا « بضمان سلامتها » الذي تجعله اساساً لكل اتفاق على نقص سلاحها

✽ فرساي ✽ ان في عهد جمعية الامم ، الذي كتب في مؤتمر الصلح ، ما يضمن مساعدة فرنسا أو غيرها من اعضاء الجمعية في حالة الاعتداء عليها أو تهديد سلامتها . وهذا الضمان منصوص عليه في البندين ١١ و ٢٠ من عهد جمعية الامم وخصوصاً في البند

ضمانة سلامة الامم المتعاقدة ، او تؤخذ تسويةً للمضي في زيادة التسلح لتحقيق هذا الغرض ؟ هل التسلح ومال التعويض مسألتان مختلفتان ، او هما وجهان لمسألة واحدة ؟

فالمشكلة كما ترى معقدة كل التعقيد . ولذلك لا ينتظر ان يأتي المؤتمر بنتائج سريعة نهر الانظار وتستولي على صفحات الجرائد الاولى

اما المسألة الاساسية التي تدور حولها مباحث المؤتمر فهي مسألة « السلامة » Security اي ضمان سلامة كل امة من الاعتداء عليها . واما المسائل الثانوية — على خطورتها — فمحورها طرق نقص الاسلحة البرية والبحرية والجوية أو تحديدها . والبحث في هذه المسائل لن يجدي نفعاً إلا اذا اتفقت حكومات الامم الممثلة فيه على المسألة الاولى فوقف الحكومة الفرنسية يتلخص في ان فرنسا قد نقصت « اسلحتها » الى ادنى حد يتفق وما يقتضيه الاحتفاظ بسلامتها في حالة أوروبا الحاضرة . وهي لا تستطيع ان تمضي في هذا النقص إلا اذا اشتركت معها الدول الاخرى في حمل تبعات السلام اي في ضمان سلامة الدول المشتركة . وهي اذاً لا تكتفي بنقص نسبي في السلاح الدولي . والواقع ان الحكومة الفرنسية ترى ان التحول يجب ان يتناول النظام الدولي قاطبةً . واذاً فالحل الاساسي يجب ان يكون حلاً سياسياً شاملاً لا حلاً فنياً ، ضيق النطاق

وقد وقفت فرنسا هذا الموقف من نحو



وانه لا يتعدى حق « المفاوضة الصريحة الشاملة »

﴿ جنيف ﴾ وفي السنة التالية لمؤتمر  
وشنطن (١٩٢٢) تلقت جمعية الامم من  
اللورد روبرت سسل اقتراحاً غرضه ربط  
« نزع السلاح » بمسألة « ضمان السلامة » ،  
وهو يشتمل ( اولاً ) على عقد معاهدة  
دفاعية تشترك فيها الدول التي تختار ذلك  
وفيهما تتعهد كل منها بتقديم المعاونة الفعالة  
اللازمة ، وفقاً لنظام موضوع ، اذا اعتدي  
على احدها . و ( ثانياً ) على تعهد لنقص  
عام للسلاح اما باتفاق عام — وهو المفضل —  
أو باتفاقات خاصة يصح توسيع نطاقها حتى  
تضم كل البلدان

هذا الاقتراح لقي من الفرنسيين قبولاً  
لانهم كما قدمنا يقولون بان « ضمان  
السلامة » توطئة لا بد منها لنزع السلاح أو  
نقصه . فايد مندوبو فرنسا في جمعية الامم  
اقتراح اللورد سسل . ووضعت صور مختلفة  
لتنفيذ الاقتراح المذكور . ولكنه اهمل  
لمعارضة حكومة العمال الاولى في بريطانيا له  
﴿ جنيف ايضاً ﴾ وبعد ما اهمل اقتراح  
سسل المعروف ( بمعاهدة الضمان المتبادل )  
اشتركت وزارة العمال البريطانية و وزارة  
هريو الفرنسية في وضع ما يعرف ببروتوكول  
سنة ١٩٢٤ وهو لا يختلف اختلافاً كبيراً  
عن اقتراح سسل وانما يعلق شأناً كبيراً  
« بالتحكيم » لفض الخلافات التي قد تفضي  
الى اعتداء امة على اخرى وخرق سلامتها .

١٦ الذي ينص على ما يأتي : « اذا عمد احد  
اعضاء الجمعية الى الحرب متجاهلاً عهوده ،  
اصبح بحكم الطبع كأنه اتى عملاً حربياً ضد  
بقية اعضائها » . وفي هذه الحالة يقاطعه  
الاعضاء جميعهم ويصبح من حق « مجلس  
الجمعية » ان يقترح على حكومات الدول  
المختلفة الوسائل الحربية والبحرية والجوية  
التي تقدمها كل منها الى قوى الجمعية للمحافظة  
على عهودها »

على ان هذا لم يرض فرنسا . لان حكومتي  
روسيا والولايات المتحدة الاميركية خارجتان  
عن نطاق جمعية الامم . ثم ان في هذه البنود  
موضعاً للتأويل لا يرضى به العقل الفرنسي  
الدقيق . فقد يختلف اعضاء مجلس الجمعية على  
تعيين المعتدي ، فيتعذر على الجمعية ان تفعل  
ما يكفل المحافظة على عهودها . أو قد يتفق  
اعضاء المجلس ويقدمون مقترحاتهم الى اعضاء  
الجمعية ، ولكن هذا لا يحتمل على الحكومات  
تنفيذ مقترحاتهم

﴿ وشنطن ﴾ وفي سنة ١٩٢١ انتقل  
مركز العناية « بالسلاح » و « ضمان السلامة » من  
اوربا الى وشنطن حيث عقد مؤتمر خاص  
بتحديد السلاح البحري فاسفر عنه معاهدتين  
احدهما رباعية ابرمتها حكومات الولايات  
المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا واليابان ،  
تعهدت فيها انها تتفاوض معاً مفاوضة صريحة  
شاملة اذا اعتدى على حقوقها في الباسيفيكي  
معتد . ولكن الفرنسيين يرون ان هذا التعهد  
مقتصر على ناحية خاصة من سطح الكرة ،



وان تقض بطرق سلمية كل نزاع يثور بينها. ولكن الفرنسيين يرون انها لا تضمن شيئاً ما لامة ذهبت ضحية عهد منكوث ، ولذلك لم نشهد فرنسا — ولا حلفاءها — تسرح جيوشها وتجرد حصونها ، اعتماداً على نصوص هذه العهدة

### الحلول الممكنة

هذا موقف فرنسا وهو جدير بالعناية ، لما لفرنسا من المكانة الحربية ، ولما لها من المقام في تيار السياسة الاوربية بعد الحرب ، ولما ينتظر ان تناله من التأيد في مؤتمر جنيف من حلفائها في اوربا وهم كثير

وثمة ثلاث طرق للخروج من مأزق اصرار فرنسا على ان « ضمان السلامة يجب ان يتقدم نقص السلاح » . الاول هو التسليم برأي فرنسا والعمل بما يقتضيه . (الثاني) اقناع فرنسا بالتخلي عن رأيها الذي مازالت مصرّة عليه من سنة ١٩١٨ و (الثالث) الاستقلال عنها واشتراك الامم التي لا تصرّ على تقديم « السلامة » على نقص سلاحها

(الحل الاول) ان تسليم الولايات المتحدة الاميركية برأي فرنسا ، يقتضي قبول الامة الاميركية جانباً كبيراً من التبعية في المحافظة على السلام العالمي . ولا لبس في ان هذا القبول ينطوي على امكان اشتراك الحكومة الاميركية في حرب قريبة او بعيدة ، برأ بعهودها . وهذا يخرج باميركا عن سياسة العزلة isolation وعدم الاشتباك في شؤون اوربا

ولما كان « ضمان السلامة » اساساً في هذا البروتوكول ايضاً ايده فرنسا ولكن حكومة المحافظين التي تلت حكومة العمال في بريطانيا عارضته فاهمل نصه ولم تهمل مبادئه \* لوكارنو \* ذلك ان حكومة المحافظين التي رفضت بروتوكول ١٩٢٤ شرعت في سنة ١٩٢٥ تدمج بعض مبادئه في معاهدات لوكارنو . وهذه المعاهدات من وجهة النظر الفرنسية ، تتلخص في ان المانيا تعهدت فيها باحترام حدودها الغربية الحالية واتفاق فرنسا و المانيا وبلجيكا على الامتناع عن اعتداء احداها على الاخرى او غزو بلادها وان بريطانيا وايطاليا تضمنان تنفيذ هذا العهد وتساعدان من يكون منها من موقعيه ضحية اعتداء لا مسوغ له

\* اعتراض الفرنسيين \* وما تنطوي عليه معاهدات لوكارنو هو نفس ما تقهّمه فرنسا وتريده اذ تطلب « ضمان سلامتها » ولكن معاهدات لوكارنو في نظرها غير كافية ، لان العهود التي قطعتها المانيا لبولونيا باحترام حدودها الشرقية ليست وافية كالعهود التي قطعتها لفرنسا وبلجيكا — ثم ان نطاق هذه المعاهدات ضيق ، لا يتعدى ناحية معينة من اوربا

\* باريس \* وحدث المحاولات لحل « مسألة ضمان السلامة » يعرف بعهدة كلوغ وريان وهي التي عقدت في باريس سنة ١٩٢٨ وبموجبها تعهدت خمسون امة « ان تتنازل عن الحرب كاداة من ادوات السياسة القومية »



وقد يتعذر اقناع الحكومة الفرنسية بسلامة المنطق في هذا الموقف المخالف لرأيها. ولكن ثمة الضائقة المالية العالمية ورغبة الحكومة الفرنسية في الاقتصاد واحجامها عن وقوف موقف المنعزل في السياسة الدولية والامل في ربط مسألة التسليح بالمسائل الدولية الاخرى التي تهتم فرنسا — كل هذه الاعتبارات قد تقنع فرنسا بالتحول عن موقفها وليس ثمة ما يحول دون عقد اتفاق في مؤتمر جنيف يشمل التسليح والتعويضات وديون الحرب والممر البولوني

﴿الحل الثالث﴾ ولنفرض انه تعذر وجود حل لمشكلة «السلامة» وان فرنسا لم تتحول عن موقفها مصرّة على ان ضمان سلامتها يجب ان يتقدم كل نقص في سلاحها — فكيف يخرج المؤتمر من هذا المأزق؟ واذا تعذر الاتفاق مع فرنسا، فهل يستطيع الاستقلال عنها في العمل؟

خطب المستر هوتون الاميركي (سفير اميركا سابقاً في برلين ولندن) من عهد قريب فقال: «يجب ألا يتحطم المؤتمر على صخرة الخلاف مع فرنسا... فاذا كانت الدول الكبرى او على الاقل اقربها اليها وأوثقها صلة بنا — تتفق على انقاص اسلحتها نقصاً محسوساً فأنا ارجو واتضرع ان تشتري اميركا معها». وهذا حل ممكن. ولكننا نراه غير محتمل، لانه لا يتم الا اذا اقنعت دول اوربا، التي ينقص سلاحها عن سلاح فرنسا بزيادة هذا الفرق بينها وبين فرنسا، فيزيد

السياسية. التي ما زالت جارية عليها الى الآن وقد تكون فرنسا منتظرة وقوع هذا التحول في سياسة اميركا ولكنها تعلم فيما نظن ان احتمال وقوعه بعيد، ولذلك فالمرجح انها تنتظر اقبال انكلترا على الاخذ به وتكتفي بذلك. فقد كانت فرنسا مستعدة ان توقع البروتوكول الذي أعد سنة ١٩٢٤ من غير ان تنضم اليه الولايات المتحدة الاميركية. ولكن مصير البروتوكول كان مصير اقتراح سسل. فان الحكومة البريطانية لم تصرّ عليه — رغم ان حكومة بريطانية سابقة اقترحت — لان الولايات المتحدة الاميركية قابلته بريبة شديدة. وقد تكتفي فرنسا الآن بعناية انكلترا وعدم معارضة اميركا

﴿الحل الثاني﴾ ومحوره «نزع السلاح قبل ضمان السلامة» وهو مناقض للرأي الفرنسي، وقد اخذت به اميركا وانضمت اليها ايطاليا من عهد قريب. فالسنيور غراندي، وزير خارجية ايطاليا، صرح في اثناء زيارته الى اميركا في خريف السنة الماضية ان «السلامة» فكرة نفسية لا تعالج الا اذا اقنعت ام الارض بقبول مبدأي نزع السلاح والتحكيم. ولو زال امكان حسم اي نزاع دولي بالسلاح والقوة، لما فكر احد بمسألة «كيف تضمن سلامتي». ف ضمان السلامة مشكلة لان تسليح الامم جار على غير قاعدة او نظام. وبكلام آخر، يقول غراندي «اذا شئنا ان نتقدم نحو تنظيم السلام العالمي» وجب ان ننظر الى سلامة كل امة، كنتيجة لنزع السلاح لا كتوطئة له



الاحتياطي المدرب وانما المشروع غير نهائي وقد تفتح المسألة من جديد في جلسات المؤتمر ولجانه

٢ — \* محمول البوارج \* يظن البعض ان مؤتمر جنيف سوف ينظر في الاسلحة البرية فقط لان الاسلحة البحرية قد حددت بموجب معاهدة وشنطن سنة ١٩٢٢ ومعاهدة لندن البحرية سنة ١٩٣٠ ولكن هذا خطأ فمعاهدة وشنطن حددت البوارج الكبيرة وهي تشمل بريطانيا واميركا واليابان وفرنسا وايطاليا ومعاهدة لندن حددت السفن الصغيرة Auxiliary وهي تشمل بريطانيا وأميركا واليابان فقط. ولكن ثمة مزاحمة شديدة بين الدول في بناء الطرادات والغواصات. ثم ان دول اوربا القوية بجيوشها الضعيفة بأساطيلها تميل الى مساومة الدول البحرية الكبيرة على نقص جيوشها لقاء نقص آخر في السلاح البحري. وهذا كله مما سوف يعرض على مؤتمر جنيف

والاختلاف في مسألة تحديد السلاح البحري واقع بين طائفتين من الدول: الاولى تقول بتحديد مجموع محمول الاسطول، ثم نكل دولة الحق في استعمال هذا المجموع كما تشاء فتبني السفن التي توافقها — غواصات او طرادات او غير ذلك — من دون ان يتعدى مجموع محمولها الحد المعين. والطائفة الاخرى تقول بوجوب تحديد محمول كل طائفة من السفن الحربية. فمحمول الغواصات لدولة كذا يجب الا يزيد عن كذا وهلم جرا. وفي

تفوق فرنسا الحربي عليها. ومن العجيب ان تجذمة تسلم بهذا

### طرق تحديد السلاح

واذا فرضنا ان المسألة التي هي محور مباحث المؤتمر قد حُلَّتْ بأحدى الطرق المذكورة، او بطريقة اخرى، وان الامم اتفقت على نقص سلاحها فيجب حينئذ ان ينظر المؤتمر في طرق النقص او التحديد. وهذه الناحية من عمل المؤتمر تدور حول ثلاثة امور او اربعة

١ — \* الجيش العامل والاحتياطي \*  
اذا اجلنا النظر في دول اوربا وجدنا ان المانيا والنمسا والمجر وبلغاريا — وهي الدول التي هزمت في الحرب الكبرى — ألغت التجنيد الاجباري، بمقتضى معاهدات الصلح. اما الدول الاخرى — ومنها الدول الجديدة التي انشئت بمقتضى هذه المعاهدات — فقد جرت على خطة التجنيد الاجباري وانشأت كل منها احتياطياً مدرباً. ولما دارت المناقشات في اجتماعات اللجنة التمهيدية التي اعدت شؤون المؤتمر اختلف الاعضاء في هل يحسب هذا الاحتياطي المدرب من الجيش العامل لدى النظر في تحديد السلاح او لا يحسب؟ فقال مندوبو اميركا وبريطانيا والمانيا — وهي دول لا احتياطي مدرب عندها — انه يحسب. اما مندوبو فرنسا وايطاليا وبولونيا فقالوا «لا» وقد فاز هؤلاء ومشروع المعاهدة الذي اعدته لنظر المؤتمر لا ينص على اي طريقة لتحديد



فيهما مقدرة المال على الشراء . ولا يعلم هل تسلم الولايات المتحدة الاميركية بهذا التعديل او لا

هذه هي اهم المسائل التي تدور في المؤتمر، اجملناها في هذا العدد من المقتطف تلخيصاً عن مقالات في « نيويورك تيسز » لتكون معواناً لقرائه على فهم الانباء الواردة من مؤتمر نزع السلاح

### حرارة الارض والصحاري

في باطن الارض مصدر للحرارة لا ينفد، ولا بد من ان تتمكن يوماً ما من استعمال الحرارة التي تحدث ينابيع المياه الساخنة، بحفر آبار حتى نصل الى اعماق نجد عندها بخاراً اذا ضغط كاف لاستعماله في الآلات

ومتى ارتفع سعر الفحم ارتقاعاً فاحشاً تخترع آلات شمسية تجعل البلدان الصحراوية القاحلة مصدراً من مصادر الثروة العالمية . وحيث توجد منخفضات كبيرة على مقربة من البحر، كما نجد في الصحراء الكبرى، ومنخفض البحر الميت يسهل حفر ترع لجرمياه البحر اليها واستعمال سقوطها في توليد الكهرباء . والتبخر الشديد في بلاد صافية الاديم من سطح البحيرة التي تكون في المنخفض تحفظ مقدار هبوط الماء من التربة اليها كافيّاً لتوليد القوة اللازمة . وينتج عن ذلك استخراج الملح وغيره من المواد والعناصر التي في ماء البحر مثل اليود والبروم واليوتاسيوم . وهذا هو الاساس الذي يقوم عليه مشروع منخفض القطارة الذي وضعه حسين بك سري

الطائفة الاولى نرى ايطاليا وفرنسا وفي الثانية بريطانيا والولايات المتحدة

والاقتراح الذي اتفقت اللجنة التمهيدية على تقديمه الى المؤتمر يجمع بين مزايا الرأيين فئمة تحديد مجموع محمول السفن . وتحديد آخر مرين لكل طائفة منها . والتحديد المرن يقصد به اذا حدد لدولة ما ١٠٠ الف طن لطائفة الطرادات حق لها ان تجعل محمول طراداتها ٨٠ الفاً وتستعمل ٢٠ الفاً الباقية في بناء غواصات مثلاً . وهذا ايضاً قرار غير نهائي

٣ — تحديد الميزانية الحربية \* ثم هناك مسألة تحديد المعدات الحربية كالدفاع والبندقيات والدبابات والذخيرة . وهنا ايضاً نجد اختلافاً بين الدول : فالطائفة الاولى — بزعامة فرنسا — تجبّد هذا التحديد عن طريق تحديد الاموال المرصودة لهذه المعدات في ميزانية الدولة وحجتها في ذلك ان هذا اقتراح عملي . فقد تقصر الحكومات في تقديم تقارير وافية عما تملكه من المعدات الحربية ولكنها لا تستطيع ان تخفي الاموال المرصودة لها في ميزانياتها في البلدان البرلمانية

اما الطائفة الاخرى — بزعامة الولايات المتحدة — فتعارض في ذلك لان مقدرة المال على الشراء تختلف باختلاف البلدان

وقد فضلت اللجنة التمهيدية طريقة « تحديد الميزانية » على ان تكون المقابلة بين ما تنفقه الدولة الواحدة في سنوات متعاقبة، بدلاً من ان تكون المقابلة بين دولتين تختلف



## سياسة التربية والتعليم

(تابع المنشور في ص ٣١٧)

بقي ان نعرف من هو المتعلم. ولمن توضع له سياسة التعليم؟ جوابنا على هذا — المتعلم هو التلميذ ما دام في المدرسة — اما جوابهم فالمتعلم هو الذي يتمتع بنصيبه في التعليم هو كل فرد من افراد الامة صبيها وشيخها. كبيرها وصغيرها. غنيها وفقيرها. كل من هؤلاء ينال نصيبه من التعليم بمختلف الوسائل التي تشرف عليها الحكومات أو تساعد على نشرها. فهناك لجان لالقاء المحاضرات للعمال تحت اشراف معهد الثقافة الدولية التابع لعصبة الامم. وهناك المعارض الدولية لعرض اعمال العمال الفنية فتمنحهم الجوائز المالية الثمينة وتشجعهم بكل وسائل التشجيع. كذلك طلبة الجامعات ينتشرون بين طبقات الشعب في المدن والقرى فيرشدونهم الى طرق الحياة الصحيحة الصحية. مستعينين بالسينما والصور والمكتبات المتنقلة والكتب والنشرات. كذلك في الحفلات العامة يعلمونهم الغناء والنظام والآداب العامة ودروس الوطنية ثم هناك الدراسة الليلية الجامعة المنظمة التي تقوم بها جمعية تعليم العمال والدروس التي يلقيها العلماء للناس في بيوتهم بالراديو ببرامج موضوعة بمنتهى النظام والاحكام فمن درس في التدبير المنزلي من ١٠-١١ صباحاً الى درس في اللغات من ٦-٧ مساءً وهكذا — كل هذا غير الكتب والنشرات التي تقوم الحكومات بطبعها ونشرها بين الناس بلا مقابل. وتذاع خطب الامراء والساسة والمناظرات والمحاضرات العامة بالراديو ومكبرات الصوت في الاسواق والطرق

## باب معرض يفتح بضوء كوكب

السمك الرامح ، نجم اصفر من القدر الاول في كوكبة العواء وهي من الصور الشمالية وقد رأى علماء الكهرباء في الولايات المتحدة تسخير شعاع من نوره لفتح باب المعرض الاميريكي العالمي المزمع اقامته في مدينة شيكاغو سنة ١٩٣٣ القادمة. والمعروف عند علماء الفلك ان السمك الرامح يبعد عنا مسافة تقدر باحدى وأربعين سنة نورية وقد جرب تلسكوب مرصدي كيز الكاسر الذي قطر عدسته اربعون بوصة بولاية وسكنسن لرصد ذلك الكوكب فخلوا في قاعدة المرقب بطارية كهربائية حتى اذا مر طيف الكوكب امام عدسة المرقب المنتهي بالبطارية آتفة الذكر التقطت نوره حالاً فيولد فيها تياراً كهربائياً يقوى ثم ينقل بالاسلاك الارضية الى مدينة شيكاغو حيث يستخدم لفتح باب المعرض وضاءة المصابيح الكهربائية التي فيه

## الاشعة الكونية

جمع الاستاذ كطن الاميريكي استاذ الطبيعة في جامعة شيكاغو وأحد نائلي جائزة نوبل الطبيعية المال اللازم لرحلة علمية عالمية الغرض منها قياس قوة الاشعة الكونية في احوال مختلفة من الارتفاع والهبوط ، والحر والبرد والليل والنهار ، لعله يستطيع الوصول الى حقائق تمكن العلماء من معرفة طبيعتها : هل هي امواج كالضوء او ذرات دقيقة من قبيل الالكترونات وهل هي نتيجة لتكوّن العناصر أو لانحلال المادة في رحاب الفضاء



## الجزء الثالث من المجلد الثمانين

صفحة	
٢٤٥	امور يجهلها العلم
٢٥٢	اموال التعويض وديون الحرب
٢٥٣	العلم وطبيعة الالهية . لشارل مالك
٢٦٠	الشعر والعلم
٢٦١	المناخ ونشاط الانسان . للدكتور محمد شاهين باشا ( مصورة )
٢٦٨	مهاتما غاندي . لاسماعيل مظهر ( مصورة )
٢٧٥	مآثر العرب في الطبيعة . لقدري حافظ طوقان
٢٨٠	الجنس . للدكتور شريف عسيران ( مصورة )
٢٨٧	الشرق الاقصى . عن برتراند رسل
٢٩٣	العلم والازمة العالمية
٢٩٨	الاتجاهات الحديثة في الآداب والفنون . لمعاوية نور ( مصورة )
٣٠٣	اصل النظام الشمسي
٣٠٦	المذاهب الاجتماعية الحديثة . للمستركليلند
٣١٢	سياسة التربية والتعليم في الخارج . للدكتور مظهر سعيد
٣١٨	الارستقراطية والديمقراطية وتأثيرهما . لعلي ادم
٣٢٣	علاقة التاريخ باللهجات العربية . للامير شكيب ارسلان
٣٢٨	مرهم الجرح ( قصيدة ) للاستاذ محمود بو الوفا
٣٣٢	تقاليد الزواج واصولها النفسية . لاحمد عطية الله
٣٣٦	الحضارة الفينيقية . للشيخ بولس مسعد
٣٤٢	مكتبة فريدة . لمحمد علي رفاعي ( مصورة )
٣٤٦	حياة الفنان ( قصيدة ) لحسن كامل الصيرفي

٣٤٧	باب شؤون المرأة وتدير المنزل * المرأة الالمانية في ميدان السياسة . كيف نعيش في صحه جيدة
٣٥٤	مكتبة المقتطف * تأليف المستشرقين وكتب في الادب الفرنسي . ( ابشر فارس ) مجلة الدجاج .
	في الحياة والحب . منابت الصهيونية
٣٤٣	باب الاخبار العالمية *